التلمود

البعث و الحساب و الثواب و العقاب



علاء تيسير أحمد

مكتبة مدبولى

التلمـود

البعث والحساب والثواب والعقاب

الكتـــــــاب : التلمود - البعث والحساب والثواب والعقاب

الكـــــــاتب : علاء تيسير أحمد مهدي

الطبعـــة الأولى عـام : ٢٠١١

الناشــــــــر : مكتبة مدبولي ٦ ميدان طلعت حرب — القاهرة

تليفون : ٢٥٧٥٦٤٢١ — فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤

البريد الإلكــتروني : www.madboulybooks.com

Info@madboulybooks.com

رقـــم الإيــداع : ١٧٧٣٤/ ٢٠١٠

الترقــيم الــدولي : 6 -860 -208 -977

علاء تيسير أحمد مهدي

التلمـود

البعث والحساب والثواب والعقاب

الناشـــر
مكتبة مدبولي
2011

المقـــدمة

..... عاش اليهود على هامش الحضارات التي توالت على الشرق القديم، ولم يعيشوا في عُزلة عما يدور حولهم، بلِ احتكوا بجيرانهم سلباً وإيجاباً، وتأثرت معتقداتهم وآراؤهم بالمفاهيم التي كانت شائعة في بلدان الشرق القديم، وبخاصة الغَيبيات وعلى رأسها الموت وما يحدث بعد الموت، فما المصير الذي ينتظر الروح بعد الموت؟ هل ستَفْنَى أم تحيا حياة أخرى؟ وإذا كانت ستحيا حياة أخرى، فأين سيحدث ذلك؟ هل داخل القبور أم في عالم آخر خاص بها؟ وما المصير الذي ينتظر الجسد؟ هل سيتحلل ويَفْنَى أم سيبعث ويتحد بالروح مرة أخرى؟ وهل سيحاسَب الجسد بعد الموت وَحْدَهُ، أو تحاسَب الروح وحدها أو يحاسَبَانِ معاً؟ وما الجزاء الذي ينتظرهما؟ وفي حين لم يظهر هذا التأثير في نصوص المقرا التي أغلق باب التدوين فيها (القرن الثاني ق.م) باستثناء بعض الإشارات التي تم تأويلها لخدمة هذا الغرض، وأخذ هذا التأثير يتضح بعد ذلك في التراث اليهودي الذي تبلور في القرون الأولى من الميلاد أي المشنا والتوسفتا والتلمود والمدراشيم (كتب التفاسير).

واعتمدتُ في دراستي على ما جاء في التلمود البابلي الذي تبلور في مدارس بابل وأورشليم، والذي يتكون من:

- المشنا: وهي مجموعة التشريعات التي تشتمل على الشريعة الشفهية، التي تناقلها معلمو المشنا "التنائيم" والتي بلوَرَها في صيغتها النهائية الربي يهودا هناسي وحكماء جيله في بداية القرن الثالث الميلادي.

- الجمارا: وهو ما قام به معلمو بني إسرائيل من شروح وتفاسير على تشريعات المشنا في معاهدهم الدينية في بابل وفلسطين من القرن الثالث الميلادي وحتى أواخر

القرن الحادي عشر الميلادي، فهي عبارة عن تفسير أجزاء المشنا الستة، وردت على شكل مناقشات تعكس في الأساس طابع التدريس في المعاهد الدينية (اليشيفوت)، فكان يجتمع دارسو الشريعة شهرين في كل عام (يرح كلا)، في كل شهر يدرسون باباً واحداً من أبواب المشنا، وعند دراسة هذا الباب يبدأ رئيس المعهد الديني بطرح التشريع الذي يبحثونه مع الدارسين، فيقول ما استحدثه أو ما سمعه بخصوص هذا الموضوع أو يقرأ جزءاً من المشنا، ويطلب من أحد معلمي المشنا (التنائيم) أن يذكر (برايتا) أي التشريعات التي استبعدها يهودا هناسي من نص المشنا والخاصة بهذا الموضوع، ثم يفسرون تلك الـ (برايتا) ويوضحون العلاقة بينها وبين هذا التشريع، وهناك عدد ثابت من الأسئلة التي يجب على الدارسين توضيحها عند دراسة كل تشريع من تشريعات المشنا وهي:

- من المشَرِّع الذي يظهر منهجه في هذا التشريع؟
- ما السند المقرائي الذي استُمِدَّ منه هذا التشريع؟
- ما الحالة الخاصة التي يطبق فيها هذا التشريع؟

وبالإضافة إلى ما سبق كان الدارسون يقومون بـ:

- طرح أسئلة للاستفسار عن تشريعات المشنا، يحاولون الردَّ عليها.
- عرض الخلاف حول روايةٍ ما لأحد المشرِّعِينَ (التنائيم)، ومحاولة الفصل في هذا الخلاف.
- عرض الخلاف حول أسماء أحد المشرِّعِينَ (التنائيم) وصحة نسبة الرواية التي نسبت إليه.
- طرح مسألة تتناقض مع أقوال المشرعين (التنائيم).
- الاعتراض على أقوال أحد معلمي الجمارا (الأمورائيم) يتبعه استشهاد بتشريع أحد المشرعين يبطل تلك الأقوال.

- السؤال عن تناقُض بين فقرتين من نص العهد القديم، أو بين تشريعين من تشريعات المشنا.
- رواية بعض الحوادث التي من دورها التأكيد على فتوى معينة أو تشريع معين.
- إصدار بعض الفتاوى التي تستند على تشريع من تشريعات المشنا.
- الإشارة إلى عدم الفصل في بعض التشريعات بحيث تظل معلَّقةً.
- الإشارة إلى أن التشريع الذي تم صياغته هو التشريع المعتمد.

أما عن اللغة التي دُوِّنَ بها التلمود البابلي: فهي الآرامية الشرقية وتسمى أيضاً الآرامية البابلية، وهي فرع من فروع اللغة الآرامية القديمة، كما يضم بقايا لغوية عبرية تنتمي إلى عصر المشنا (من القرن الأول ق.م إلى بداية القرن الثالث) وبقايا عبرية تنتمي إلى عصر ما بعد المشنا، كما يوجد به تأثيرات لغوية من الفارسية الوسطى (البهلوية) ومفردات دخيلة من اليونانية واللاتينية.

كما اعتمدتُ في دراستي على المدراشيم (كتب التفاسير) التي تنقسم إلى قسمين:

- مدراش هالاخا: أي تفسير الأحكام وهي كتب الأحكام التي وضعها علماء المشنا (التنائيم)، ويندرج تحتها مخيلتا وسفرا وسفري.
- مدراش آجادا: أي تجميع الروايات وهي كتب التفاسير التي غرس بذرتها علماء الجمارا وهي في معظمها عبارة عن تسجيل لحلقات الوعظ والتفسير التي كانت تقام في المعابد خصوصاً أيام السبوت، فقد جاءت بنفس ترتيب أجزاء وفقرات التوراة التي كانت تقرأ في المعابد كل أسبوع، ويندرج تحتها "مدراش ربا"، أي التفسير الكبير، و"مدراش تنحوما"، أي تفسير تنحوما، و"تنا دفي إلياهو"، أي تشريع أتباع إلياهو، و"برقي الربي إليعزر"، أي فصول الربي إليعزر. أما عن اللغة التي كتبت بها المدراشيم فهي تجمع بين العبرية المشنوية والآرامية الجليلية وكثير من المفردات اليونانية واللاتينية.

ولقد ناقشتُ ما جاء في هذه المصادر اليهودية مقارَنَةً بهذه الغَيبيات في حضارات الشرق القديم المتمثلة في النصوص الجنائزية المصرية القديمة، والأساطير البابلية، والملاحم الأوجاريتية، والنصوص الدينية الزرادشتية، والأساطير اليونانية، والمحاورات الفلسفية اليونانية، فهذه هي البيئة التي عاش فيها اليهود واحتكوا بأهلها ونهلوا من ثقافاتها.

وتهدف هذه الدراسة إلى:

- إلقاء الضوء على مفاهيم الموت والبعث والحساب والثواب والعقاب في المصادر الدينية اليهودية، والوقوف على أوجُهِ الشَّبه والاختلاف بين هذه المفاهيم وما ورد في حضارات الأمم المجاورة موضوع الدراسة.
- الوقوف على أثر تبايُن مفاهيم الموت والبعث والحساب والثواب والعقاب في المصادر الدينية اليهودية على سلوك اليهود وتصرفاتهم في عصرنا الحالي وأثر ذلك في الصراع العربي الإسرائيلي.
- رصد الاختلافات بين الطوائف الدينية اليهودية حول مفاهيم ما بعد الموت من بعث وحساب وثواب وعقاب.
- تحديد طبيعة الدراسة في التلمود وكيفية استخلاص الأحكام منه، والتعرف على أصول الفقه في التلمود ومناهج التفاسير في المدراشيم (كتب التفاسير) وكيف تعاملت مع نص المقرا وكيف أولت فقراته.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن يتم استخدام المنهج الوصفي والمنهج المقارن، حيث يتم عرض آراء علماء التلمود والمفسرين اليهود في كل إشكالية في التلمود ثم في المدراشيم (كتب التفاسير) وأُعَلِّقُ على ما جاء فيها ثم أُقارِنُها بنظائرها في حضارات الشرق القديم، ثم أعرض النتائج التي خرجت بها من المقارنة في كل جزئية.

وتنقسم هذه الدراسة إلى ستة فصول مقسمة إلى مباحث على النحو التالي:

الفصل الأول: "ماهية الموت والنظرة إليه" وينقسم إلى مبحثين:

يتناول المبحث الأول تعريف الموت والعناصر الروحية المكوِّنة للطبيعة البشرية في التلمود وكتب التفاسير وفي الحضارات موضوع الدراسة.

يليه المبحث الثاني الذي يتناول نظرة علماء التلمود والمفسرين اليهود واليونان وأتباع زرادشت والبابليين والكنعانيين والمصريين القدماء إلى الموت وخشيتهم منه.

أما الفصل الثاني بعنوان "دفن الموتى"، وينقسم إلى أربعة مباحث، تتناول الهدف من الدفن وخطوات إعداد جُثَّةِ المُتَوَفَّى قبل الدفن وشكل القبر وكيفية العناية به ومراسم الحداد على الموتى في التلمود وكتب التفاسير وفي الحضارات موضوع الدراسة.

والفصل الثالث بعنوان "مصير الروح بعد الموت" وينقسم إلى مبحثين، يتناول المبحث الأول تصور علماء التلمود والمفسرين اليهود لحياة موتاهم داخل القبور، وكيف تصور اليونانيون والبابليون والكنعانيون حياة موتاهم في القبور، ويتناول المبحث الثاني تصوُّر علماء التلمود والمفسرين للحساب والثواب والعقاب بعد الموت، وتصوُّرَ أتباع زرادشت والمصريين القدماء لهذه المفاهيم.

أما الفصل الرابع فيحمل عنوان "عالم الموتى" وينقسم إلى مبحثين، يتناول كلٌّ منهما وصفاً لعالم الموتى سواء عالم الموتى السفلي وعالم الموتى العلوي في التلمود وكتب التفاسير وفي نصوص الحضارات موضوع الدراسة.

والفصل الخامس تحت عنوان "بعث الموتى" وينقسم إلى ثلاثة مباحث: يتناول المبحث الأول محاولاتِ علماء التلمود والمفسرين تأويلَ فقرات المقرا، لكي يثبتوا أن فكرة بعث الموتى جاءت في المقرا، كما يتناول هذا المبحث ما جاء عن بعث الموتى في الحضارة اليونانية والبابلية والكنعانية، ويتناول المبحث الثاني من هذا الفصل طبيعة

بعث الموتى في التلمود وكتب التفاسير وفي الديانة الزرادشتية والديانة المصرية القديمة، في حين يتناول المبحث الثالث موعد البعث، وإرهاصاته، ومكان حدوثه في التلمود وكتب التفاسير، في ضوء الديانة الزرادشتية.

وأخيراً الفصل السادس ويحمل عنوان "الحساب والثواب والعقاب النهائي"، وينقسم إلى ثلاثة مباحث، تتناول تَصَوُّرَ علماء التلمود والمفسرين اليهود لفكرة الحساب والثواب والعقاب التي تتبع بعث الموتى، وأشرت فيه إلى التناقُض بين المصطلحات التي تشير إلى الحساب والثواب والعقاب في التلمود وكتب التفاسير والتناقُض بين الصُّوَر التي رسمها علماء التلمود والمفسرون للأتقياء في عالم الثواب النهائي "العالم الآتي" وذلك بمقارنتها بأفكار الحساب والثواب والعقاب النهائي في الديانة الزرادشتية.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير لأستاذتي الجليلة/ ليلى إبراهيم أبو المجد، أستاذ الدراسات التلمودية والأدب العبري الوسيط بجامعة عين شمس، التي أشرفت على هذه الدراسة التي حصلت من خلالها على درجة الماجستير بتقدير ممتاز من قسم اللغة العبرية كلية الآداب جامعة عين شمس، وأدعو الله أن تكون علماً ينتفع به.

الفصل الأول

ماهية الموت والنظرة إليه

المبحث الأول

ماهية الموت

وردت تعريفاتٌ شتى للموت في التلمود، وقد وردت تلك التعريفات في سياق تشريعات مختلفة ولم ترد مستقلة، فقد جاء في باب السبت (שבת קנא.ב)[1] في سياق الحديث عن المحظورات التي يتجنبها المرء يومَ السبت ويعدُّ إن فَعَلَها، منتهكاً حرمة السبت أنه: "لا ينبغي أن نغلق عين الميت في يوم السبت، ولا في أيام الأسبوع الأخرى عند خروج النَّفْسِ، ومن يفعل ذلك فإنه سافك للدماء".

فقد عُرِّفَ الموت هنا في سياق التشريع الذي يتحدث عن حرمة السبت: بأنه خروج النفس "יציאת נפש"، بينما ورد في باب السبت (שבת קה.ב) في سياق الحديث عن مراسم الحداد على الميت يومَ السبت: "ورد في (برايتا)[2]: قال الربي

---

(١) تُرَقَّمُ صفحة التلمود طبعة بلمبرج من الجهة اليسرى فقط باستخدام الحروف العبرية، وهذه الصفحة تحمل الأحرف العبرية "קנא"، وتسمى وجه الصفحة "א" في حين لا تحمل الصفحة التي تليها حروفاً، لأنها تعد ظهراً للصفحة الأولى، وتسمى ظَهْر الصفحة "ב"، لذلك فإن "קנא.ב" تعني ظَهْر صفحة رقم ١٥١ بينما "קנא.א" تعني وجه صفحة رقم ١٥١، ولكن ظَهْر الصفحة في طبعة القدس للتلمود تحمل رقمًا عربيًا ضعف الأحرف العبرية التي يحملها وجه الصفحة، فإذا كان وجه الصفحة هو "קנא" ١٥١، فإن ظهر الصفحة يأخذ الرقم العربي ٣٠٢ أي ضعف ١٥١ (انظر: "أبو المجد" ليلى إبراهيم: مدخل إلى دراسة التلمود، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، المجلد الرابع والعشرون، الجزء الثاني ١٩٩٥م - ١٩٩٦ م ص ٣٠٢).

(٢) مصطلح فقهي آرامي ومعناه في اللغة، الخارجة أو البَرَّانِيَّة، ويطلق على التشريعات التي استبعدها يهودا هناسي عند تبويب المشنا، وتنتشر تلك التشريعات على صفحات التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي.

شمعون بن إليعزر[١]: ينبغي لمن يقف بجوار الميت عند خروج النَّسَمَة منه أن يمزق ملابسه حداداً عليه".

فقد عُرِّفَ الموت في هذا السياق على أنه خروج النَّسَمَةِ "יציאת נשמה"، وفي سياق آخر ورد في باب الحائض (נדה לא.א) عندما تطرق النقاش والجدال بين علماء التلمود إلى طبيعة خلق الإنسان فجاء: "هناك ثلاثة شركاء في الإنسان: القدوس تبارك وأبوه وأمه، فمِنَ المَنِيِّ الأبيض لأبيه تتكون العظام والأوردة والأظافر والمخ، ومِنَ المَنِيِّ الأحمر لأمه يتكون الجلد واللحم والشعر، أما الرب فيمنحه الروح، والنَّسَمَة، وقَسَمَاتِ الوجهِ، والبصرَ، والسمع، والكلام، والسيرَ على الأقدام، والفهم، والعقل، وعندما يموت الإنسان ويفارق الدنيا فإن القُدُّوسَ - تبارك- يأخذ المكوناتِ التي منحها له، ويترك المكوناتِ التي أخذها المرء من أبيه وأمه".

فيعد النقاش الذي دار بين العلماء حول الموت تفسيرًا أكثر منه تعريفًا للموت، فعند الموت تنفصل الروح والنَّسَمَة باعتبارهما منحةً من الرب فتُرَدُّ إليه مرة أخرى، حيث ينفصلان عن الجسد وقد أشار علماء التلمود في النص السابق إلى أنه نتاج بشري يتدخل كلٌّ من الأبِ والأم في تكوينه، فالموت في هذا السياق يُعرف بأنه انفصال الروح والنَّسَمَة عن الجسد.

كما ورد في باب السبت (קנב.ב) في إحدى المناقشات التي سجلها التلمود بين الصدوقيين[٢] وعلماء الجمارا: "سأل أحد الصدوقيين

(١) ينتمي إلى الجيل الرابع من التنائيم.

(٢) عائلة من عائلات الكهنة شديدةُ الثراء، كانت تسعى إلى الزعامة السياسية إلى جانب الزعامة الدينية، عاشت تلك العائلة في فترة الهيكل الثاني، وقد ظهرت كلمة "صدوقي" للمرة الأولى في كتابات يوسف بن متتيا، وهي مشتقة على ما يبدو من اسم الكاهن الأكبر "صدوق بن أحيطوف" الذي عاش في فترة داود وسليمان، ولم يكن معروفاً أين كانت تقيم تلك العائلة في بداية فترة التمرد المكابي، فأول ذكر لهم كان في فترة يوحنا هيركانوس، ومن بعده أرسطوبوليس الثالث، فكانوا يقيمون حول الهيكل لقيامهم بالخدمة فيه ، وهم ينكرون فكرة البعث والحساب والثواب والعقاب بعد الموت ، =

(المينيم)[1] الربي أباهو[2]: لقد قلتَ: إن نسمات الأتقياء تُحفَظ تحت عرش الرب (كيف يتم ذلك؟!)، فقال له (الربي أباهو): إن النَّسَمَة خلال اثْنَيْ عَشَرَ شهراً بعد الموت تَهِيم بين السماء والأرض، لكن بعد انتهاء الاثْنَيْ عَشَرَ شهراً يكون الجسد قد تحلل، فتصعد النَّسَمَة ولا تهبط مرة أخرى". فالموت في هذا السياق يعني فناء الجسد وخلود النَّسَمَة.

في حين أضاف المفسرون في كتب التفاسير تعريفاً آخر للموت، من خلال رواية وردت في تفسير تنحوما[3] (מדרש תנחומא בראשית סימן ה) في سياق تفسير

= مؤكدين على أنها أفكار لم تَنُصَّ عليها التوراة المكتوبة (باب سنهدرين الفصل الحادي عشر التشريع الأول)، كما أنكروا فكرة قدوم المسيح (باب سنهدرين وجه صفحة ٩٩)، ويتضح ذلك مما ورد عنهم من خلافات بينهم وبين الفريسيين على صفحات المشنا وفي مناقشات التلمود، ولكن بعد تدمير الهيكل الثاني سنة ٧٠م على يد تيتوس الروماني، توقفت الشعائر والطقوس التي كانت تتم في الهيكل ونتج عن ذلك زوال الزعامة الدينية للصدوقيين، وتلاشى ذكرهم من التاريخ.

(انظر: אנצקלופדיה יהודית דעת: ערך צדוקים , אתר דעת ללמודי יהדות ו רוח).

(١) مصطلحٌ أطلقه علماء التلمود قبل خراب الهيكل الثاني على بعض الطوائف اليهودية، حيث يقول أحد علماء التلمود وهو الربي يوحنان في التلمود الأورشليمي ظهر صفحة ٥٣: "لم يُنفَ بنو إسرائيل إلا بعدما أصبحوا أربعة وعشرين طائفة من المينيم"، ولكن أطلق علماء التلمود هذا المصطلح على فرقة الصدوقيين بشكل خاص، فورد في باب الأدعية، الفصل التاسع، التشريع السابع: " كل من يختم الأدعية في المقدس يقول في نهاية كل دعاء: "مبارك أنت يهوه إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد"، وعندما ضل الصدوقيون (المينيم) وقالوا: إنه لا يوجد سوى عالم واحد، فشرع (عزرا ورجال مَجْمَعِهِ) أن يقول من يردِّد خلفه "مباركٌ جلالُ ملكوته من هذا العالم وحتى العالم الآتي"، وبالتالي يرجِّح الباحثون أن المقصود بـ"المينيم" هم الصدوقيون الذين أنكروا وجود عالم آخر بعد الموت، كما استبدلت نُسخ التلمود الإلكترونية مثل نسخة ماخون ميمرا "מכון ממרא" مصطلح "مينيم" بمصطلح الصدوقيين (ראה: מסכת ברכות – פרק ט – משנה ז).

(٢) ينتمي إلى الجيل الثالث من علماء الجمارا في فلسطين.

(٣) هو تفسير لأسفار التوراة الخمسة، وينسبه الباحثون إلى ربي تنحوما، وهو أمورائي من فلسطين من الجيل الخامس (القرن الرابع الميلادي) نظراً إلى تردُّدِ اسمه كثيراً في هذا التفسير، وفي الحقيقة أن ربي تنحوما لم يؤلف هذا التفسير، ولم يقم بجمعه وترتيبه، ولكن من جاء بعده جمع في هذا التفسير معظم أقوال ربي تنحوما بالإضافة إلى أقوال مفسرين آخرين، وسُمِّيَ التفسير باسم تنحوما نظرًا إلى شهرته.=

الفقرة المقرائية الوارد في تكوين ١/ ١ "في البدء خلق الرب"، وتقول الرواية:" "سأل أدريانوس[١] عقيلاس[٢]: على أيِّ شيء يقوم العالم؟ فقال له: يقوم على الروح، وإذا

= وفي واقع الأمر يطلق اسم "تنحوما" على ثلاث مجموعات من التفاسير، تختلف عن بعضها البعض ووضعت في فترات زمنية متباعدة وقام بتجميعهم أشخاص مختلفون:

- "تنحوما القديم" وتَرِدُ فيه الفِقْرات بنفس ترتيب فِقْرات التوراة، وتبدأ في معظمها بسؤال في الشريعة بصيغة الطلب: "ילמדנו רבינו" "ليعلمنا معلمونا"، وتأتي الإجابة بصيغة "כך שנו רבותנו" "هكذا شرع علماؤنا"، ولقد قام بنشره رابي شلومو بوبر عن مخطوط أُكسفورد في فيينا ١٨٨٥م.
- تنحوما المسمى أيضاً باسم "ילמדנו" ليعلمنا، وقد فقدت تلك المجموعة، وكل ما نعرفه عنها هو ما جاء في أقوال القدماء في كتب "شولحان عاروخ" المائدة المُعدة، و"يلقوط شمعوني" مقتطف شمعوني.
- تنحوما الذي طُبع لأول مرة في إستنبول ١٥٢٢م تحت عنوان מדרש תנחומא הנקרא ילמדנו أي: تفسير تنحوما المسمَّى يعلمنا وقد طبع مع إضافة شروح עץ יוסף شجرة يوسف، و ענף יוסף فرع يوسف لربي حانوخ زوندل في فيينا ١٨٣٣م (انظر: "أبو المجد" ليلى إبراهيم: كيف أصبح جبريل عدوًا لليهود، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، المجلد الثالث عشر العدد ١-٤، ٢٠٠٤م ص 33).

(١) القيصر الروماني الثالث هادريانوس تريانوس الذي عاش في الفترة من ٧٦-١٣٨ ميلادياً، واعتلى الحكم بعد موت أبيه تريانوس عام ١١٧ ميلادياً، وفى أثناء فترة حكمه تصدى لتمرُّد بركوخبا، ولقد ذكر هذا الإمبراطور كثيراً على صفحات التلمود الأورشليمي، فكان يدخل في مناقشات مع علماء التلمود مثل الربي يهوشع بن حنينا،

(Gibbon (Edwared): the history of decline and fall of roman empire, fred de fau and company vol I 1906)

(٢) اسمه باليونانية أقيلاس أو أخيلاس، ورد عنه في التلمود الأورشليمي أنه ابن أخت القيصر الروماني هادريانوس، على الرغم من أن المؤرخين اليونان يؤكدون على أن القيصر الروماني هادريانوس كان له أخت واحدة ولم تنجب أبناء ذكورًا، كما ورد أيضاً أنه تهود قبل تمرد بركوخبا في فترة التنائيم (معلمو المشنا) على يد الربي إليعزر والربي يهوشع، وأنه قام بترجمة المقرا إلى اللغة اليونانية فيما عرف بـ "ترجمة عقيلاس"، الأمر الذي جعل علماء التلمود يمتدحونه "קלסו אותו" ليحاولوا التأكيد على أن أصل الاسم "עקילס" عقيلاس مشتق من الجذر العبري "ק ל ס" ق.ل.س الذي يعني في العهد القديم "سخر من" أو "احتقر" ثم أصبح يعني في المشنا "امتدح" أو "أثنى على"

(انظر: אנצקלופדיה יהודית דעת: ערך עקילס , אתר דעת ללמודי יהדות ו רוח)

(*www.daat.ac.il/encyclopedia/category.asp*).

أردتَ أن تعرف، أَحْضِرْ جَمَلا، ثم وضع على ظهره حِمْلاً، ثم قال للجَمَل: قم!! فقام الجَمَل، ثم قال له: نخ!! فأناخ الجَمَل، ثم وضع الحِمل على رقبته وجعله ثقيلاً، ثم قال لأدريانوس: اجذب من هنا، وجذب هو من الطرف الآخر. فقال عقيلاس - لأدريانوس: قل للجَمَل أن يقف، فقال له أدريانوس: لقد خنقتَهُ فكيف يقف؟! فقال له: ماذا حدث، هل قُتِلَ أم فَقَدَ أحد مكوناته؟ فقال له: لقد خرجت رُوحُهُ. فقال له: وماذا إذا كان الجمل بلا روح؟! فهل يستطيع أن يحمل ما يوضع على ظهره أم أن الروح هي التي تحمل تلك الأحمال". فيتضح من خلال الرواية التي دارت على شكل حوار بين القيصر الروماني أدريانوس وعقيلاس أن الموت يعني خروج الروح من الجسد.

يمكن القول إن الموت كما ورد في مناقشات التلمود وكتب التفاسير يعني خروج أو انفصال المكونات الروحية المتمثلة في النَّسَمَة والروح والنفس من الجسد، لكن تصور علماء التلمود والمفسرين للمكونات الروحية لم يكن واضحاً، فلم يفرق علماء التلمود والمفسرون في تعريفهم للموت بين تلك المكونات الروحية (النَّسَمَة والروح والنفس)، وسأحاول أن ألقي الضوء على تلك المكونات من خلال ما ورد عنها في صفحات التلمود وكتب التفاسير، لأستوضح طبيعة كل عنصر وهل يختلف عن الآخر، أم تتداخل تلك العناصر فيما بينها.

وأبدأ بالتلمود: فقد رأى علماء التلمود أن النَّسَمَة هي المكوِّنُ الروحي للإنسان دون غيرها، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין לח.ב) في سياق الجدال بين علماء التلمود حول طبيعة خلق آدم: "قال الربي يوحنان بن حنينا: إن ساعات النهار اثْنَتَا عَشْرَةَ ساعة، في الساعة الأولى جَمَعَ الرب التراب الذي خلق منه آدم، وفي الساعة الثانية أخذ الرب قطعة من الطين، وفي الساعة الثالثة شكلها (على صورة الإنسان)، فجعل بها أطرافاً ووجهاً، وفي الساعة الرابعة نفخ فيها النَّسَمَة، وفي الساعة الخامسة وقف آدم على قدميه...".

فيتضح من النص أن النَّسَمة هي التي شكَّلتِ العنصر الروحاني في خلق الإنسان ولم يشر النص إلى وجود الروح أو النفس، ووصف علماء التلمود النَّسَمَةَ بعدة صفات، فورد في باب الأدعية (ברכות י.א) في سياق الحديث عن الصفات التي يتحلى بها الرب، أن هناك خمس سِمات تتمتع بها النسمة، فورد:" هناك خمس فقرات فى كُلِّ من المزمور ١٠٣ والمزمور ١٠٤ تبدأ بـجملة "باركي يا نفسي"، فعلى من تنطبق تلك الصفات التي قالها داود؟ لقد قالها داود فى صفات القُدُّوس تبارك وفى صفات النسمة، فكما أن القدوس – تبارك – ملأ العالم بأكمله كذلك النسمة فهي تملأ كل الجسد، ومثل القُدُّوس – تبارك – فكما أنه يَرَى ولا يُرى كذلك النَّسَمَة تَرى ولا تُرى، وكما أن القُدُّوس – تبارك – يعول العالم كله، كذلك النَّسَمَة فهي تَسْرى فى الجسد كلِّه، وكما أن القُدُّوس – تبارك – طاهر، كذلك النسمة فهي طاهرة، وكما أن القُدُّوس – تبارك – يسكن فى مكان خفيٍّ كذلك النسمة تسكن فى مكان خفيٍّ؛ لذلك تأتى (النَّسَمَة) وهي مَنْ تتمتع بهذه الصفات الخمس لِتُسَبِّحَ من يتحلى بهذه الصفات الخمس (الرب)".

فيتضح مما ورد في هذا النص تصوُّر علماء التلمود للنسمة بأنها تشبه الرب في خمس صفات، ومعنى ذلك أنها أقرب إلى الكائنات العلوية، فهي تتميز بأنها: تسري في الجسد بأكمله، ولا تُرى، وبأنها تَرى، أي: ذات بصيرة، وبأنها طاهرة.

ولقد وصف علماء التلمود النَّسَمَة بالطهارة في مواضع كثيرة في الجمارا، فورد في باب الأدعية (ברכות ס.ב) في سياق الحديث عن الأدعية التي تذكر عند الاستيقاظ من النوم: "ينبغي على المرء عندما يستيقظ من نومه أن يقول: يا إلهي، إن النَّسَمَة التي منحتَها لي طاهرة، يا من خلقْتَها من أجلي، ونفخْتَها داخلي، وحَفِظْتَها داخلي، وستأخذها مني، وسَتَرُدُّها إليَّ في العالم الآتي، وما دامت هذه النَّسَمَة داخلي فسوف أشكرك يا إلهي وإلهَ آبائي يا رب العالمين، يا سيد جميع النَّسَمَات، مباركٌ أنتَ، يا مَن تعيد النَّسَمَات إلى الأجساد". وبالإضافة إلى وصف النسمة بهذه الصفات، فقد أشار

علماء التلمود إلى أنها ذات طبيعة نورانية، فورد عنها في باب السبت (שבת לב.א) في سياق الحديث عن الآثام التي إذا ارتكبتها المرأة تجعلها عرضة للموت في أثناء الولادة[1]: "يقول القُدُّوس - تبارك: إن النَّسَمَة التي منحتُها لكم تُسمى "نورًا"، لذلك أوصيتكم بإشعال الشموع يوم السبت، فإن حَرَصْتُم على ذلك، فهو خير لكم، وإن لم تحرصوا على ذلك، فسوف آخذ منكمُ النَّسَمَة".

فيتضح من ذلك أن صفات النسمة هي الطهارة والشفافية والبصيرة والنورانية، وبالتالي فهي أقرب إلى الكائنات العُلويَّةِ، لذلك أنزلها علماء التلمود منزلة الكائنات العُلويَّة، فهي تقيم في العالَم العُلويِّ تحت عرش الرب، فورد في باب السبت (קנב.ב): "ورد في (برايتا): يقول الربي إليعزر[2]: إن نسمات الأتقياء تُحفَظ تحت عرش الرب، استناداً إلى ما ورد في صموئيل أول ٢٥/ ٢٩ "ولكن نفس سيدي لتكن محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك[3]".

ويتضح من هذا النص أن علماء التلمود خَلَطُوا بين النسمة والنفس، فالاستشهاد الذي جاء به علماء التلمود من نص العهد القديم الوارد في سفر

---

(١) ورد في باب السبت (שבת לב א): قال الربي يوسي: هناك ثلاث فرائض إذا لم تحرص المرأة عليها، فإنها ستكون عُرْضة للموت في أثناء الولادة وهذه الفرائض هي:
- الحفاظ على أحكام النجاسة في أثناء الحيض.
- إخراج قرص العجين من أجل الكهنة.
- إشعال الشموع في يوم السبت.

(٢) ينتمي إلى الجيل الثاني من التنائيم.

(٣) لقد قام علماء التلمود بتأويل الفقرة الواردة في صموئيل أول الأصحاح الخامس والعشرون حيث أخرجوا الفقرة من سياقها، حيث وردت تلك الفقرة في سياق محاولة أبيجايل امرأة نابال الذي سلب غنم داود أن تمتص غضب داود الذي ذهب لينتقم من زوجها، قائلة له: "لقد قام رجل ليطاردك ويطلب نفسك، ولكن نفس سيدي لتكن محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك"، فقال لها داود في الفقرة التالية: "مباركٌ عقلُكِ ومباركةٌ أنتِ، لأنكِ منعتِني من إتيان الدماء، وانتقام يدي لنفسي".

صموئيل أول، يتحدث عن "نفس" بينما أطلق عليها علماء التلمود "النسمة" فيبدو أن علماء التلمود لم يكونوا يُفَرِّقونَ بين النسمة والنفس، بل اعتبروهما عنصرًا واحدًا، ويظهر ذلك أيضاً في سياق الحديث عن الصفات التي يتحلى بها الرب، والصفات التي تتمتع بها النَّسَمَة، ذلك النقاش الذي ذكرته من قبل والذي كان يدور حول تفسير الفقرة المقرائية مزمور ١٠٣/ ١ : "باركي يا نفسي" فلقد خلط علماء التلمود في تفسيرها بين كلمة "نفس" الواردة في الفقرة المقرائية و"النسمة".

وقد جاءت الروح مرادفةً للنسمة، فورد في باب الحج (חגיגה יב.ב) في سياق الحديث عن طبقات السماء السبع: "وعرافوت (الطبقة السابعة من السماء) تحتوى على: العدل، والحساب، والتقوى، وكنوز الحياة، وكنوز السلام، وكنوز البركة، ونسمات الصديقين، والأرواح والنسمات التي سوف تخلق في المستقبل والطَّلُّ الذي سوف يُحيِي الرب به الموتى".

كما وردت الروح مرادفةً للنَّسَمَة في باب الأدعية (ברכות י.א) في سياق الحديث عن ميقات قراءة اسمع[1] في السَحَر : "إن الربي يهوشع بن ليفي[2] قال ما تفسيره ما ورد في (مزمور ١٠٣ / ١): "باركي يا نفسُ الرَّبَّ، وكل ما فى باطني ليبارك اسمه القُدُّوس"، فقال له (برعوقبا): خذ هذا التشبيه، فليست صفات القُدُّوس تبارك كصفات البشر ، فالإنسان يستطيع أن يرسُم صورة على الجدار ،

(١) قراءة "اسمع" عبارة عن ثلاثة أقسام من التوراة يجب على اليهودي أن يقرأها قبل الشروق، وفي صلاة ما بعد الغروب، القسم الأول منها يتضمن التوحيد، والقسم الثاني يتضمن الاعتقاد في الثواب والعقاب، والقسم الثالث يتضمن فريضة الأهداب (أي: أهداب الرداء الذي يلبسه اليهودي عند الصلاة)، ويعتقد بعض الباحثين أنه قد تم إضافة القسم الثالث الخاص بالأهداب في زمن متأخر.
(انظر "الشامي" رشاد عبد الله، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٢م ص، ٢٦٩).

(٢) ينتمي إلى الجيل الأول من علماء الجمارا في فلسطين.

ولا يستطيع أن يضع فيها الروح، والنسمة، والبطن، والأمعاء، بينما القُدُّوس تبارك ليس كذلك، فهو يخلق صورةً داخل صورةٍ، ويضع فيها الروح، والنسمة، والبطن، والأمعاء".

فيتضح مما سبق أن الروح والنسمة مِنَحٌ إلهيةٌ تولد قبل مولد الإنسان وعند الموت ترجع إلى الرب مرة أخرى، كما سبق وظهر أيضاً في النقاش الذي دار بين علماء التلمود حول طبيعة خلق الإنسان، ولم يميز علماء التلمود النفس عنصراً روحياً منفصلاً عن الروح والنسمة، فقد خَلَطُوا بين النفس والنسمة، كما جاءت الروح مرادفةً للنسمة.

أما في كتب التفاسير (مدراشيم) فقد خلط المفسرون بين ما ورد عنِ النسمة في صفحات التلمود وتفسيرهم للنسمة والروح والنفس، فقد جاء في تفسير الفقرة الواردة في لاويين ٤/ ١ "إذا أخطأت نفسٌ سَهْوًا"، تفسيرًا لصفات النفس وليس لصفات النسمة، فورد في تفسير اللاويين الكبير (ויקרא רבה פרשת ויקרא פסוק ד)[1]: "كيف وصف داود القدوس تبارك؟ وصفه كما وصف النفس، فالنفس تسري في الجسد، والقدوس تبارك يَسْرِي في الكون استناداً إلى ما ورد في إرميا ٢٣/ ٢٤ "أما أملأ أنا السموات والأرض": إن النفس تحمل الجسد، والقدوس تبارك يحمل الكون، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٤٦/ ٤ "قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل"، إن النفس خالدة والجسد فانٍ، والقدوس تبارك خالد، والكون فانٍ، استناداً إلى ما ورد في مزامير: ١٠٢/ ٢٦ "هي تَبِيدُ وأنت تبقى، وكلها كثوب تبلى". إن النفس وحيدة في الجسد، والقدوس تبارك وحيد في الكون ، استناداً إلى ما ورد في تثنية ٦/ ٤ "اسمع

(١) هو تفسير لسفر اللاويين ويؤرخ كتابته كلٌّ من يعقوب نيوسنير بالقرن الخامس الميلادي، فى حين يؤرخ ليوبولد زانز كتابته بمنتصف القرن السابع الميلادي. (انظر:
אנצקלופדיה יהודית דעת: ערך ויקרא רבה, אתר דעת ללמודי יהדות ו רוח)
(*www.daat.ac.il/encyclopedia/category.asp*).

يا إسرائيل الرب إلهنا إله واحد"، إن النفس لا تأكل داخل الجسد، والقدوس تبارك لا يأكل، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٥٠/ ١٣ "هل آكل لحم الثيران وأشرب دم التيوس"، إن النفس تَرى ولا تُرى، والقدوس تبارك يَرى ولا يُرى، استناداً إلى ما ورد في زكريا ٤/ ١٠ "إنها هي أعين الرب الجائلة في الأرض كلها". إن النفس طاهرة في الجسد، والقدوس تبارك طاهر في الكون، استناداً إلى ما ورد في حبقوق ١/ ١٣ "عيناك أطهر من أن تنظر الشر". إن النفس تحمل الجسد، والقدوس تبارك يحمل الكون، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٤٦/ ٤ "قد فعلتُ وأنا أرفع وأنا أحمل". إن النفس لا تنام في الجسد، والقدوس تبارك لا ينام، استناداً إلى ما ورد في مزامير: ١٢١/ ٤ "إنه لا ينعس ولا ينام"".

يتضح من النص أن صفات النفس عند المفسرين هي صفات النسمة عند علماء التلمود، فالنَّسَمَة عند علماء التلمود تتصف بأنها: تسري في الجسد، لا تُرى، وتَرى، طاهرةٌ، وهي كذلك عند المفسرين، في حين أضاف المفسرون للنفس خمس صفات أخرى، وهي: تحمل الجسد، تُبلي الجسد، وحيدة في الجسد، لا تأكل، لا تنام.

أما عن الروح فقد جاء في تفسير الفقرة الواردة في سفر الجامعة ١٢/ ٧ "ويعود التراب إلى الأرض كما كان، وتعود الروح إلى الرب الذي أعطاها"، فورد في تفسير تنحوما (מדרש תנחומא ויקרא סימן ח) النقاش نفسه الذي ورد في الجمارا في باب السبت (קנב. ב): "سأل أحد الصدوقيين الربي أباهو: لقد قلت: إن أرواح الأتقياء تحفظ تحت عرش الرب (كيف يتم ذلك؟)، فقال له (الربي أباهو): إن الروح خلال اثْنَيْ عَشَرَ شهراً بعد الموت تهيم بين السماء والأرض، لكن بعد انتهاء الاثْنَيْ عَشَرَ شهراً يكون الجسد قد تحلل، فتصعد الروح ولا تهبط مرة أخرى، أما أرواح الآثمين فإنها تظل هائمة ولا تجد لها مستقراً ولا موطئاً، ولا تصعد إلى المكان الذي استمدت منه إلا بعد اثْنَيْ عَشَرَ شهراً بعد أن يتحلل الجسد".

فالمفسرون - كما يظهر من النص السابق - استبدلوا كلمة "روح" بكلمة "نسمة" التي وردت في الجمارا، كما أدخلوا بعض الإضافات التي لم يشر إليها علماء التلمود مثل الحديث عن أرواح الآثمين، فالروح عند المفسرين تقيم في عالم عُلويٍّ، مثل النسمة عند علماء التلمود. في حين فسر آخرون نفس الفقرة الواردة في سفر الجامعة ١٢/٧ "ويعود التراب إلى الأرض كما كان، وتعود الروح إلى الرب الذي أعطاها" تفسيراً آخر، مؤكدين على أن الروح الواردة في الفقرة المقرائية يقصد بها النسمة، فورد في تفسير الجامعة الكبير (קוהלת רבה פרשה יב פסוק ז)[١]: "قال الربي شموئيل بر نحماني[٢] نقلاً عن الربي أفديمي: إذا سلم كاهن حريص على إخراج العشور (כוהן חבר كوهين حافير)[٣] نصيبه من المحاصيل الزراعية (תרומה التروما)[٤] إلى كاهن آخر غير حريص على إخراج العشور (כוהן עם ארץ كوهين

(١) هو تفسير لسفر الجامعة، يرجع زمن تدوينه بين القرن السادس وحتى القرن الثامن الميلادي.

(٢) ينتمي إلى الجيل الثاني أو الثالث من علماء الجمارا في فلسطين.

(٣) مصطلح "حافير" كان يشير في فترة الهيكل الأول إلى كل من يحافظ على أحكام الطهارة وعلى إخراج العشور، ولكن بعد خراب الهيكل الثاني ومع اختفاء أحكام الطهارة والنجاسة تغيرت دلالة هذا المصطلح وأصبح يطلق على من هو فقيه في أحكام التوراة، عكس مصطلح "عم هآرتس" أي "شعب الأرض" (انظر: "الشامي" رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٢ م ص١٢٣، "שטינזלץ" עדין: מדריך לתלמוד, מושגי יסוד והגדרות, בית הוצאת כתר ירושליים הדפוס התשיעי, 1988, דף 159).

(٤) التروما: مصطلح شرعي يعنى نصيب الكاهن من المحاصيل الزراعية وهو فريضة نصت عليها التوارة ولكنها لم تحدد مقدارها وقد حدده العلماء فيما بعد وجعلوه بنسبة واحد إلى خمسين من المحصول، ونظراً إلى أن التروما من (الأقداس) الأشياء المخصصة للرب، ولذلك يجب على من يأكل (التروما) أن يكون طاهرًا، وهي ليست من حق الكاهن فقط، بل يأكل منها أهل بيته ومَن يعولهم، فتشمل بذلك العبيد والبهائم، ومن يأكل التروما وهو نجس يستحق عقاب السماء (القَطْع)، وإذا تنجست التروما يجب أن تُحرق.

(انظر: "שטינזלץ" עדין: מדריך לתלמוד, 231).

عم آرتس)[1] فإنه يقول له: إنني طاهر، وبيتي طاهر، ومتاعي طاهر، والتروما التي أعطيتُك طاهرة، فإذا رددتها إلي طاهرة فهذا خير لك، وإن لم تردها إليَّ طاهرةً فسوف أُحرِقها أمامك، كذلك قال القدوس تبارك لآدم: أنا طاهر ومسكني طاهر، وشمسي طاهرة، والنَّسَمَة التي أعطيتُكَ طاهرة، فإن رددتها إليَّ طاهرةً فهذا خير لك، وإن لم تردها إليَّ طاهرةً فسوف أُحرِقها أمامَكَ". ويتضح من ذلك أن علماء التلمود والمفسرين الأوائل قد خلطوا بين النسمة والروح والنفس، بينما في كتب التفاسير المتأخرة مثل تفسير سفر التكوين الكبير (مدراش بريشيت ربا)[2] الذي تم إضافة أجزاء إليه في فترة متأخرة (القرن العاشر - الحادي عشر الميلادي) تظهر الإرهاصات الأولى لمحاولة التمييز والفصل بين العناصر الروحية (النسمة والروح والنفس)، فورد في تفسير سفر التكوين الكبير (בראשית רבה פרשה יד פסוק ט) في سياق تفسير الفقرة المقرائية الواردة في سفر التكوين ٧/ ٢ "ونفخ في أنفه نَسَمَة حياة، فصار آدم نفساً حية": "هناك خمسة أسماء للنفس وهي كالتالي: النفس – الروح – النَّسَمَة – الوحيدة – الحية: النفس هي الدم، استناداً إلى ما ورد في تثنية ١٢/ ٢٣ " لأن الدم هي النفس". الروح هي التي تصعد وتهبط، استناداً إلى ما ورد في الجامعة ٣/ ٢١

---

(١) عم هآرتس " شعب الأرض": كان يطلق هذا المصطلح في نصوص المقرا على سكان أيِّ مكان، وأطلق في سفر عزرا على الشعوب من عابدي الأوثان، أما في فترة المشنا والتلمود فقد أطلق هذا المصطلح على كل من ليس فقيهاً في أحكام التوراة، وبخاصة في أحكام النجاسة والطهارة والعشور، وأطلق على الذين لا يفقهون التوراة، وكان هؤلاء كثيرون للغاية، وبخاصة في القرى. (انظر: "الشامي" رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص٢٣٤).

(٢) هو أقدم أسفار التفسير الكبير "مدراش ربا"، فقد وضع علماء المشنا اللَّبِنة الأولى فيه، وفي فترة متأخرة تم توسيعه وإضافة أجزاء إليه، ومن ثَمَّ أطلقوا عليه الكبير، تمييزاً عن التفسير القديم، ومعظم علماء الجمارا الواردةِ أسماؤهم فيه من أرض فلسطين، وقلة فقط من بابل، ويبدو من أقوال راب شلومو يتسحاقي (راشي) أن تفسير سفر التكوين الكبير قد رتب في عصر هاي جاؤون (القرن العاشر – القرن الحادي عشر) (انظر: "أبو المجد" ليلى إبراهيم: كيف أصبح جبريل عدوًا لليهود، ص ٣١).

"من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق". النسمة هي مجموعة الخصال النفسية والروحانية في الإنسان، والتي تظهر من خلال أعماله وتصرفاته، فقيل - عنها في (برايتا): إنها الخصال الطيبة، الحية، لأن جميع الأعضاء تموت وهي التي تحيا في الجسد، الوحيدة، لأن جميع الأعضاء مزدوجة ما عدا هي المنفردة في الجسد".

يتضح مما ورد أن هناك خمسةَ أسماء للنفس تم تفسيرها فيما بعد على أنها أقسام للنفس وليست مجرد أسماء[1]، لكن بعض هذه الأسماء مجرد صفات مثل الحية والوحيدة، والبعض الآخر يمكن اعتباره أقساماً للنفس، مثل النفس والروح والنسمة، وذلك لأن كل قسم منها يتميز عنِ الآخر، ولعل هذا التميز لم يكن واضحاً بدرجة كبيرة في عصر التلمود، فجاء عن النفس في سفر التكوين الكبير أنها الدم الذي يجري في الجسد كله، وبالتالي فإنها ترتبط بالجسد وتَفْنَى بفنائه. وجاء عن الروح أنها تصعد وتهبط، وبالتالي فهي تتجول وتَهِيمُ بين السماء والأرض بعد انفصالها عن الجسد، في حين جاء عن النسمة أنها مجموعة الخصال النفسية والروحانية للإنسان، وبالتالي فهي بمثابة المرشد الديني له في حياته، وبالتالي فالنص يقدم ثلاثة عناصر روحية مختلفة عن بعضها البعض.

(١) حيث صنفها المفسرون والفلاسفة اليهود في العصر الوسيط على أنها أقسام وليس مجرد أسماء، ومن هؤلاء الفلاسفة الربي عزريئيل (١١٦٠م- ١٢٣٤م) الذي رأى أن هناك خمسةَ أقسام للنفس: الوحيدة، والحية، والروح، والنفس، والنسمة، والتي تقابل دروب الخلق الإلهية الخمسة: التاج، والحكمة، والفهم، والتقوى، والقوة، في حين يرى سعديا الجاؤون (٨٨٢م-٩٤٢م) أنها مجرد أسماء مرادفة للنفس، في حين يميز في كتابه "الأمانات والاعتقادات" بين ثلاثة أقسام: النفس، وتقابل قوة الشهوة، والروح، وتقابل قوة الغضب، والنسمة وتقابل قوة التمييز (انظر: (متولي) حنان كامل: النفس في القبالاه ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلادي، رسالة دكتوراة غير منشورة، إعداد حنان كامل متولي، تحت إشراف د. منى ناظم الدبوسي، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٣ ص ١٨).

ويمكن القول إن الموت كما ورد في مناقشات التلمود لم يختلف عما ورد في كتب التفاسير ويعني خروج المكونات الروحية المتمثلة في النفس أو الروح أو النسمة من الجسد، ولم يكن تصور علماء التلمود والمفسرين للعناصر الروحية واضحاً فلم يفرقوا بين النفس والروح والنسمة وخلطوا بينهم، وربما لم يظهر الفصل بين العناصر الثلاثة إلا في فترة متأخرة تعود إلى القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي.

أما عن الموت في الفكر اليوناني فكان التفسير السائد للموت في عصر هوميروس[1] والذي عبر عنه من خلال أعماله هو أن الإنسان كائن حي يتكون من ثلاثة مكونات: الجسد والنفس "thymos" والروح "psyche"، وما دام الإنسان حياً فإن هذه المكونات تعمل معاً في توافُقٍ واتِّساق، فإذا حدث الموت تفرقت هذه المكونات الثلاثة فيتحلل الجسد، وتَتَّحِد النفس بالهواء، في حين تتحول الروح إلى صورة غير واضحة المعالم عرفها اليونانيون باسم الطَّيْف، وبقُدوم الموت يتلاشى الإنسان بكل حيويته وفطنته وذكائه، ولا يبقى منه سوى طيف لا حول له ولا قوة[2]، فالإنسان عند هوميروس يملك اثنين من المكونات الروحية وهما:

النفس "thymos": وهي التي تَفْنَى عند الموت، وتَتَبَخَّر في الهواء.

---

(١) هوميروس **Homer** شاعر يوناني شهير وهو كاتب ملحمة الإلياذة والأوديسا، وقام بتخليد حرب طروادة شعراً بدقة متناهية والتي وقعت عام ١٢٥٠ ق.م، ولم يكتف بذلك حتى أنجز ملحمة شعرية أخرى تروي مغامرات أوديسيوس وهو عائد إلى وطنه بعد سقوط طروادة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

ويختلف المؤرخون حول تحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها هوميروس، فمنهم من يقول: إنه عاصر حرب طروادة وشارك فيها، أي: إنه عاش في القرن الثالث عشر ق.م أما أرجح الأقوال فتؤكد أنه عاش في القرن الثامن أو العاشر ق.م، أي: إنه لم يعاصر الحرب ومما يدل على ذلك عدم ورود اسمه بين أسماء المحاربين المشاركين في الحرب.

(Homer "Greek poet" from Britannica online Encyclopedia).
www.britannica.com/EBchecked/topic/270219/Homer

(٢) (كروان) منيرة عبد المنعم، العالم الآخر في المسرح الإغريقي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٩٠.

- (شورون) جاك، الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة إمام عبد الفتاح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٨.

الروح "psyche": وهي الروح الخالدة بعد الموت، ولقد ساد تصوران مختلفان في عصر هوميروس عن طبيعة تلك الروح: التصور الأول: أنها صورة من الإنسان وتمثل هذا التصور في تجسيد وتشخيص الروح وجعلها شكلاً ملموساً، حيث اتخذت شكل طائر أو ثعبان، وهاتان الصورتان هما الغالبتان على تجسيد الروح في الأساطير الإغريقية، والتصور الثاني: والذي أصبح أكثر انتشاراً في العصر الكلاسيكي الإغريقي حوالي القرن الخامس ق.م هو أن الروح عبارة عن ظل أو طَيْفٍ باهتٍ للإنسان المتوَفَّى، ويتضح ذلك من وصف الروح عند هوميروس، فورد في النيكويا (طقس تحضير الأرواح) وهو اسم يطلق على الجزء الحادي عشر من الأوديسا[1] أن أوديسيوس نزل إلى العالم السفلي في زيارة للموتى، وبذلك استطاع هوميروس أن يتخيل طبيعة الروح بعد الموت، فعندما حاول أوديسيوس أن يحتضن شبح أمه في العالم السفلي ثلاث مرات، كان في كل مرة يحتضن الفراغ، فالأشباح التي صادفها أوديسيوس كانت عبارة عن أطياف خيال وهي تشبه صاحبها تماماً في كل شيء حتى في الحجم، وهذا ما جعل أوديسيوس يقول: "عجباً في العالم السفلي (هاديس) يملكون روحاً (بسيخي) أو شكلاً أو شبحاً ولكنهم بلا حياة".

وفي حين تظهر الروح على الآثار نموذجاً مصغَّرًا للميت في أثناء حياته، فإنها تظهر أحياناً على القبور مرسومة في هيئة مجنحة، أي إن اليونانيين يجمعون بين فكرة تجسيد الروح وتشبيهها بالطائر، ووصفها كظل باهت للإنسان المتوفى[2].

(١) الأوديسا: ملحمة شعرية وضعها هوميروس في القرن الثامن قبل الميلاد، تتكون من أربعة وعشرين جزءًا، تبدأ بنهاية حصار طروادة وعودة جميع المحاربين ما عدا أوديسيوس بطل الملحمة الذي يتعرض للعديد من المخاطر، ولكنه في نهاية الملحمة يعود إلى مدينة "ايثاكا".

(Homer "Greek poet" from Britannica online Encyclopedia).

(٢) - (عثمان) أحمد، طبيعة الروح وحياة القبور في الفكر الإغريقي، مجلة إبداع العدد الخامس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مايو ١٩٩٤م، ص١٤.

- Nilsson (Martin.p), A History of Greek Religion, translated from Swedish by F.J.Fielden Oxford, Clarendon press 1925 p 102 103

ويُعرِّف أفلاطون[1] الموت بأنه انفصال النفس عن الجسد بحيث يظل الجسد بمفرده وتظل النفس بمفردها. فيرى أفلاطون أنه ينبغي على الفيلسوف من جهة ألا يُعنَى بالجسد ولا بما يتعلق به من مُتَع، ومن جهة أخرى يبتعد عنه عندما يتجه إلى اكتساب العلم، فالجسد عند أفلاطون يعتبر عَقَبَةً أمام الوصول إلى المعرفة وذلك بسبب الآلام والملذات التي يتعرض لها الجسد، وبالتالي يشغل النفس عن طلب المعرفة، وهكذا فإن النفس لا يمكنها أن تقترب من العلم إلا إذا ابتعدت عن الجسد وانعزلت عنه وتجمعت في ذاتها ولن يحدث ذلك إلا بالموت.

لذلك يحدد أفلاطون صفات للنفس والتي لا تتضح إلا إذا انفصلت عن الجسد وهذه الخصائص هي:

- الاستقلال أو الحرية.
- الوضوح واكتمال الرؤية.
- الارتفاع عن الزمن (أي: إن مولدها يسبق مولد الجسد).

---

(١) فيلسوف يوناني عاش بين ٤٢٨ق.م-٣٤٧ ق.م، كانت كتاباته على شكل محاورات ورسائل عَبَّرَ من خلالها عن أفكاره، مستعيناً بشخصية سقراط، حيث ترك أفلاطون حوالي ثمانية وعشرين حواراً تنقسم كالتالي:

- المحاورات المبكرة: التي يظهر فيها سقراط شخصيةً أساسية، يقوم بمناقشة قضية ما، ويترك القارئ لكي يستنتج.
- المحاورات الوسطى: التي يظهر فيها سقراط شخصيةً أساسية، ويقوم بالرد على أسئلة مطروحة أمامه.
- المحاورات المتأخرة: يظهر فيها سقراط شخصيةً ثانوية، وقد يغيب عن الحوار تماماً.

وأهم هذه المحاورات بالنسبة إلى موضوع الدراسة هي محاورات "فيدون" أو "في الروح" وهي من المحاورات الوسطى، ويبدأ سقراط الحوار بمحاولة البرهنة على خلود الروح، وينهي الحوار بعرض شامل لمفهوم العالم العلوي والمصير الذي تواجهه الروح بعد الموت. (أفلاطون: الموسوعة العربية، المجلد الثاني دار الفكر دمشق سوريا، نسخة إلكترونية www.arab-ency.com).

وهي كلها صفات تقابل صفات المعرفة والتي لا يمكن اكتسابها إلا من خلال الموت، أو بتعبير آخر انفصال النفس عن الجسد[1].

وبناءً على ذلك يقسم أفلاطون النفس البشرية عندما تكون متصلة بالجسد قبل الموت إلى ثلاثة أقسام:

- الشهوانية (Epithymia): ومقرها البطن وهي موطن الشهوة واللذة والألم، ومن ثم كانت فضيلتها الأساسية هي العفة أو ضبط النفس.

- الغضبية (Thymos): ومقرها الصدر، وهي موطن الغضب والشجاعة الحربية، وفضيلتها الشجاعة.

- العاقلة (Nous): ومقرها الرأس، ومهمتها التمييز بين أنواع الخير وتحقيق الخير الأسمى، وفضيلتها الحكمة، ويرى أفلاطون أن تلك النفس هبة من فضل الصانع ترمي إلى بث العقل في الكون[2].

في حين يرى أرسطو[3] أن الموت تَحَلُّلٌ للجسد والنفس معاً، وهو بذلك يقضي على فكرة استقلال النفس عن الجسد، فهو يرى أن النفس تختفي باختفاء الجسد، فإذا

---

(١) (كارس) جيمس: الموت والوجود، ترجمة بدر الديب، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٢.
- (شورون) جاك، الموت في الفكر الغربي، ص ٥٣.

(٢) (مبروك) أمل، فلسفة الموت، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٦٠.
- **(Daniels) Michael: Shadow, self, spirit: Imprint academic:1999: p161.**

(٣) عاش أرسطو طاليس بعد أفلاطون في الفترة من ٣٨٤ق.م- ٣٢٢ق.م، ومن أهم كتاباته: "في النفس" ٣٥٠ ق.م، والذي يعرض فيه طبيعة النفس، وينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول يتناول فيه ماهية النفس، والقسم الثاني يتناول فيه علاقة النفس بالجسد، والقسم الثالث يتناول فيه النفس العاقلة. (أرسطو: الموسوعة العربية، المجلد الأول دار الفكر دمشق سوريا، نسخة إلكترونية **www.arab-ency.com**).

تحلل الجسد بالموت، تحللتْ معه النفس، فالنفس هي مبدأ الحياة في الجسد المادي، وبالتالي فهي في حاجة إلى هذا الجسد المادي لكي توجد[1].

واستطاع أرسطو أن يُدَلِّلَ على أنه لكي يوجد أيُّ كائن، فلا بد أن يكون له جوهر وصورة أيضاً، وليس هذا فحسب، بل وأن يكون له عامل يكون بمثابة مصدر له قادرٍ على أن يُوَجِّهَهُ إلى التغير، وأن يكون له أيضاً غاية يوجد من أجلها، فالنفس ليس لها حال من الوجود على نحوٍ ما منفصلةً عن الجوهر المادي للجسد، فالنفس ترتبط بالجسد والشخص الموجود ليس هو النفْسَ في ذاتها أو الجسد في ذاته ولكنه الجسد وقد حركته النفس، وعندما يموت الشخص يتحلل الجسد وتتوقف النفس عن تحريكه، فيتلاشى الشخص[2]، وبالتالي يرفض أرسطو إمكانية تقسيم النفس، ويعارض التقسيم الثلاثي للنفس عند أفلاطون، وحجة أرسطو في ذلك أن النفس لوِ انقسمت فماذا عسى أن تكون علةُ وَحْدَتِها؟!

ولكن أرسطو في نهاية كتابه "النفس" يفرق بين عقلين في النفس الإنسانية: عقلٍ منفعلٍ، وعقلٍ فعَّالٍ، وإذ يصف العقل المنفعل بأنه فاسد، يصف العقل الفعَّال بصفات تميزه بأنه مفارق وخالد وأزلي وأنه يأتي للإنسان من الخارج فهو العنصر الإلهي الذي لا يَفْنَى عند الموت؛ ولذلك فهو أقرب شيء إلى العقل الإلهي، وبذلك لم يرفض أرسطو فكرة الخلود، ويقول: "إن هذا العقل ليس أحدَ القوى النفسانية التي لكل كائن حي، بل هو آت في الإنسان من الخارج، ثم مآلُهُ أيضاً إلى ترك الإنسان"[3].

---

(١) (مبروك) أمل، فلسفة الموت، ص ٦٠.

(٢) (كارس) جيمس، الموت والوجود، ص ٤٤-٤٥.

(٣) (الأهواني) أحمد فؤاد، كتاب النفس لأرسطو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ١٠٩.

- (شورون) جاك، الموت في الفكر الغربي، ص ٦٠.

بينما يرى أبيقور[1] أن العالم يتألف من ذرات غير مرئية وخالدة تختلف في الحجم والوزن والشكل، وثَمَّةَ ذراتٌ خاصة مستديرة ونارية توجد في الصدر وتشكل النفس، ومن هنا فالنفس هي نتاج تلاقٍ عرضيٍّ بين الذرات، وأنها تتحد مع الجسد وعند الموت تَفْنَى بفنائه، ولعل تعريف أبيقور للموت على أنه فناء للنفس والجسد معاً جعل من جميع المخاوف الدائرة حول معاناة النفس أو عذابها بعد الموت أمراً لا أساس له[2].

ومن هنا فالموت في الفكر اليوناني يَعنِي انفصال المكوِّنات الروحية عن الجسد، لكن اختلفت التصورات اليونانية حول تلك المكوِّنات الروحية، فنجد أنها تتمثل عند هوميروس في النفس الفانية "thymos" والروح الخالدة "psyche" وتتمثل عند أفلاطون في النفس الشهوانية (Epithymia) والنفس الغضبية (Thymos) والنفس العقلانية (Nous) والتي يُمَثِّلُ كلٌّ منها قسماً مستقلاً بذاته والذي يبقى منها بعد الموت النفس الخالدة، بينما يرى أرسطو أن تلك المكونات الروحية تتمثل في النفس المرتبطة بالجسد والتي تفنى بفنائه والعقل المنفعل الذي يصفه بأنه فاسد والعقل الفعال الذي يصفه بأنه خالد وأزلي، بينما تتمثل تلك المكونات الروحية عند أبيقور في النفس التي تتكون من ذرات وعند الموت تتلاشى تلك الذرات، فتفنى النفس.

ولم يختلف ما جاء عن الموت في الديانة الزرادشتية[3] عنه في الفكر اليوناني فجاء

---

(١) فيلسوف يوناني عاش في الفترة من ٣٤٠ ق.م-٢٧٠ ق.م، وساد مذهبه لمدة ستة قرون، ذلك المذهب الذي تأسس حوالي ٣٠٧ ق.م. وظهر في عدد من رسائله منها: رسالة إلى بيثوكليس، والتي يعرض فيها تفسيره للظواهر السماوية المختلفة. ورسالة إلى مينويس، ويقدم فيها مذهبه الأخلاقي. رسالة إلى أدوميني، يصور فيها سعادته في مواجهة الموت. رسالة إلى هيرودوت، ويفسر فيها طبيعة العالم بأنه عبارة عن ذرات (انظر: أبيقور: الموسوعة العربية، المجلد الأول، دار الفكر دمشق سوريا، نسخة إلكترونية www.arab-ency.com).

(٢) (شورون) جاك، الموت في الفكر الغربي، ص ٦٥.

(٣) تعتبر الديانة الزرادشتية من أهم الديانات التي ظهرت في بلاد فارس ، والتي كان لها التأثير الأكبر على الديانة اليهودية، ولقد ظهرت هذه الديانة عام ٤٤٤ ق.م على الرغم من أن هناك من يرجع =

عن الموت في نصوص الأفستا[1] أنه خروج الروح من الجسد، كما ورد في (الياشت)

= وجود زرادشت إلى القرن التاسع ق.م. إلا أن أقدم تأريخ تم تسجيله للزرادشتية كان في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وحدده هيرودوت بعام ٤٤٠ ق.م في فترة الإمبراطورية الإخمينية (٦٤٨ ق.م-٣٣٠ ق.م).

(١) مجموعة النصوص الدينية الزرادشتية التي تعود إلى فترة الإمبراطورية الإخمينية، غير أنه ضاع العديد من هذه النصوص عندما احتلت قوات الإسكندر الأكبر المنطقة عام ٣٣٠ ق.م.

وتتشكل الأفستا التي تمثل مصدر الديانة الزرادشتية من:

- اليسنا (عبادة _ قرابين): وهي عبارة عن ٧٢ فصلاً، أهمها الفصول: من ٣٥ إلى ٤٢ التي تحتوي على "الجاتا" وهي تراتيل دينية تنسب إلى زرادشت تعود إلى القرن التاسع ق.م.
- ويسبراد (الصلاة إلى الرعاة): وهي عبارة عن مجموعة من النصوص الملحقة باليسنا والتي يجب أن تقرأ معها، وتتكون من ٢٤ فصلاً.
- ونديداد (ضد الأرواح الشريرة): وهي عبارة عن مناقشات بين أهورمزدا وزرادشت، تنقسم إلى ٢٢ جزءاً، أهمها الأجزاء ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٦، ١٧، ١٩ التي تهتم بالطهارة، وطهارة الموتى بشكل خاص.
- الياشت (التراتيل الدينية): وهي عبارة عن ٢١ ترتيلةً إلى أهورامزدا.
- خورد أفستا (الأفستا الأصغر): هو عبارة عن كتاب الصلاة الذي تم اختيارُ فِقْراته من مجموعة النصوص المختلفة.
- ملحقات الأفستا: هي عبارة عن المادة الواردة في نصوص الأفستا والتي لم تصنف ضمن أي جزء من الأجزاء السالف ذكرُها، وهي تحتوي على أكثر من عشرين جزءًا، أهمها الجزء الذي يسمى "الهادوخت ناسك" الذي يهتم بالموت ومصير الروح بعد الموت.

وهناك بعض النصوص الزرادشتية المتأخرة مثل:

- دنكيراد: العادات والمعتقدات الزرادشتية التي تعود إلى القرن العاشر ق. م.
- البندهيش: تهتم بالفكر الأُخروي في الزرادشتية حيث تعرض المعركة النهائية بين أهورامزدا وانجرامينو، وتعود أغلب تلك النصوص إلى القرن الثامن ق. م، ولكنها لم تبلور بشكل نهائي إلا في القرن الثاني عشر الميلادي.
- ارداه ويراف: نص زرادشتي يصف رحلة "ويراف" إلى العالم الآخر، أما عن تأريخ هذا النص، فلم يحدد بالضبط، إلا أنه يعود إلى فترة الإمبراطورية الساسانية (٢٢٦م-٦٥٠ م).

((Boyce) Mary (Editor),Textual Sources for study of Zoroastrianism, university Chicago press:1984, p1-8).

الترتيلة الواحد والعشرون:"سوف نأتي ونراك يا زرادشت حيث الطريق إلى هذا العالم إلى المجد الأكبر في عالم الأرواح حيث السعادةُ الدائمةُ للروح في الجنة، وذلك عندما تخرج الروح من الجسد"[(١)].

كما وُصف الموت في نصوص الأفستا بأنه انتقال من العالم المادي الذي تعد فيه الروح جزءًا منَ الجسد إلى عالم الأرواح الذي تنفصل فيه الروح عن الجسد حيث خلود الروح وفناء الجسد، فورد في الهادوخت ناسك الفصل الثاني: "عندئذ يسأل أحد الأتقياء الشخص الذي فارق الحياة قبله قائلاً: كيف فارقت الحياة أيها الرجل الصديق؟ كيف أتيت أيها الرجل الصديق من المسكن المليء بالبهائم والرغبات ومتعة الحب، من العالم المادي إلى عالم الأرواح، من عالم الفناء إلى عالم البقاء، وكم استمرت متعتك؟!

أجابه أهورامزدا[(٢)]: لا تسأله مثل هذا السؤال، فإنه غادر الطريق الموحش المليء بالخوف والحزن، حيث تعتبر الروح جزءًا من الجسد، والجسد جزءًا من الروح"[(٣)].

ويتضح مما ورد أن الديانة الزرادشتية لجأت بدورها إلى أسلوب الحوار لتشرح مفهوم الموت وهو نفس ما لجأ إليه علمـاء التلمود والمفسرون، نظراً إلى سهولة هذا

(1) (Adams) Ernest Austin, The Development of Biblical views on the General Resurrection of the dead, Thesis submited in Partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor in literature and philosophy in Bibical studies (new Testament), in the faculty of arts and philosophy at The Rand Afrekaans university, promotor: prof Jan du rand, oct 2001, p80.

(٢) أهورا مزدا إلهُ الخير في الديانة الزرادشتية، والذي يقابله دائمًا الشيطان أهيرمان إله الشر، ولقد وُصف أهورامزدا في نصوص الأفستا بأنه إله النور وعدو الظلام وجالب الحظ والخير والمحبة وكلِّ الصفات الحسنة. وعلى العكس من ذلك أهيرمان إله الشر والظلام وجالب الفقر والكوارث والآلام وجميع الصفات السيئة، ويعتبر أهورامزدا في الميثولوجيا الفارسية ابن "زورفان" الذي يقود مجموعة تتكون من سبعة مخلوقات إلهية تسمى "الامشاسبنتا".

(3) Avesta fragments: Hadhokht Nask, translated by James Darmesteter, from sacred books of The East , American edition 1898 – *www.avesta.org/fragment/hsbe.htm*

الأسلوب في توصيل المعلومة أو شرح المفهوم دون تحديد لشخصية السائل في كثير من الأحيـان ، ولكن قد يحدد شخصية مَن يجيب وهذا ما حـدث، ويعكس الجـواب أن الإنسان لا يُسأل عمـا حدث في حياته الدنيا بخروجه منها وانفصال روحه عن جسده.

أما عن أقسام النفس في الديانة الزرادشتية، فقد قسمت نصوص الأفستا النفس إلى قسمين:

- النفس الإلهية "الفرافاشي": وهي عبارة عن الأرواح المجردة التي تتولى حراسة ورعاية الأتقياء من رجال ونساء وأطفال، فهي أرواح الأتقياء وفي نفس الوقت تمثل نماذجهم العلوية بعد الموت، أي: إنها مصاحبة لهم في حياتهم، وعند وفاتهم تعود هذه الروح المرتبطة بالنور الإلهي إلى مقرها العُلويِّ، وهي تختلف عن روح الإنسان، بأنها لا تقدم حساباً عن أعمالها لأنها طاهرة، فهي التي ترشد الإنسان التقي إلى الطريق الحق وإلى الصواب.

- النفس البشرية "الداينا": وهي عبارة عن الروح المرتبطة بالجسد، والتي تعبر عن الوجود الشخصي في هذا العالم، كما أنها لا تفنى بعد الموت، فهي التي تحاسَب على أعمالها الدنيوية[1].

في حين تُصَوِّر نصوص "الجاتا" التي تعتبر من أقدم نصوص الأفستا تلك العناصر الروحية المكونة للطبيعة البشرية بصورة أكثر تعقيداً، فورد مصطلح "الفيانا" للإشارة إلى النفس البشرية، كما ورد مصطلح "المانا" للإشارة إلى العقل أو الوعي أو الفكر أو الذاكرة، كما ورد مصطلح "الداينا" للإشارة إلى النفس التي تُحاسَب على الأعمال الدنيوية.

(1) (Boyce) Mary, A History of Zoroastrianism, vol 1, Leiden Koln Brill, 1975, p117.
(Davies) Jon: Death Burial and Rebirth in religions of antiquity, london, Rutledge:1999:p42.

ويرى العديد من الباحثين أن "الفرافاشي" أي النفس الإلهية لم يكن لها وجود في نصوص الجاتا، إنما هي زرادشتية الأصل، كما يرون أن أصل تلك الكلمة هي "فرافاتي" وتَعني: الحارس وتنتمي إلى المعتقدات الشعبية التي تسبق تدوين نصوص الأفستا، فكانوا يعتقدون بأن "الفرافاشي" الخاص بالميت تحضر إلى الأرض لتأتي بأطعمة وملابس للميت[1].

أما النصوص الأوجاريتية فترى أن النفس تستقر في الصدر، فورد في أسطورة بعل[2]: "رفع الإله إيل صوته عالياً وقال: إنني أجلس الآن في راحة ونفسي تستريح في صدري، لأن بعل العظيم حيٌّ لأن ملك الأرض موجود". وبمجرد موت الإنسان تخرج هذه النفس "نفش npš" من الأنف على هيئة بخار منفصلة عن الجسد، فورد في أسطورة البطل الشاب أقهت[3] إن الإلهة عنات عندما أمرت خادمها بقتله قائلة: "من فوق أقهت سوف أطلقك، اضربه على اليافوخ مرتين، وعلى الأذن ثلاث مرات، واسفك دمه مثل الصياد، اجعل روحه تصعد مثل الرياح، اجعل روحه تصعد مثل النسيم، اجعل روحه تصعد مثل البخار من أنفه"[4].

(1) (Eliade) Mircea (Editor): The Encyclopedia of Religion, Macmillan publishing company, volume 7 , p. 136.

(٢) تحتوي هذه الأسطورة على سبعة ألواح، اختلف الباحثون حول ترجمتها وتفسيرها، فنجد أن الترجمات المبكرة مثل ترجمة فيرولود، تختلف عن الترجمات المتأخرة مثل ترجمة جنسبرج وجاستر وجوردون ودريفر، ولكن اتفق الباحثون حول ترتيب الأفكار داخل الأسطورة والتي تنقسم إلى أساطير عديدة، كالتالي: أسطورة بعل والمياه، ذبح عنات لأعداء بعل، بناء قصر بعل، الإله بعل والإله موت، عنات والجاموس.

((Hooke) S.H, Middle eastern mythology, Dover publications, 2004, p 79).

(٣) دونت تلك الأسطورة على ثلاثة ألواح، اثنين بحالة جيدة، أما الثالث فقد تحطم، وموضوع الأسطورة هو موت وبعث أقهت بن دانيال، فتبدأ الأسطورة بمحاولة حصول الإلهة عنات على قوس أقهت في مقابل حصوله على الخلود، ثم موته، وتنتهي ببعثه، وبعدها يتحطم اللوح الثالث.

((Hooke) S.H: Middle eastern mythology, p89).

(4) (pope) Marvine , Cult of the Dead at ugarit , in Gordon Douglas young (ed) Ugarit in retrospect, , Eisenbrauns, , 1981, p 159-179.

(Daniel) Glyn , A Short History of Archaeology (Ancient Peoples and Places), Norton and co INC, 1981, p135.

في حين لم تتطرق النصوص الأوجاريتية إلى وجود أقسام للنفس، فيرى أغلب الباحثين أن الكنعانيين اعتقدوا بوجود روح واحدة تفارق الجسد عند الموت وتستمر حَيَّةً حياةً بطيئة لا حركة فيها ولا متعة، وأن روح الميت تظل على اتصال وثيق بالجثمان الذي فارقته، وأن مصيرها متوقِّف على المصير الذي يُمْنَى به جسد الميت؛ ولهذا كان من الأمور ذات الأهمية القصوى أن يحفظ الجثمان من كلِّ ما يَمَسُّه، وتظل الروح تعيش بين (الريفاييم)، أي الظلال، طالما كان الجسد سليماً مودعاً في القبر[1].

بينما يرى فريقٌ آخَرُ من الباحثين أن الكنعانيين اعتقدوا أن الجسد لا تسكنه روحٌ واحدةٌ فحسبُ إنما يرون أن هناك "نفش" أي نفسًا مادية أخرى بالإضافة إلى الروح، وعندما يموت الإنسان لا يفقد سوى واحدة ويحتفظ في قبره وبالقرب من جسده بالنفس المادية التي تحتاج أن تأكل وتشرب وأن تتنزه وتتأمل الطبيعة؛ لذلك أقام الكنعانيون قبورهم غالباً على الشواطئ الصخرية المُطِلَّةِ على البحر[2].

أما عن النصوص التي خَلَّفَتْها حضارةُ الرافِدَيْنِ فيبدو فيها أن الموت هو المصير المحتوم للبشر، ومعه يتحول الجسد إلى جثة تتحلل وتُخَلِّفُ وراءها عنصرين: العنصر الأول هو الهيكل العظمي الذي يدفن في المقابر، والعنصر الثاني هو الشبح، أو الخيال، أو الظل، والمعروف بكلمة "أديمو أو أتيمو"[3].

ولقد أطلق سكان بلاد الرافدينِ على الموت تعبير "العودة إلى الطين" أو "العودة إلى التراب"، فالبشر في اعتقادهم خُلِقُوا منَ الطين الذي نفخ فيه الإله "نفس الحياة" كما ورد في النصوص البابلية والآشورية التي تروي كيفية خلق البشر: "منحوا الآلهة

---

(١) (كونتنو) ج: الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٥.

(٢) (مازيل) جان، تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية) ترجمة ربا الخش، دار الحوار للنشر، سوريا ١٩٩٨م، ص٣٣.

(3) (Eliade) Mirecea: The Encyclopedia of Religion, p. 136.

-: (بوتيرو) جان: بلاد الرافدين، ترجمة ألبير أبونا، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٠م، ص ٣٥.

البشر نفس الحياة". أو من الطين الممزوج بدم إلهٍ تمتِ التضحيةُ به من أجل هذه الغاية، فورد في النصوص البابلية والآشورية التي تروي تاريخ البشرية من الخليقة وحتى الطوفان: "وبفضل دم الإله أُضِيفَتْ "نفسٌ" إلى البشر بحيث تثبت أنهم أحياء دوماً بعد موتهم وهذه "النفس" كانت حاضرة هنا لحفظهم من النسيان"[1].

وهناك اعتقادٌ آخَرُ بأن نفس الإنسان عند موته تسكن في مكان ما داخل الجسد، حيث تمنحه دلائل الحياة، ثم تنتقل من جسده إلى مادة أخرى لتسكنها، مَثَلُها مَثَلُ الطيور التي تنتقل من مكان إلى آخَرَ لتجد مستقراً لها، ولعل فكرة تشبيه أرواح الموتى بالطيور فكرةٌ مصريةٌ قديمةٌ[2]:

فحضارة بلاد الرافدين لم تعترف بفكرة قسمة النفس، فالعناصر المكونة للطبيعة البشرية في بلاد الرافدين تتمثل في عنصرين: العنصر الأول هو الجسد والذي تشكل من الطين، والعنصر الثاني هو "النفس" التي نفخها الإله في الجسد، وعند الموت يتحلل الجسد، أما النفس فكان هناك اعتقادان بخصوصها، إمَّا أنها تُخَلِّفُ وراءها ظلاً أو طَيْفًا أو خيالاً أُطلِقَ عليه "اتيمو" وهذا هو الاعتقاد السائد، والاعتقاد الآخر أنها بعد الموت تنتقل من جسد إلى آخر.

وأما الموت في الديانة المصرية القديمة: فهو انفصال المكونات الروحية عن الجسد، فقدِ اعتقد المصريون القدماء في فترة الدولة القديمة وجودَ قوة ذات طبيعة خاصة تلازم الإنسان عند مولده وتسمى "كا" ويستقبل كل إنسان هذه الـ "كا" من

(١) (الشواف) قاسم: ديوان الأساطير، الكتاب الرابع، الموت والبعث والحياة الأبدية، نقله إلى العربية وعلق عليه، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي، لبنان، ٢٠٠١م، ص ٢٣.

- (ديلابورت): بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص٤٥.

(2) (Jastrow) Morris: The religion of Babylon and Assyria, Boston Ginn and company, volume 2, 1893, p324-330.

الإله رع، وما دامت معه هذه "الكا" وما دام هو رب الكا وأنه يغدو معها، فهو حي يُرزَق، ولا يستطيع رؤية هذه الـ "كا"، ويُعتقد أنها تشبه صاحبها تماماً، فإذا مات الإنسان هجرته الـ "كا"، على الرغم من أنه كان يرجو منها أن تظل معنية بالجسد الذي سكنته أمداً طويلاً، وأن تكون إلي جانب الميت من وقت إلى آخر على الأقل، وأن تبادر إلى مساعدته إذا دعاها فجاء: "إنك تعيش سعيداً للأبد وبجانبك الكا التي تخصك، إنها لن تَهجُرَك أبداً"، ولكن مع بداية فترة الدولة الوسطى ظهر عنصر روحانيٌّ آخَرُ بجانب "الكا" ليشير إلى الروح الخاصة التي تنفصل عن الجسد عند الموت يسمى "با"، وكان يصور على شكل طائر ليؤكد على فكرة صعود الملك المتوفى إلى السماء، فبعد أن تنفصل الـ "با" عن الجسد تصعد إلى السماء، مع صعود الملك المتوفى إلى السماء، فورد في نصوص الأهرامات[1]: "السماء تَلَبَّدَتْ بالغيوم والنجوم تُظلِم بعد رؤية الملك فلان، وظهور الـ (با) الخاصة به" أو أن هذه الروح تنفصل عنه بعد الموت وتسبقه في الصعود إلى السماء، ثم تتحد معه بعد صعوده إلى السماء، فورد

(١) مجموعة النصوص الدينية المصرية القديمة التي تعود إلى فترة الدولة القديمة، وهي في أغلبها منقوشة على جدران الأهرامات، وتصور تخيل المصري القديم لحياة ما بعد الموت، وصعود الملك بعد الموت إلى السماء، وتعد نصوص الأهرامات من أقدم الكتابات المعروفة في العالم.

وأقدم هذه النصوص هي النصوص الموجودة في هرم الملك أوناس (٢٣٥٦ ق.م-٢٣٢٣ ق.م) في سقارة، وأول نص أهرامات تم اكتشافه كان من هرم بيبي الأول (٢٢٤٦ ق.م-٢١٥٧ ق.م)، وتشكل هذه المجموعة من النصوص علم اللاهوت والأدب المصري القديم، ومنذ فترة أوناس آخر ملوك الأسرة الخامسة بدأت تلك النصوص تملأ الأهرامات الملكية في الدولة القديمة، وخصوصاً غرف القبور وغرف الانتظار، ومن الصعب تحديد تاريخ لتلك النصوص، وأول من قدم ترجمة لنص هرم أوناس وهرم تيتي هو جاستون ماسبيرو عام ١٨٨٢م، كما قام كورت سيت بنشر نصوص الأهرامات في قاموس اللغة المصرية عام ١٨٩٩م، ثم قام الفرنسي لويس سبليلرس بإعادة الترجمة عام ١٩٢٤م.

((Pinch) Geraldine: Handbook of Egyptian mythology, ABC Clio, 2002, p9)

في نصوص الأهرامات: "الملك (فلان) يسيطر على السماء، على أعمدتها ونجومها، الآلهة تأتيه منحنيةً، والأرواح ترافق (فلان) إلى الـ (با) الخاصة به"[1].

فالمصري القديم تَصَوَّرَ الموتَ انفصالَ كلٍّ من الـ "كا"، والـ "با" عن الجسد، ولكن لم تقتصر المكونات الروحية التي تشكل الطبيعة البشرية على كلٍّ من الـ "كا"، والـ "با" فحسب، بل تعددت تلك المكونات، فأغلب الباحثين جمعوا تلك المكونات في ثلاثي يضم: "كا"، و"با" و"خو" على النحو التالي:

- كا (ka) أي القوة الفاعلة: القوة الحيوية التي كانت تحتل المكانة الأكبر في فترة الدولة القديمة، والتي تولد مع مولد الإنسان، ولم يكن البشر وحدهم هم مَن يملكون "كا" بلِ الآلهة أيضاً، فكان الإنسان يمتلك "كا" واحدة في حين يمتلك الإلهُ أكثرَ من كا، فكان الإله رع يمتلك أربعين "كا"، وكانت الـ "كا" تصور على شكل يدينِ مرفوعتَيْنِ إلى أعلى في النصوص الجنائزية واقفةً خلف الملك لحمايته.

كما أنها بعد الموت تسكن دائماً بجوار الجسد، ولكن يمكنها أن تحيا مستقلة عن الجسد، كما يمكنها التحرك من مكان لآخر كيفما شاءت، ويمكنها تناول الطعام والشراب، فكان الطعام يُقَدَّم من أجل الـ "كا" فوق القبور، فإنها تَهْلِكُ إذا لم تقدم الطقوس الجنائزية من أجلها.

- با (ba) أي الروح: الروح الخاصة بالإنسان والتي ظهرت في فترة الدولة الوسطى، وكان المصري القديم يتصور أن مقرَّها القلب، وأنها تقيم بجوار الجسد بعد الموت، كما كانت تصور في النصوص الجنائزية على شكل طائر بجوار رأس الميت.

---

(١) أرمان (أدولف): ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ١٩٩٧م، ٢٣٦-٢٣٧.

- (دونان) فرانسواز و(زيفي) كرستيان: الآلهة والناس في مصر ترجمة فريد بوري، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م ص١٨٨.

- **(Morenz) Siegfried: Egyptian religion, Cornell university press, 1973, p206.**
- **The pyramid texts, translated by Samuel mercer From German translation: Longman green and co, 1952, 273.**

- خو(khu) أي النورانية: المكوِّن الروحي الحيوي الخالد في الإنسان، الذي يصعد إلى السماء بعد الموت ولكنه يرتبط بالـ "كا" ارتباطاً وثيقاً قبل الموت ويمكن أن يقيم في القبر بجوار الـ "كا" بعد الموت، كما يصور على شكل مومياء، فيأخذ الشكل المضيء المشرِق من الجسد، وأحياناً يشير إلى الكائنات السماوية التي تسكن بجوار الآلهة[1].

في حين يرى البعض الآخر من الباحثين أن المكونات الروحية في الديانة المصرية القديمة تتمثل في خماسي يضم "كا" و"با" و"خو" و"خايبت" و"سخم"، فلقد أضاف الباحثون إلى المكونات الثلاثة الأولى كلاً من:

- خايبت(khaibit) أي الظل: المكوِّن الروحيُّ الذي يرتبط ذكره في النصوص الجنائزية المصرية بكلٍّ من: الـ "كا" والـ "با".

- سخم(sekhem) أي قوة متحكمة: تعني "القوة" وترتبط دائماً بالـ"خو"، وتسكن بجوارها في السماء، ولكن لم يعرف وظيفتها بعد[2].

ويتبين من تعريفات الموت في حضارات الشرق الأدنى القديم وهي البيئة التي عاش فيها بنو إسرائيل، وتبلورت فيها تشريعات المشنا، وشرحت فيها هذه

---

(1) -(Eliade) Mircea: The Encyclopedia of Religion, volume 7:p. 136.

- (Van Voss) M. Heerma (Editor), D. J. (Hoens) (Editor), G. (Mussies) (Editor), D. Van Der (Plas) (Editor), H. Te (Velde) (Editor): Studies in Egyptian religion , Brill publisher, 1982, p20.

- Egyptian Book of The dead, translated by Faulkner Raymond, Chronicle books, 1994 , p 152.

(٢) - (صالح) عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣٦٥.

- (عويس) سيد، الخلود في التراث الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٦.

- (Budge) Wallis: Osiris or The Egyptian Religion of Resurrection, Kessinger publishing: part2, 2003, p133.

- (Budge) Wallis: Egyptian Religion, Cosimo publisher, 2005, p165.

التشريعات، التي جاءت في الجمارا وكتب التفاسير اليهودية، يتبين أن هناك اتفاقًا في تعريف الموت بأنه انفصال العناصر الروحية عن العناصر الجسمانية المكوِّنَةِ للطبيعة البشرية، ولكن اختلفت تلك العناصر الروحية من حضارة إلى أخرى، فقد أشار علماء التلمود والمفسرون إلى وجود ثلاثة مكونات روحية وهي "النسمة" و"الروح" و"النفس"، ولكنهم لم يُفرِّقوا بينها إلا في فترة متأخرة تعود إلى ما بعد القرن العاشر الميلادي؛ وذلك نتيجة تأثير الفكر الأفلاطوني على الفلاسفة اليهود في العصر الوسيط، الذي أثر بدوره على تفسير سفر التكوين الكبير، فقسم أفلاطون المكوِّناتِ الروحيةَ للإنسان إلى ثلاثة وهي: "النفس الشهوانية Epithymia" و"النفس الغضبية Thymos" و"النفس العقلانية Nous"، والتي تقابل المكونات الثلاثة في التلمود وكتب التفاسير.

كما قسمت الديانة الزرادشتية المكونات الروحية إلى قسمين: النفس الإلهية "الفرافاشي"، والنفس البشرية "الداينا"، ولم يتمكن أتباع زرادشت من أن يُفَرِّقُوا بين هذينِ المكوِّنَيْنِ في نصوص الأفستا. في حين تعد الحضارة المصرية القديمة أُولَى الحضارات التي حاولت تمييز المكونات الروحية، ولكنها لم تميز بينها في نصوصها، الأمر الذي جعل الباحثين يختلفون حول عدد المكونات الروحية، فالبعض يرى أنها خمسة مكونات، ويرى آخرون أنها ثلاثة فقط.

كما اختلف الباحثون حول ما إذا كانت الحضارة الكنعانية تعترف بقسمة المكونات الروحية أم لا، ففريق منهم يؤكد على أن الحضارة الكنعانية تَقْسِمُ المكوناتِ الروحيةَ إلى "نفش" أي: نفس مادية ترتبط بالجسد بعد الموت، و"روح" يفقدها الإنسان بعد موته، وفريقٌ آخَرُ يرى أن الحضارة الكنعانية لم تعترف بفكرة قِسْمَةِ المكونات الروحية وأن الإنسان يملك نفساً تفارق الجسد بعد الموت، بينما يرى العديد من الباحثين أن حضارة بلاد الرافدينِ لم تعترف بفكرة قسمة المكونات الروحية، فهي ترى أن المكوِّن الروحي هو "النفس" التي نفخها الإله في الجسد.

المبحث الثاني

النظرة إلى الموت

نظر علماء التلمود إلى الموت في سن صغيرة على أنه موتٌ غيرُ متوقَّعٍ (في غير أوانه)، وميَّزُوهُ عنِ الموتِ المتوقَّعِ (في أوانه)، فورد في باب الموسم الصغير (מועד קטן כח א) عندما تطرق النقاش بينهم حول طرق الموت فجاء: "إذا مات الإنسان وهو في الخمسين من عمره فإن موته يعتبر استئصالاً له من أرض الأحياء، أي: عقوبة إلهية وتسمى "كاريت"، وإذا مات وهو في الثانية والخمسين من عمره فإن موته شبيه بموت النبي صموئيل[1]، وإذا مات وهو في الستين، فإن موته مُقدَّر من السماء، فقال مر زوطرا: ومن أين نستدل على ذلك؟ من خلال ما ورد في سفر أيوب ٥/ ٢٦ "تدخل المدفن في شيخوخة (בכלח)" فكلمة في شيخوخة (בכלח) تساوي بحساب الجُمَّل ستين[2]. وإذا مات وهو في السبعين فإن موته هو موت الرجل المسنِّ، أما إذا مات وهو في الثمانين من عمره فإن موته هو موت القوة، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٩٠/ ١٠ "أيام سنينا هي سبعون سنة، وإن كانت مع القوة فثمانون سنة".

---

(١) لم يرد في نص العهد القديم شيءٌ عن موت النبي والقاضي صموئيل الذي حكم عام ٨٨٩ قبل الميلاد، فكل ما ورد عن موته في سفر صموئيل أول ٢٥/ ١ "ومات صموئيل فاجتمع جميع إسرائيل وندبوه ودفنوه، في بيته في الرامة"، ولكن علماء التلمود هم الذين أحصوا سنوات حياته، فورد في باب المقايضة "الموسم الصغير"، وجه صفحة ٢٨ (מועד קטן כח א): أن صموئيل مات وعمره اثنان وخمسون عاماً، وأنه حكم إسرائيل بمفرده لمدة عشرة أعوام، وحكمهم لمدة عام مع شاؤول، وعاش عامين حكم فيهما شاؤول بمفرده.

(אנצקלופדיה יהודית דעת: ערך שמואל הנביא, אתר דעת ללמודי יהדות ו רוח).

www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp.

(٢) حرف الباء يساوي اثنين، وحرف الكاف يساوي عشرين، وحرف اللام يساوي ثلاثين، وحرف الحاء يساوي ثمانية، وبالتالي يكون المجموع ستين.

ولكن اختلف العلماء حول الموت الذي يمثل عقوبة إلهية، فيرى رابا أنه إذا مات الإنسان وعمره ما بين الخمسين إلى الستين فإن موته يعتبر عقوبة إلهية، ولم يذكر أحدٌ ذلك احتراماً للنبي صموئيل الذي مات في الثانية والخمسين من عمره، ويستشهد رابا على ذلك بواقعة حدثت في عصره قائلاً: عندما بلغ راف يوسف الستين من عمره أقام احتفالاً لعلماء التلمود، وقال لهم: لقد نجوت من عقوبة الاستئصال "كاريت"، فقال له أبي: هنيئاً لك يا سيدي على نجاتك من عقوبة الاستئصال "كاريت".

فيتضح من النص السابق أن علماء التلمود فرّقوا بين موتٍ سابقٍ لأوانه وأطلقوا عليه "موت الاستئصال" "מיתת כרת" وموت آخر متوَقَّع "في أوانه" وأطلقوا عليه "موت مُقَدَّر من السماء" "מיתה בידי שמיים"، وبالتالي اختلفت نظرتهم إلى الموت بين اعتباره عقوبة إلهية على البشر بسبب ارتكابهمُ الآثام، واعتباره مصيرًا حتميًا قَدَرَّهُ الرب لجميع البشر.

ولكن في سياق آخر تطرق النقاش بين علماء التلمود إلى كيفية تنفيذ عقوبة الشنق، وهنا فرقوا بين طريقة أخرى للموت، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין נב ב): "يقول ربي: ذُكر في التوراة طريقتان من الموت، موت تتدخل فيه يد البشر، وموت آخَرُ مُقَدَّرٌ من السماء، وبما أن الموت المقَدَّرُ من السماء لا يترك أثراً على الإنسان كذلك الموت الذي تتدخل فيه يد البشر يجب ألا يترك أثراً على الإنسان".

فهنا جعل علماء التلمود الموت بيد البشر: "מיתה בידי אדם" أي: العقوبة التي تقررها دار القضاء على مَنِ ارتكب جُرْمًا، مثل الرجم أو الشنق، في مقابل الموت المُقَدَّر من السماء מיתה בידי שמיים"، ذلك الموت الذي اعتبره علماء التلمود في نفس النقاش نوعًا مِنَ العقوبة الإلهية ، فعندما تطرق الحديث إلى العقوبة التي تلحق بالكاهن الذي يخدم في المعبد وهو نجس، ورد في باب سنهدرين (סנהדרין פב ב):"سأل راف آحا بر هونا راف ششت: هل يطبق على الكاهن الذي يقوم بالخدمة في المعبد وهو نجس الموت المقدَّر من السماء أم لا يطبق عليه هذا الموت؟ فقال له: شرعنا أن الكاهن الذي يقوم بالخدمة في المعبد وهو نجس لا يأخذه الكهنة إلى دار القضاء،

لكن يخرجـونه من سـاحة المعبد ويضـربونه على اليافوخ (أي إنه يموت بيد البشـر، لا بيد السـمـاء)".

وبالتالي فإن الموت المقَدَّرَ من السماء يُنظَر إليه على أنه عقوبة إلهية، وكرر علماء التلمود ذلك في نفس النقاش، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין פט א): "شرع العلماء: هناك ثلاثة موتهم بيد البشر، وثلاثة موتهم مقدَّر من السماء، فالثلاثة الذين يحكم عليهم بالموت بيد البشر هم: من يتنبأ بأمر لم يسمعه، ومن يتنبأ بأمر لم يُبَلَّغْ به، ومن يتنبأ باسم عَبَدَةِ الكواكب.

من أين نستدل على تلك الأقوال؟ قال راف يهودا استناداً إلى ما ورد في تثنية ١٨/ ٢٠ "وأما النبي الذي يَطْغَى، فيتكلم باسمي كلاماً لم أُوصِهِ أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي".

فالمقصود بجملة "وأما النبي الذي يَطْغَى، فيتكلم باسمي" أي من يتنبأ بأمر لم يسمعه، والمقصود بجملة "كلاماً لم أُوصِهِ أن يتكلم به" أي: مَن يتنبأ بأمر لم يُبَلّغ به، والمقصود بجملة "والذي يتكلم باسم آلهة أخرى" أي: من يتنبأ باسم عبدة الكواكب، والمقصود بجملة "فيموت ذلك النبي" أي إنه يموت شنقًا بيد البشر.

والثلاثة الذين يُقَدَّرُ موتهم من السماء هم: من يُخفِي نُبُوَّتَهُ، ومن يرفض أقوال النبي، والنبي الذي لا يعمل بنُبُوَّتِهِ.

من أين نستدل على تلك الأقوال؟ قال راف يهودا استناداً إلى ما ورد في تثنية ١٨/ ١٩ "ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه".

فجملة "ويكون الإنسان الذي لا يسمع" يمكن قراءتها "لا يُسمع" وبالتالي تعني من يخفي نُبُوَّته، ويمكن قراءتها "لا يَسمع" وبالتالي تعني من يرفض أقوال النبي، والمقصود بجملة "لكلامي الذي يتكلم به باسمي" أي: النبي الذي لا يعمل بنُبُوَّتِهِ، والمقصود بجملة "أنا أطالبه" أي أنا أُقَدِّرُ موته من السماء.

فيتضح مما سبق أن علماء التلمود ينظرون إلى الموت المقدر من السماء على أنه عقوبة إلهية مَثَلُهُ مَثَلُ موت الاستئصال، ويتضح أيضاً من النقاش حول ابن النكاح الباطل، فورد في باب النكاح (קדושין עד ב) وتكرر ذلك في باب زواج الأرامل دون أبناء (יבמות מט א):"من هو المزير (ממזר) "ابن النكاح الباطل"؟ يقول الربي عقيفا[1]: هو كل من ورد عنه في تثنية ٢٣/ ٣ "لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب"، بينما يقول الربي شمعون التيماني: كل من فرض عليه عقوبة الاستئصال "كاريت" المقدرة من السماء، والتشريع يأخذ برأيه".

فيتضح مما سبق أن علماء التلمود نظروا إلى الموت بشتى طرقه سواء الموت المتوقع (في أوانه) الذي يُقَدِّرُهُ الرب في سن الستين أو غير المتوقَّع (في غير أوانه) أو الذي يُقَدِّرُهُ الرب في سنٍّ مبكرةٍ على أنه عقوبة إلهية، بينما تغيرت هذه النظرة في كتب التفاسير، فأصبح الموت هو المصيرَ النهائيَّ والحتميَّ لجميع البشر، ويشير المفسرون إلى تلك النظرة في سياق تفسيرهم للفقرة المقرائية الواردة في راعوث ١/ ٢ "ومات اليمالك رجل نعمي"، فورد في تفسير راعوث الكبير (רות רבה פרשה ב פסוק ז)[2]:" ورد في (برايتا): إن الجميع مصيرهم الموت، وطوبى للإنسان الذي يخرج من هذا العالم بذكرى طيبة".

كما يرى المفسرون اليهود أن الموت هو المصير النهائي لجميع البشر سواء الأخيار منهم والأشرار، فورد في تفسير التكوين الكبير(בראשית רבה פרשת בראשית פסוק ט) في سياق تفسيرهم للفقرة الواردة في سفر التكوين ١/ ٣١ "ورأى الله كل

---

(١) ينتمي إلى الجيل الثالث من التنائيم.

(٢) راعوث الكبير(روت ربا) تفسير لسفر راعوث يعود بداية تحريره إلى فترة الأموراثيم تقريبًا قبل نهاية القرن الخامس الميلادي

(אנצקלופדיה יהודית דעת: ערך רות רבה, אתר דעת ללמודי יהדות ו רוח).

www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp

ما عمله فإذا هو حسن جداً": "قال الربي يوحنان[1]: لماذا كتب الموت على الآثمين؟ لأن الآثمين في حياتهم يُغضِبون الرب، استناداً إلى ما ورد في ملاخي ٢/ ١٧ "لقد أتعبتم الرب بكلامكم"، وبموتهم يتوقفون عن إثارة غضب الرب، استناداً إلى ما ورد في أيوب ٣/ ١٧ "هناك يَكُفُّ المنافقون عن الغضب"، بمعنى يكفون عن إثارة غضب القُدُّوس تبارك. ولماذا كُتِبَ الموت على الأتقياء؟ لأن الأتقياء في حياتهم يتصارعون مع غرائزهم، وبموتهم يتوقف هذا الصراع، فيستريحون، استناداً إلى ما ورد في أيوب ٣/ ١٧ "وهناك يستريح المتعبون".

فالموت هو المصير الذي كتبه الرب على جميع البشر سواء الأتقياء أو الآثمين، وبالتالي ينفي المفسرون النظرة التي تبناها علماء التلمود بأن الموت عقوبة إلهية، ففي حوارٍ بين الرب وموسى ورد في سياق تفسير الفقرة الواردة في تثنية ٣١/ ١٤ "وقال الرب لموسى هو ذا أيامكَ قد قربت لكي تموت" تتضح تلك النظرة بصورة أوضح، فورد في تفسير التثنية الكبير (דברים רבה פרשה וילך פסוק ד)[2]: "قال موسى للقُدُّوسِ تبارك: يا ربَّ العالمين، هل بعد كل هذا العِزِّ والمجد الذي شاهدتُهُ سوف أموت؟! فقال له القُدُّوس تبارك: "أيُّ إنسانٍ يحيا ولا يرى الموت؟!"(مزامير ٨٩/ ٤٨). ما المقصود بالجملة الواردة في مزامير ٨٩/ ٤٨ " أيُّ إنسانٍ يحيا ولا يرى الموت؟!"، قال الربي تنحوما[3]: المقصود أيُّ إنسانٍ مثل إبراهيم الذي نزل إلى أتون النار وخلصه الرب، وبعد ذلك ورد عنه في تكوين ٢٥/ ٨ "وأسلم إبراهيم روحه ومات". المقصود أي إنسان مثل

(١) ينتمي إلى الجيل الثاني من علماء الجمارا في فلسطين.

(٢) هو ليس تفسيراً لنص سفر التثنية، ولكنه عبارة عن شرح لسبعة وعشرين تشريعاً، يرجع إلى القرن العاشر الميلادي، ويرى ليوبولد زانز أنه يعود إلى القرن التاسع الميلادي (אייזענשטיין) יהודה דוד 'אוצר מדרשים' במהדורה מקוונת: כרך א| כרך ב| באתר

Hebrew Books (*www.hebrewbooks.org*).

(٣) ينتمي إلى الجيل السادس من علماء الجمارا في فلسطين.

إسحق الذي وضع رقبته على المذبح وبعد ذلك ورد عنه في تكوين ٢٧/ ٢ "إنني قد شِخْتُ ولا أعرف يوم موتي". المقصود أي إنسان مثل يعقوب الذي قابل المَلَك، وبعد ذلك ورد عنه في تكوين ٤٧/ ٢٩ "ولما قربت أيام إسرائيل أن يموت". المقصود أي إنسان مثل موسى الذي تحدث مع ربه وجهاً لوجه، وبعد ذلك ورد عنه في تثنية ٣١/ ١٤ "وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكي تموت"[١].

وفي تفسير آخر لنفس الفقرة الواردة في تثنية ٣١/ ١٤ "وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكي تموت": "قال الربي ليفي: ماذا يشبه هذا الأمر؟ إنه يشبه امرأة حامل حُبست في سجن، وأنجبت طفلاً داخل السجن، وعندما مر الملك أمام السجن، صرخ ابنها قائلاً: يا سيدي الملك لماذا أنا محبوس، فقال له الملك: أنت محبوس بسبب الجُرْمِ الذي ارتكبته أمكَ. كذلك قال موسى: يا رب العالمين هناك ستة وثلاثون إثمًا مَن ارتكبها استحق عقوبة الاستئصال "כרת"، فهل ارتكبت واحدًا منها؟! فلماذا كتبتَ عليَّ الموت؟! فقال له القُدُّوس تبارك: أنت تموت بذنب آدم، الذي جلب الموت إلى هذا العالم.

وما الإثمُ الذي اقترفه آدم؟ هو ما ورد في تكوين ٣/ ٢٢ "هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارف الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد".

---

(١) تكرر هذا الحوار الذي دار بين موسى وربه في كتب تفاسير (مدراشيم) مبكرة مثل سيفري دفاريم: "عندما قرب موسى على الموت قال لربه: لقد فعلت كل ما أمرتني به فلماذا كتبتَ علي الموت؟! فقال له الرب: ذلك هو حكمي الذي يسير على كل البشر".

وسفري اسم يطلق على اثنين من كتب التفاسير (مدراشيم) الخاصة بسفر العدد (سيفري بمدبار) وسفر التثنية (سيفري دفاريم)، وينسب تفسير سفر العدد إلى مدرسة الربي يشمعئيل، أما تفسير سفر التثنية فينسب إلى مدرسة الربي عقيفا، وتم بلورتها في القرن الثالث الميلادي (אייזענשטיין) יהודה דוד 'אוצר מדרשים' במהדורה מקוונת: כרך א | כרך ב | באתר.

فيتضح من هذا التفسير أن المفسرين يربطون بين الموت وعصيان الإنسان الأول -أي آدم- الأمرَ الإلهيَّ، ويرون أن الموت فرضه الرب على البشر عقابًا على معصية آدم، وبالتالي فالمفسرون ينظرون إلى الموت على أنه عقوبة إلهية مثلهم مثل علماء التلمود، ويتضح ذلك في تفسيرهم للفقرة الواردة في سفر اللاويين ٢٧/ ٢ "إذا أفرز إنسان نذراً فحسب تقويمك نفوساً للرب، فورد في تفسير اللاويين الكبير (ויקרא רבה פרשת בחוקותי פסוק ז): "قال الربي آمي[1]: ليس هناك خطيئة لا تستوجب الموت، وليس هناك ذنب لا يستوجب الآلام، ليس هناك خطيئة لا تستوجب الموت، استناداً إلى ما ورد في حزقيال ١٨/ ٤ "النفس التي تخطئ هي تموت"، وليس هناك ذنب لا يستوجب الآلام، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٨٩/ ٣٣ "أفتقد بعصا معصيتهم وبضربات إثمهم".

ويتضح مما سبق أن النظرة إلى الموت في التلمود وكتب التفاسير تراوحت بين كونه عقوبة فرضها الرب على البشر نتيجة ارتكابهم الآثامَ، كما ورد في التلمود، أو نتيجة ارتكاب الإنسان الأول لخطيئةٍ تحمَّلَها جميعُ البشر، وكونه مصيرًا حتميًا ونهائيًا لجميع البشر، كما ظهر في كتب التفاسير.

وهكذا اهتم علماء التلمود بدورهم بالبحث في ماهية الموت، وحاولوا توظيفه في تفاسيرهم وشروحهم ومواعظهم، وصوروه على أنه نوع منَ العقوبة؛ لذلك كان ردُّ الفعل الطبيعي أن يخافَهُ الناس ويخشوه، وخصوصاً الشباب منهم، فها هو الربي يوحنان بن زكاي[2] عند موته، لما أتى تلاميذه ليزوروه وهو على فراش الموت انفجر

(١) ينتمي إلى الجيل الثالث من علماء الجمارا في فلسطين.

(٢) واحد من كبار التنائيم في القرن الأول الميلادي، ومن أصغر تلاميذ الربي هليل الكبير، يُروى أنه عاش مائة وعشرين عاماً، أربعين عاماً كان يمارس فيها التجارة، وأربعين عاماً تعلم فيها التوراة والمشنا والجمارا، وأربعين عاماً قام فيها بتعليم بني إسرائيل الشريعة، وكان يتمتع بمنزلة كبيرة بين أبناء جيله، فقد شغل منصب رئيس السنهدرين، كما أنه شغل منصب الكاهن الأكبر، كما أسس في يفنه معهداً =

باكياً بكاء مُرًّا فدُهِشُوا وسألوه: يا سراج إسرائيل، يا أيها العمود الأيمن، يا أيها المِطْرَقَةُ القوية، لِمَ تبكي؟ فقال لهم إذا أخذوني اليوم إلى ملك من البشر الذي هو موجود اليوم وغداً سيكون في القبر وإن غضب عليَّ فإن غضبه ليس دائمًا، وإن حبسني فإن حبسه ليس دائمًا وإن قتلني فإن قتله ليس دائمًا فيمكن أن أُقنِعَهُ ببعض الكلمات أو أَرْشُوَهُ ببعض المال ومع ذلك فأنا أبكي الآن لأنهم يأخذونني إلي ملك الملوك القدوس تبارك الحي والقائم إلى الأبد الذي إذا غضب عليَّ فإن غضبه دائمٌ، وإذا حبسني فإن حبسه دائم، وإذا أماتني فإن موته أبديٌّ، ولا يمكنني أن أُقْنِعَهُ ببعض الكلمات، أو أَرْشُوَهُ بالمال، فليس أمامي سوى طريقين: طريقٍ إلى جنة عَدْنٍ، وطريقٍ إلى جهنم[1].

ويمكن أن أَسْتَشِفَّ من أقوال الربي يوحنان بن زكاي سببين لحزنه الشديد: السبب الأول: هو الخشية من أن يكون الموت هو المصيرَ النهائيَّ له من خلال كلماته "إذا أماتني فإن موته أبدي"، والسبب الثاني: هو الخشية من أن يكون الموت مَعْبَرًا إلى العذاب المُقِيم في جهنم.

ولعل الدعاء الذي يتلى قبل النوم يفسر أمرين:

الأمر الأول: نظرة علماء التلمود إلى النوم على أنه قرين الموت.

والأمر الثاني: خوفهم من الموت، فقد جاء في باب الأدعية (ברכות ס ב): "مباركٌ من أنزل خيوط النوم على عيني والسِّنَةَ على جفوني، من ينير بُؤْبُؤَ عيني، لتكن مشيئتك يا إلهي أن أَضطَجِعَ بسلام واجعل شريعتي نصيبي، وَجِّهْنِي نحوَ وصاياك، ولا تُوَجِّهْنِي نحو التعدي على حدودك، ولا تدفعني إلى الإثم أوِ الذنب، ولا تَبْتَلِنِي،

= دينيًا لدراسة الشريعة، أما تلاميذه الذين جاؤوا لزيارته فهم: إليعزر بن هيركانوس ويهوشع بن حنينا ويوسي كوهين وشمعون بن نتنئيل وإليعزر بن عيرخ (היימאן) אהרון מרדכי: תולדות תנאים ואמוראים، חלק שני، מכון פרי העץ ירושליים، תשמ"ז.

(١) ברכות כח ב باب الأدعية (براخوت) ظهر صفحة ٢٨.

ولا تجعلني موضع سخرية، واجعلْ غريزة الخير تسيطر عليَّ، ولا تجعلْ غريزة الشرِّ هي التي تسيطر عليَّ، ونَجِّنِي منَ الشرِّ، ومِنَ الأمراض الخبيثة، ولا تجعل الكوابيس والفِكْر الشرير يُفزِعُنِي، ولْيَكُنْ فِراشي (نسلي) صحيحًا أمامكَ وَأَنِرْ عيني، كي لا أنام حتى الموت، مباركٌ أنت يا من تضيء العالم كله ببهائك".

لذلك حاول علماء التلمود أن يتلمسوا جميع السُّبُل التي تضمن لهم طول العمر والتغلب على الموت، والبقاءَ أطولَ فترة ممكنة في الحياة الدنيا، فنجد تلاميذ الربي زكاي يسألون معلمهم عندما تطرق الحديث عن أحكام الصلاة: كيف يحظى الإنسان بطول العمر؟ فقال لهم: طوال أيام حياتي لم أتبولْ في مسافة الأربعة أَذْرُع المخصصة للصلاة، ولم أنعتْ صاحبًا لي بلفظ يَشِينُهُ، ولم أُفَرِّطْ في شعائر السبت، كما يسأل تلاميذ الربي بريدا معلمهم في نفس السياق: كيف يحظى الإنسان بطول العمر؟ فقال لهم: طوال أيام حياتي لم يسبقني أحد إلى المعهد الديني "بيت مدراش" ولم أَسْبِقْ كاهِنًا في تلاوة الدعاء ولم آكل من ذبيحة لم يُخَرَج منها أنصبة الكهنة[1].

وفي سياق آخَرَ تطرق نقاش علماء التلمود إلى ضرورة الإطالة في الدعاء، فقال الربي يهودا: هناك ثلاثة أمور تطيل عمر الإنسان وهي: الإطالة في الصلاة، والإطالة في تناول الطعام، والإطالة في المرحاض[2].

وكثيرة هي النصوص التي تتحدث عن التطلع إلى الحياة ورفض الموت والخشية منه إما من منطلق أنه المصير النهائي للأحياء وليس بعده حياة أخرى، أو من منطلق أنه يؤدي إلى العذاب المقيم في جهنم، وبالتالي ينظر إليه على أنه عقاب إلهي.

بينما اختلفت النظرة إلى الموت في **الفكر اليوناني** وَفْقًا لاختلاف العصور، فكان يُنظَر إلى الموت في أعمال ١١١١ هوميروس على أنه المصير الحتمي الذي يلحق بجميع البشر، حتى الأبطال المحاربين الذين هم قريبون للغاية من الآلهة في أعمالهم

(١) מגלה כז ב اللفيفة (مجلاه) ظهر ص ٢٧.

(٢) ברכות נד ב باب الأدعية (براخوت) ظهر ص٥٤.

وإنجازاتهم يدركون تماماً أن مصيرهم النهائي هو الموت، فيقول أخيلاس في الأوديسا: "لكن الموت يحلق من فوقي، إنها قوة القَدَرِ القاهرة".

واختلف الباحثون فيما بينهم حول ما إذا كان هذا المصير الحتمي يثير قلق اليونانيين القدامى أم لا، فيرى بعض الباحثين أن الموت لم يكن مخيفاً لليونانيين القدامى، وقد يكون تصوير الموت على هيئة شاب يحمل شعلة مُنَكَّسَة في اليونان القديمة هو الذي أوحى إليهم بفكرة التصالح مع الموت.

غير أن بعض الباحثين عارضوا وجهة النظر تلك، مؤكدين على أن أعمال هوميروس نفسها عبرت عن الخشية والخوف من الموت، فعندما يتحدث أخيلاس مع أوديسيوس في العالم السفلي يقول له: "أناشدك يا أوديسيوس ألا تتحدث عن الموت برفق، فإذا كنت تعيش على الأرض عبداً لآخَرَ، خيرٌ لك من أن تعيش مَلِكًا لا ينازعه سلطان في مملكة الأشباح اللاجسدية".

وربما يعكس ما سبق أسباب الخشية من الموت، فلم يعتقد اليونانيون القدامى أن الموت هو النوم في سكينة وسلام، أو أنه الوجود الأفضل والأكثر سعادة في العالم الآخر، بل كانوا يعتقدون أن الموتى يصبحون أشباحاً لا تَدُبُّ الدماء في عروقها، تَهِيمُ ضائعةً في العالم السُّفْلِيِّ[1].

وبينما نظر هوميروس إلى الموت على أنه المصير الذي يلحق بجميع البشر، فإن هسيودوس[2] - الذي كان معاصراً له - ينظر إلى الموت على أنه عقوبة يفرضها الرب على البشر، فيقسم هسيودوس التاريخ إلى خمس مراحل على النحو التالي:

---

(١) - (شورون) جاك: الموت في الفكر الغربي ص٦٢.

(٢) شاعر يوناني يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد، ويرى الباحثون أن هوميروس وهسيودس هما الشاعران الإغريقيان اللذان خُلِّدت أعمالُهما حتى هذه اللحظة، ولكن اختلفوا حول الفترة التي عاشا فيها، وأيهما يسبق الآخر.

(Hesiod "Greek poet" from Britannica online Encyclopedia).

العصر الذهبي وفيه عاش الناس في سعادة لا تدركهم الشيخوخة وعندما ماتوا كان موتهم أشبَهَ بنومٍ خالٍ من الآلام، ويتبعه العصر الفضي وهو أحطُّ من العصر الأول وفيه مات البشر بعد بلوغهم المائة عام، ثم العصر النحاسي وفيه حارب الناس بعضهم بعضًا، فعاقبهم الرب بالموت، ثم خلق زيوس جيلاً من الأبطال الذين حاربوا في طروادة وبعد موتهم سكنوا جزر الأبرار، وأخيراً العصر الحديدي عصر الحزن والبغضاء لا راحة فيه لأحد من الأسى والإرهاق نهاراً، والحزن ليلاً.

يتضح من ذلك أن اليونانيين نظروا إلى الموت على أنه قرين للنوم، ومن تحبهم الآلهة تجعل موتهم نوماً هنيئاً خالياً من الآلام، ولكن في أحيانٍ أخرى يكون الموت عقاباً تنزله الآلهة بالبشر، لسوء سلوكهم وفسادهم، مثلما حدث في العصر النحاسي[1].

في حين ينظر أفلاطون إلى الموت على أنه الوسيلة التي يتمكن الفيلسوف من خلالها أن يفكر جيداً وأن يصل إلى المعرفة الحقيقية، وذلك لأن حياة الفيلسوف تميل دائمًا إلى تأمل الصور والوصول إلى المعرفة، ولن يتمكن الفيلسوف من تأمُّل الصور تأمُّلاً حقيقياً ما دامت النفس سجينةً في الجسد، فلا بد من الخلاص منه أي لا بد من الموت – حتى يكون في مقدور المرء أن يتأمل الصور دون أيِّ تشويه، إذن فالموت عند أفلاطون هو جسر أو مَعْبَر ينتقل بالمرء من حياة النفس في الجسم إلى عالم الصور، فهو ليس النهايةَ بل هو بدايةُ الحياة الروحية الحقيقية، ويُصَرِّح أفلاطون بذلك قائلاً: "إن الطاهر لا يلمسه غيرُ الطاهر، فإذا أرادتِ النفس الوصول إلى الأشياء الخالصة، أي: إلى الحياة الروحية الحقيقية، فإن ذلك لا يتم إلا إذا تطهرَتْ، وما تطهيرها إلا أن تنعزل عن الجسد"[2].

(١) (كروان) منيرة عبد المنعم: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص١٠.
(٢) (مبروك) أمل: فلسفة الموت، ص ٥٩.

لذلك يرى أفلاطون أن الموت لا يمكن أن يكون أمراً مخيفاً للفيلسوف، أي: للشخص الذي يفكر بعمق، فهو يشير إلى أن الموت هو أقل موضوع يشغل به الفيلسوف نفسه قائلاً: "أريد أن أُبيِّنَ لكم كيف أنه من الطبيعي لرجل قد كرس حياته للفلسفة أن يكون فَرِحًا سعيداً في مواجهة الموت، واثقاً بأنه سيلقَى أكبر بركة في الحياة الأخرى عندما تنتهي حياته"[1].

وكما يشير أفلاطون إلى عدم الخشية من الموت، من خلال شخصية سقراط الذي لم يكن غاضباً ولا ثائراً لأنه على وشك الموت، وذلك لأنه يملؤه أمل قوي يعبر عنه في النقاط التالية:

- أنه سيلقى في العالم الآخر رجالاً آخرين وعلى الأخص آلهة طيِّبِينَ.
- أن هناك بعد الموت حياةً أخرى، وأن مصير الخَيِّرِينَ أفضل كثيراً من مصير الأشرار.
- أن الرجل الذي مارس الفلسفة سيجد بعد الموت خيراتٍ عُظْمَى[2].

في حين ينظر أرسطو إلى الموت على أنه الشر الذي يلحق بالبشر مثله مثل الفقر والمرض، لأنه يمثِّل نهاية الإنسان، والذي يمكن التخلص منه عن طريق الشجاعة، ويظهر ذلك في القصيدة التي أهداها أرسطو لذكرى صديقه هرمياس[3] قائلاً: "من الواضح أن الأشياء التي نخشاها هي أشياء فظيعة، وهي الشرور بصفة عامة، ولقد عرَّف العقلاء الخوف بأنه توقُّعُ الشر، ونحن الآن نخشى كل الشرور، مثل الفقر والمرض وفِقْدان الأصدقاء والموت، لكن الإنسان الشجاع لا تُقْلِقُهُ هذه الشرور، والآن نجد الموت هو أكثر الأشياء فظاعةً، لأنه النهاية، فلن يبقى بعد الموت شيءٌ

---

(١) (كارس) جيمس: الموت والوجود، ص١٩.

(٢) (قرني) عزت: أفلاطون فيدون في خلود النفس، ترجمة عن النص اليوناني، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٥، ص٢٣.

(٣) صديق أرسطو الذي درس الفلسفة معه على يد أفلاطون.

طيِّبٌ أو سيئٌ، لكن الرجل الشجاع لن يبدو قَلِقًا حتى إزاء الموت بكل أنواعه، سواء في البحر أو بسبب المرض أو في ميدان القتال، ومن اللائق أن يُطلَق على من لا يخشى مواجهة الموت شجاعاً"[1].

في حين ينظر أبيقور إلى الموت على أنه الفناء التام أو بمعنى آخر انعدام الشعور، فيقول أبيقور: "لا يصح أن نفكِّرَ في الآخرة، وهذا يجعلنا سعداءَ ويحرِّرُنا من الخوف، وليس الموت شَرًّا، لأننا إذا مِتنا فلا نكون، وإذا كنا فلا نموت، وإذا جاء الموت فلا يكون هناك شعورٌ، لأن الموت نهاية الشعور، ومنَ الحكمة ألا نخاف مما نعلم أنه عندما يأتي لا نشعر به".

كما يشير أبيقور إلى ضرورة عدم الخشية من الموت، لأن الخشية من الموت تظل عائقاً وعقبة كبرى في سبيل السلام العقلي، فيقول أبيقور:" ينبغي ألا نخاف من الظواهر الطبيعية ولا القَدَر ولا الآلهة، بل ينبغي ألا نخاف من الموت، ذلك لأن الخوف من الموت من فعل المُخَيِّلَة، نتخيل الجسم الميِّتَ ذا حساسيةٍ فيأخذنا الرعب من ظلام القبر وتَعَفُّن الجسم، أما الحكيم فيعلم جيداً أن الموت فَنَاءٌ تامٌّ، وأن الخلود مستحيل، فلا يفكر فيه ولا يَتَحَسَّر عليه، فالموت لا يعني شيئاً بالنسبة إليه، فالخير كله والشر جميعه يكمن في الحسِّ لكن الموت حرمان منَ الحسِّ ومِن هنا فإن الفهم الصحيح هو أن الموت لا يعني شيئاً بالنسبة إلينا".

كما يجعل أبيقور من فكرة القلق من انتظار الموت أمرًا لا أساس له من الصحة، فيقول أبيقور: "الإنسان الأحمقُ هو الذي يخشى الموت، ليس لأنه سيكون مؤلمًا عندما يأتيه الموت، ولكن لأن انتظاره مؤلمٌ فإذا لم يكن مؤلمًا عند حدوثه، فلا يثير انتظارُهُ إلا خوف أجوف"[2].

---

(١) (شورون) جاك، الموت في الفكر الغربي، ص٦٢.

(٢) (مبروك) أمل: فلسفة الموت، ص ٧٤.

(شورون) جاك: الموت في الفكر الغربي، ص٦٢.

في حين اختلفت النظرة إلى الموت في الديانة الزرادشتية عن النظرة إليه في التلمود وكتب التفاسير وأيضاً في الفكر اليوناني، فيرى بعض الباحثين أن أتباع زرادشت كانوا ينظرون إلى الموت على أنه الشر الذي خلقه "أهيرمان" في هذا العالم، في الوقت الذي خلق فيه "أهورامزدا" الحياة الأبدية والطبيعة الروحية للبشر بها في ذلك الروح الخالدة[١]، ويرى بعض الباحثين أن الديانة الزرادشتية تقوم على فكرة الثنائية، بمعنى وجود إلهين، إلهٍ للخير يسمى "أهورامزدا"، وإلهٍ للشر يسمى "أنجرامينو" أو "أهيرمان"، ويحاول أهورامزدا حشد مجموعة من الخالدين ليساعدوه في معركته الأخيرة ضد إله الشرِّ، وفي المقابل يستخدم "أهيرمان" العديد من أسلحته من أجل تلك الغاية، ويعتبر الموت أحدَ الأسلحة التي يعتمد عليها "أهيرمان" في مواجهة "أهورامزدا"، فهو الذي أرسل الموت على جميع البشر[٢].

كما يرى بعض الباحثين أيضاً أن هناك صراعاً بين الخير والشر، ويعتبر الموت هو السلاحَ اللا نهائيَّ الذي يستخدمه الشر ضد الخير، فإن حدوث الموت إنما هو إشارة إلى حدوث الشر"[٣]، فكان يُنْظَرُ إلى الموت على أنه النصر المؤقت للشر على الخير"[٤].

كما تؤكد المصادر الدينية الزرادشتية على تلك النظرة، فقد ورد في الونديداد[٥] الفصل الثاني والعشرون: "تحدث أهورامزدا إلى زرادشت المقدس قائلاً: أنا أهورامزدا خالق الخير، ولقد خلقت الفردوس (جاروثمان)، ولكن عندما ظهر جمالها وبهاؤها من بعيد، نظر إليها أنجرامينو خالق الموت، فابتلاني وابتلى جميع المخلوقات

(١) (إسماعيل) نوري: الديانة الزرادشتية مزديسنا، منشورات دار علاء الدين: ٢٠٠٣م، ص ٤٢.

(2) (Davies) Jon Death burial and rebirth in religion of antiquity, p42.

(3) (Hinnells) John: Zoroastrianism in Britain, oxford university, 1996, p114.

(4) (Balmer) martin: Faith in conservation,World Bank publishing, 2003, p147.

(٥) انظر هامش رقم ٣٢.

بالعديد من الأمراض"، وورد في الونديداد الفصل الأول: "تحدث أهورامزدا إلى زرادشت المقدس قائلاً: إن أول أرض خلقتها هي الأرض الطيبة، فجاء انجرامينو، خالق الموت، وخلق الثعبان في النهر، والأرض الثانية التي خلقتها هي السهول، فجاء انجرامينو، خالق الموت، وخلق الجراد الذي أمات الأغنام والنباتات"[1].

في حين يرى بعض الباحثين أن أتباع زرادشت كانوا ينظرون إلى الموت على أنه نوع من النجاسة التي تنتج عن هذا الشر، فيقول دوجلاس جيمس دافيز: "تحاول النصوص الدينية الزرادشتية أن تُجنِّبَ الإنسانَ الشرَّ، بحيث يظل طاهرًا على الدوام، فهي ترى أن جميع أنواع النجاسات إنما هي نتيجة مباشرة للشر، وأن أعظم هذه الشرور هو الموت، فيُنْظَر إلى الموت على أنه نصر لـ "اهيرمان"، وأن جثة الميت تحاط بالأرواح الشريرة، فالجثة تعد من أشد مصادر النجاسة، ويجب إقامة الطقوس الخاصة التي تجنب الإنسان تلك النجاسة"[2].

أما في أرض كنعان فتنظر الأساطير الأوجاريتية إلى الموت على أنه المصير النهائي لجميع البشر فالموت هو الهلاك الذي لا تَتْبَعُهُ حياةٌ أخرى، ويبدو ذلك من كلمات الاستغاثة التي وجهها البطل "أقهت" إلى الإلهة "عنات" يذكرها فيها بوعدها له بأن يحصل على الخلود فيقول: "لا تَكْذِبِي عليَّ أيَّتُها الإلهةُ العذراءُ، فما الذي يحصل عليه الهالك في النهاية؟! ماذا سيحل بالهالك في النهاية، فمِثْلَما يموت كل إنسان، سأموت أيضاً، نعم أنا أيضاً بالتأكيد سوف أموت ".

---

(1) Vendidad Translated by James Darmesteter, from Sacred Books of the East, American Edition, (New York, The Christian Literature Company, 1898). *www.avesta.org/vendidad/vd2sbe.htm.*

(2) (Davies) Douglas James: Death ritual and Belief, Continuum international, 2002, p82.

فيؤكد أقهت أن الموت هو النهاية الحتمية لجميع البشر، وأنه هلاكٌ لجميع البشر، فإن "موت" إله الموتى يبتلع جميع الأموات ولا يُبقِي على أحد، ويتضح ذلك من حديث "موت" عن طبيعته غير الانهزامية قائلاً: "إن روحي روح أسد، وشَهِيَّتِي مفتوحة إلى الأخضر واليابس، وأن أبتلِعَ جميع الموتى"[1].

كما يتضح في أسطورة الإله: "بعل" بعدما قام ببناء قصره، إن الإله "موت" بعث إليه برسالة تكشف عن الشهية الشَّرِهَةِ للموت (للإله موت)، ويدعو "بعل" إلى مَأْدُبَةٍ سيكون فيها هو الطبقَ الرئيسيَّ: "رسالة من "موت" المقدس، كلمة إلى ابن "إيل" البطل، إن شهوتي مثل الأسود في الصحارى، إن شهيتي مثل الحيتان في البحار". ولعل الربط بين الشهيةَ الشَّرِهَةَ للموت والهاوية كانت هي الفكرةَ السائدةَ في نص العهد القديم، فقد ورد في إشعياء ٥/ ١٤ "لذلك وَسَّعَتِ الهاويةُ نفسها وفغرت فاها بلا حدّ، فينزل بهاؤها وجمهورها وضجيجها والمبتهج فيها"[2].

كما يقترن الموت في النصوص الأوجاريتية بالنوم، كما هى الحال في الفكر الإغريقي وفي مناقشات التلمود وكتب التفاسير، ويتضح ذلك من خلال أسطورة البطل أقهت: "بكى دانيال على أقهت ابنه، ودفنه في مكان مظلم، دفنه في كفن من الكَتَّان، ورفع صوته صارخاً: بعل يكسر أجنحة النسور، يكسر أجنحتهم إذا حاولوا الطيران على قبر ابني، وإزعاجَهُ في نومه"[3].

أما نظرة البابليين والآشوريين إلى الموت فهي الأكثر تشاؤماً بين الحضارات، فيتضح من الأساطير البابلية أن الموت هو المصير المحتوم لجميع البشر، حيث ورد في

---

(1) - (Davies) Jon: Death burial and rebirth in religion of antiquity, p47.

(2) (pope) Marvine , Cult of the Dead at ugarit, p167.

(3) Tromp (Nickolas.J): Primitive Conceptions of Death and Nether world in the old testament, Ponetifical biblical Institute 1969, p12.

ملحمة جلجاميش[1] أن الموت خلق للبشر وأن الخلود للآلهة: "عندما خلق الآلهةُ البشرَ، خصصوا لهم الموت وجعلوا الحياة الأبدية من نصيبهم هم، فالنوم والموت سِيَّانِ ما من أحد رسم صورة للموت، ومع ذلك فالبشر منذ خَلْقِهِمْ وهم سجناؤه". فالموت هو المصير الحتمي لجميع البشر، حتى البطل الأُسطوريُّ جلجاميش سوف يَلْقَى نفس هذا المصير الذي لَقِيَهُ صديقه انكيدو من قبل، فورد في ملحمة جلجاميش: "أيُّ نوم هذا الذي غَلَبَكَ وتمكَّنَ منك، لقد طواك ظلام الليل، فلم تعد تسمعُني، فإذا مت فهل يكون مصيري مثل مصير انكيدو؟!"[2].

فالقلق الذي اعترى البطل جلجاميش من الموت، ليس له مثيلٌ في النصوص الأخرى التي تركها إنسان ما بين النهرين في ابتهالاته وتَوَجُّهِهِ إلى الآلهة أو في تعاوِيذِهِ لإبعاد ما يخشاه، وكان جُلُّ ما يخشاه هو معاقبةَ الإله له، بسبب تقصيره في أداء فروض عبادته، وبالأخص تقدُّماتُهُ وقرابينه للإله، ومرضه نتيجة هذا التقصير.

---

(١) في عام ١٨٥٤م اكتشف عالم الآشوريات جورج سميث:
- مجموعة من الألواح التي تتحدث عن مغامرات الملك جلجاميش.
- أسطورة الطوفان الملحقة باللوح الحادي عشر من ملحمة جلجاميش.
- أسطورة الخلق.
- أسطورة هبوط عشتار إلى العالم السفلي.

واكتشف اثني عشر لوحاً لملحمة جلجاميش أهمها بالنسبة إلى موضوع الدراسة، اللوح الثامن الذي يقدم لنا وصفاً لِحداد جلجاميش لصاحبه المتوفى "انكيدو"، واللوح التاسع الذي يوضح مدى خشية جلجاميش من الموت ومحاولة التخلص منه، واللوح العاشر والحادي عشر ويقدمان رحلة جلجاميش للبحث عن الخلود، واللوح الثاني عشر الذي= =يصف فشل جلجاميش في الحصول على الحياة الأبدية، واستدعاء شبح صديقه انكيدو للتعرف على أحوال الموتى في العالم السفلي.

((Hooke) S.H: Middle eastern mythology p 62).

(2) (Hinnells) Jon: Handbook of Ancient religions, Cambridge university press, 2007, p190.

(Davies) Jon: Death burial and rebirth in religion of antiquity, p42.

(شورون) جاك: الموت في الفكر الغربي، ص٦٢.

ويتمثل ذلك الخوف في ملحمة جلجاميش عندما يسأل جلجاميش صاحبة الحانة "سدوري" قائلاً لها: "الآن وقد رأيتُ وجهكِ يا صاحبة الحانة، دعيني لا أرى الموت الذي أَرْهَبُهُ على الدوام"[١].

وربما كان السببُ في الرهبة التي سيطرت على جلجاميش هو ما يُحْدِثُهُ الموت بالجسد، ويتضح ذلك من حديث جلجاميش عن صديقه انكيدو الذي فارق الحياة:

"انكيدو الذي كثيراً ما أحببته، والذي اجتاز معي العديد من التجارب، صَرَعَهُ المصيرُ المشتركُ الذي يصيب جميع البشر، ستة أيام وسبع ليال بَكَيْتُهُ، ورفضتُ دفنه، إلى أن سقطتِ الديدان من أنفه، عند ذلك بدأت أرهب الموت وأخشاه"[٢].

ولقد هز الموت المبكِّرُ إنسانَ ما بين النهرين، فقد فرقت الأساطير البابلية بين موت الشيخ الذي بلغ من الكِبَرِ عِتِيًّا، وبين موت الشابِّ في عنفوان الشباب، لكنَّ رَدَّ فِعْلِ إنسانِ ما بين النهرين عند وفاة الشباب ذهب إلى أبعد من ذلك، لأنه خَشِيَ وَفْقَ معتقداته أن يتحول مخزون الحياة وزَخَمُها عند الشاب الذي لم يصرف طاقته ولم يشبع رغباته الحياتية بسبب موته المبكر، خشي أن يتحول شبح الميت إلى شيطان يشكل خطراً على عائلته، وفي هذه الحالة كانت تقام طقوسٌ خاصَّةٌ بقصد تعويض الشاب المتوَفَّى عما حُرِمَ منه في حياته[٣].

ولم يَقتَصِرِ الخوفُ منَ الموت على البشر فقط وإنما انتقل إلى الآلهة، فحينما يعرف دوموزي[٤] أن مصيره الموت، يملأ الخوفُ قلبه ولا يفكر إلا بالاختباء لكي لا تكتشفه

(١) (الشواف) قاسم: ديوان الأساطير، الكتاب الرابع، الموت والبعث والحياة الأبدية، ص٢١.

(٢) المرجع السابق ص ٣٩٨.

(٣) المرجع السابق ص ٣٩٨.

(٤) الإله الراعي السومري الذي اختارته إلهة الخصب أنانا زوجاً لها، والذي أطلق عليه في الأسطورة البابلية اسم "تموز".

شياطين الموت، فيرثي حاله قائلاً: "غمرتْ قلبَهُ الدموعُ، فعاد إلى السهوب، غمرتِ الدموعُ قلبَ الفتى، فعاد إلى السهوب"(١).

وكما نظر البابليون والآشوريون إلى الموت على أنه المصير الحتمي الذي ينتظر جميع البشر، كذلك نظر المصريون القدماء، فورد في إحدى اللوحات التي تعود إلى الأسرة الخامسة (٢٥٦٠ ق.م-٢٤٢٠ ق.م) وتنتمي إلى "بتاح حتب"(٢): "لقد تَقَدَّمْتُ في السِّنِّ، وحَلَّتْ بي أعراض الشيخوخة، وأنا الآن قريبٌ من الرحيل (الموت)، وسيأخذونني إلى العالم الآخر"، فالموت هو المصير النهائي الذي لا يمكن الهروبُ منه، كما ورد أيضاً في لوحة تعود إلى الأسرة التاسعة عشر (١٣١٤ ق.م-١٢٠٠ ق.م): "أما بخصوص الموت فعندما ينادي على أحد، يذهب إليه على الفور، وقلبه يفزع منه"(٣).

لقد فزع الجميع من الموت حتى الأتقياء الذين كانوا يطمعون في مكانة قوية في العالم الآخر، والذين أعدوا لأنفسهم مكاناً جميلاً في وادي الصحراء (القبور) كانوا يفزعون من الموت، ويرهبون رسول أوزوريس(٤)، وذلك لأن لأوزوريس رُسُلاً ذَوِي نظرات شرسة، يطلبون الناس ولا يخشون أحداً من الآلهة ولا يعلم أحدٌ متى يأتيه هذا الرسول، وذلك على نحو ما قاله أحد حكماء الدولة الحديثة (١٥٥٠ ق.م-١٠٧٥ ق.م): "فكر في الموت، لأن رسولك يأتي إليك، لا تقل: إني لا أزال شابًّا،

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥.

(٢) بتاح حتب كان وزيراً ورئيساً للقضاة في منتصف عهد الأسرة الخامسة.

(3) (Zandee) Jan: Death as an enemy to ancient Egyptian conceptions translated from Dutch by W.F.Klasens , Brill leiden , 1960 , p 47.

(دونان) فرانسواز و(زيفي) كرستيان: الآلهة والناس في مصر، ص١٧٨.

(٤) إله البعث والحساب وهو رئيس محكمة الموتى عند قدماء المصريين، من آلهة التاسوع المقدس في الديانة المصرية القديمة.

ذلك لأنك لا تعرف (ميعاد) موتك، إن الموت يحضر ويأخذ الطفل الذي لا زال في المهد صبياً، كما يأخذ الرجل الذي شاخ"[١].

وكره المصريون الموت، كما يَتبَيَّنُ من الكتابة الموجودة على العديد من القبور، فعلى أحد الشواهد يخاطب أحدُ الموتى الأحياءَ الذين يَمُرُّونَ على قبره قائلاً: "أنت الذي تعيش وتَبقَى، يا من تحب الحياة وتَمقُتُ الموت، يا من تَمُرُّ بهذا القبر، كما تحب الحياة وتمقت الموت، هب لي كلَّ ما في يديك، وإن كنتَ صفرَ اليدين، فتحدث بفمك"[٢].

لذلك تجَنَّبَ المصري القديم ذِكْرَ الموت في نصوصه، فكان يذكره بصيغة النفي، فورد في نصوص الأهرامات: "الملك بيبي[٣] لم يمت موتاً بل جاء مُعَظَّمًا في الأُفُق" كما ورد: "إنك لن تموت، هذا الملك بيبي لن يموت، إنك تعيش، إنك تعيش، ارفعْ نفسك، إنك لن تموت"، وتخفيفاً من حِدَّةِ الموت ووَقْعِهِ على المصري القديم، اقترن ذِكْرُهُ بالنوم، فورد في نصوص الأهرامات: "فأنتَ تنام، لأنك سوف تستيقظ، وتموت لأنك سوف تحيا"[٤].

وللتخفيف من شدة وَقْع الموت على النفس، قام المصري القديم بصياغة بعض التعاويذ التي تهدف إلى حماية المتوَفَّى في العالم الآخر، فالموت يأتي ومعه تَوَقُّفٌ مؤقتٌ لكل دلائل الحياة، كأنه عطب مفاجئ يزول عند ممارسة بعض الطقوس الجنائزية، ويظهر ذلك من نقش يُعدِّدُ وظائف الجسم التي توقفت بالموت وأُعِيدَتْ لها الحياة

---

(1) (Assmann) Jan and (Lorton) David: Death and Salvation in Ancient Egypt, Cornell university press ; 2005 , p13.

(2) (Gardiner) Alan: Attitude of the Ancient Egyptian to death and dead, Cambridge university press, 1935, p6.

(٣) الملك بيبي الثاني خامس ملوك الأسرة السادسة (٢٢٤٦ ق.م- ٢١٧٥ ق.م).

(٤) (أحمد) بوساحة: حقيقة الموت في نظر الديانات، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م، ص ١٥، ص ٢١.

مرة أخرى، وهذا النقش يعود إلى الأسرة الثامنةَ عَشْرَةَ (١٥٥٠ ق.م-١٢٩١ ق.م): "لقد رُدَّتْ إليك عيناك لترى، أُذُناكَ لتسمع ما يقال، فَمُكَ ليتحدث، قدماك لتسير، ذراعاك وكتفك لتخدمك، لحمك صلب، عَرَقُكَ حُلْوٌ، أنت تتمتع بكل أعضائك، أنت تحسب أعضاءك كلها حينما تكون صحيحة، لا يوجد شرٌّ أنتَ قمتَ به، حقًّا إن قلبك معك، قلبك لك كما كان من قبل (كما الحياة الأولى) أنت تصعد إلى السماء"[١].

يتضح مما سبق أن النظرة إلى الموت في مناقشات التلمود وكُتُب التفاسير اختلفت عن النظرة إلى الموت في الفكر اليوناني وفي حضارات الشرق الأدنى القديم، فعلماء التلمود ينظرون إلى الموت على أنه عقوبة إلهية فرضها الرب على جميع البشر، حتى المفسرون الذين ينظرون إلى الموت على أنه المصير الحتمي لجميع البشر فيرجعون أصل هذا الموت إلى عقابٍ فرضه الرب على آدم، في حين كانت النظرة السائدة عند اليونانيين في عصر هوميروس هي أن الموت يعتبر المصيرَ الحتميَّ لجميع البشر، بينما ينظر إليه البعض على أنه عقوبة إلهية يفرضها الرب على البشر كما ورد عند هسيودوس وتَتَّفِقُ هذه النظرة مع نظرة علماء التلمود والمفسرين إلى الموت، ولكنها لم تكن النظرةَ السائدةَ بين اليونانيين.

وتختلف نظرة الفلاسفة اليونان، فينظر أفلاطون إلى الموت على أنه الوصول إلى المعرفة، في حين ينظر أرسطو إلى الموت على أنه نوع من أنواع الشر الذي يلحق بجميع البشر، لكن أبيقور ينظر إلى الموت على أنه فِقْدانُ الشعور.

أما أتباع زرادشت فينظرون إلى الموت على أنه الشر الذي خَلَقَهُ أهيرمان إلهُ الشرِّ، وتعد هذه النظرة قريبة إلى نظرة أرسطو إلى الموت، الذي ينظر إلى الموت على أنه نوع من الشر الذي يلحق بالبشر مثله مثل الفقر والمرض.

---

(١) (السيد) ماجدة: العالم الآخر ومكانه في المفهوم المصري القديم، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: جاب الله علي جاب الله: كلية الآثار جامعة القاهرة، ص ٨.

في حين ينظر الكنعانيون إلى الموت على أنه المصير النهائي الذي لا تتبعه حياة أخرى، لكن البابليين والآشوريين ينظرون إلى الموت على أنه المصير الذي قَدَّرَتْهُ الآلهة على البشر، مثلهم في ذلك مثل المصريين القدماء الذين ينظرون إلى الموت على أنه المصير الحتميُّ المقدَّرُ على جميع البشر ولكنه المَعْبَرُ المؤدِّي إلى الحياة الأخرى.

ويتضح مما سبق أن علماء التلمود والمفسرين وسكان بلاد الشرق الأدنى القديم يخشون الموت ويخافونه، ولعل أسباب الخشية من الموت اختلفت من حضارة لأخرى، فأحياناً تكمن الخشية من الموت في اعتباره المصيرَ النهائيَّ الذي لا تَتْبَعُهُ حياةٌ أخرى، كما عَبَّرَ الكنعانيون عن ذلك في أسطورة: "أقهت"، وكما عبر علماء التلمود عن ذلك في مناقشاتهم، أو أن سبب الخشية من الموت يعود إلى أنه يؤدي بالإنسان إلى مصير سيئ ينتظره، وقد عبر اليونانيون عن ذلك في أعمال هوميروس، كما أشار علماء التلمود في مناقشاتهم والمفسرون في كتب التفاسير إلى أن الموت يمكن أن يكون مَعْبَرًا إلى جهنم، أو ربما ترجع الخشية من الموت إلى ما يُحدِثُهُ من توقف لجميع دلائل الحياة، كما عَبَّرَ المصريون القدماء عن ذلك في نصوص الأهرامات، أو إلى ما يحدثه الموت بالجسد عند الموت، كما عَبَّرَ عنه البابليون والآشوريون في ملحمة جلجاميش؛ لذلك وُصف الموت في مناقشات التلمود والنصوص التي خلفتها حضارات الشرق الأدنى القديم بأنه كالنوم وذلك للتخفيف من شدة وَقْع الموت على النفس.

وعلى الرغم من أن خشية الموت هي النظرة التي كانت سائدة في الشرق الأدنى القديم، فقد شذَّ عن ذلك أفلاطون، فقد رأى في الموت الوسيلةَ التي تُمَكِّنُ الإنسان من الوصول إلى المعرفة، كما رأى أبيقور مع الموت فِقْدَانًا للشعور وبالتالي ينبغي عدم الخوف منه، أما المصريون القدماء فقدِ اعتبروا الموت مرحلةً انتقاليةً إلى حياة أخرى بعد الموت.

أما علماء التلمود والمفسرون فقد حاولوا البحث عن سُبُلٍ تُمَكِّنُهُمْ منَ الحياة أطولَ فترةٍ ممكنة وهذا يشير إلى عدم قَبُولِهِمُ الموتَ، كما اعتبره أتباع زرادشت نَوْعًا منَ

النجاسة والشر الذي يلحق بالإنسان، وراحوا يبحثون عن سُبُلِ التخلصِ من تلك النجاسة.

وبعدَ ما تم عرضُهُ في الفصل الأول من هذه الدراسة من تعريف للموت ونظرةِ علماء التلمود والمفسرين اليهود إليه في مناقشات التلمود وكتبِ التفاسير في ضوء ما ورد عن الحضارة اليونانية وحضارات الشرق الأدنى القديم، فسوف أتناول في الفصل التالي من هذه الدراسة طريقةَ إعداد جثة المتوفى قبل الدفن، والهدفَ منَ الدفن، وطقوسَ الحِدَادِ على الموتى، وشكلَ القبر في مناقشات التلمود، وفي كتب التفاسير، في ضوء ما ورد في الحضاراتِ موضوعِ الدراسة.

الفصل الثاني

دفـــن المـــوتى

المبحث الأول

دفن الموتى

يتناول هذا الفصلُ الهدفَ منَ الدفن، وخطواتِ إعدادِ جثة المتَوَفَّى قبل الدفن، وشكل القبر، وكيفيةَ العناية به، ومراسمَ الحِدَاد على الموتى، فقد أوصى علماء التلمود في مناقشاتهم بسرعة دفن الموتى في نفس يوم الوفاة، وألا تُترَكَ الجثةُ بدون دفن إلى اليوم التالي، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין מו ב) في سياق الحديث عن كيفية تنفيذ عقوبة الشنق والخطوات المُتَّبَعَة عند دفن من يُحْكَمُ عليه بهذه العقوبة والحداد عليه: "قال الربي يوحنان نقلاً عن الربي شمعون بن يوحاي[1]: من أين نستَدِلُّ على أن من يُبَيِّتُ مَيِّتًا له (دون أن يدفنه) فقد تعدى النواهي؟ استناداً إلى ما ورد في تثنية ٢١/ ٢٣ "بل تدفنه في ذلك اليوم"، وفي رواية أخرى ورد أن الربي يوحنان نقل عن الربي شمعون بن يوحاي قوله: من أين نستدل على أن دفن الموتى نَصَّتْ عليه التوراة؟ استناداً إلى ما ورد في تثنية ٢١/ ٢٣ " لأنك دفناً تدفنه في ذلك اليوم" من هنا يتضح أن التوراة نصت على ضرورة دفن الموتى ".

أما عنِ الهدف من الدفن فيرى علماء التلمود أن الإنسان يظل جسدُهُ طاهراً ما دام على قيد الحياة، فإذا فارقته الروح استحالت الأجساد إلى رجس ونجس، فلا يجوز لمسها، فورد في باب الذبائح (זבחים ק א) في سياق الحديث عن النجاسة التي تلحق

(١) ينتمي إلى الجيل الرابع من التنائيم.

بمن ينذر نفسه للرب، وتكرر ذلك في باب سنهدرين (סנהדרין לה א) في سياق الحديث عن تحريم تنفيذ عقوبات دار القضاء يوم السبت: "ورد في (برايتا): يقول الربي عقيفا: ورد في عدد ٦/٦ "كل أيام انتظاره للرب لا يأتي إلى جسد ميت" فكلمة "جسد" تشير إلى الموتى من الأقارب، وكلمة "ميت" تشير إلى الموتى من غير الأقارب، فمن ينذر نفسه للرب لا يتنجس بسبب أبيه، ولكن يتنجس من أجل الميت الذي ليس له أقارب، أما الكاهن فلا يتنجس من أجل أمه ولكن يتنجس من أجل الميت الذي ليس له أقارب".

لذلك لجأ علماء التلمود إلى وضع الوسائل التي تحول دون تعفن الجثة وتفادي النجاسة، فورد في باب نازير (נזיר נא א) في سياق الحديث عن النجاسات التي تلحق بمن ينذر نفسه للرب: "شرع العلماء: من هو الميت الذي تتعفن جثته (وبالتالي يسبب النجاسة)؟ إنه الميت الذي يُوضع عرياناً في تابوت من الرخام. أو يوضع فوق أرضية من البلاط، ولكن إذا وضع بردائه في تابوت من الرخام. أو دفن بردائه فوق أرضية من البلاط، فلن تتعفن جثته (وبالتالي لا يسبب النجاسة)".

كما أشار المفسرون إلى نجاسة الميت في تفسير تنحوما «מדרש תנחומא פרשת אמור» في سياق تفسيرهم للفقرة الواردة في لاويين ٢١/ ١ "وقال الرب لموسى: كَلِّمِ الكهنةَ بني هارون وقل لهم"، فقد تكرر في هذه الفقرة الفعل قال "אמר" مرتين، ويقصد به في المرة الأولى أن يقول موسى للكهنة: إنه يُحِلُّ لهم أن يَتَنَجَّسُوا من أجل الموتى من غير الأقارب، وفي المرة الثانية يقصد أن يقول موسى للكهنة: إنه لا يُحِلُّ لهم أن يَتَنَجَّسُوا من أجل الموتى من الأقارب".

ولم ير علماء التلمود والمفسرون أن الهدف من الدفن هو تجنب نجاسة الجثة فحسب، بل رَأَوْا فيه وسيلة تضمن بعث الميت، كما في الحضارة المصرية القديمة، فعملية الدفن كانت تهدف في المقام الأول إلى ضمان بعث الموتى، فورد في مواضع

عدة في التلمود أن كل من يدفن خارج أرض إسرائيل[1] لن يبعث، فورد في باب عقود الزواج (כתובות דף קיא א) في سياق الحديث عن العملة التي يتعامل بها المرء عندما يتزوج امرأة في أرض إسرائيل ويطلقها في أرض إسرائيل: "قال راف عنان: كل مَن يُدْفَنُ في أرض إسرائيل فكأنما دفن تحت المذبح (الهيكل) استناداً إلى ما ورد في خروج ٢٠/ ٢٤ "مذبحاً من تراب تصنع لي" وورد في موضع آخَرَ في تثنية ٣٢/ ٤٣ "ويصفح عن أرضه عن شعبه".

بل يتضح من إحدى الروايات أن من يموت خارج أرض إسرائيل لن يبعث حتى وإن دفن داخل أرض إسرائيل، فورد في نفس السياق: "حدث أن عولا كان معتادًا على زيارة أرض إسرائيل، ولكنه مات خارج أرض إسرائيل، وعندما أخبروا الربي إليعزر بذلك قال: يا عولا "وأنت تموت في أرض نجسة" (عاموس٧/ ١٧)، فقالوا له: إن نعشه وصل إلى هنا، فقال لهم: إن وصول الإنسان وهو حي ليس مثل وصوله بعد موته، فقال لهم الربي إليعزر: الأموات خارج أرض إسرائيل لن يبعثوا، استناداً إلى ما ورد في حزقيال ٢٦/ ٢٠ "وأجعل فخرًا في أرض الأحياء" وهذا يعنى أن أموات الأرض التي أشتهيها سوف يبعثون، أما أموات الأرض التي لا أريدها، فلن يبعثوا.

فالربي إليعزر الذي يعد من كبار معلمي المشنا (التنائيم) أي رواة الشريعة يرى أن الموتى خارج أرض إسرائيل لن يبعثوا من قبورهم، حتى وإن كان هؤلاء الموتى من علماء الشريعة (الربيين) أمثال "عولا"، ولكن لم يَقبَل معلمو الجمارا والمفسرون من بعدهم بهذا الرأي، وقالوا: إن الموتى خارج أرض إسرائيل سوف يتدحرجون عبر الأنفاق للوصول إلى أرض إسرائيل، ومن ثم سوف يبعثون من قبورهم، فورد في

---

(١) يتضح مما جاء في باب عقود الزواج الفصل الثالث عشر التشريع العاشر والحادي عشر أن "أرض إسرائيل" "ارتس يسرائيل" تطلق على أماكن تجمع اليهود والتي تتمثل في ثلاثة أقاليم وهي: عبر الأردن ويهودا والجليل.

مناقشات التلمود في باب عقود الزواج (כתובות דף קיא א) في سياق الحديث عن العملة التي يتعامل بها المرء عندما يتزوج امرأة في أرض إسرائيل ويطلقها في أرض إسرائيل كما ورد في تفسير تنحوما (מדרש תנחומא פרשת ויחי סימן א) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تكوين ٤٧/ ٢٩ "ولما قربت أيام إسرائيل أن يموت دعا ابنه يوسف وقال"، كما ورد ذلك في تفسير التكوين الكبير (בראשית רבה פרשת ויחי פסוק ג) في سياق تفسير نفس الفقرة: "روى الربي يرميا بر أبا[1] عن الربي يوحنان قوله: إن كل من يسير أربعه أَذْرُعٍ في أرض إسرائيلٍ فسوف يكون له نصيب في العالم الآتي، إذاً وَفْقًا لأقوال الربي إليعزر (بأن الأموات خارج أرض إسرائيل لن يبعثوا) فإن الأتقياء (إذا ماتوا) خارج أرض إسرائيل فلن يبعثوا، فقال الربي إلعاي[2]: (إنهم سوف يبعثون) وسوف تُدَحْرَجُ جثثهم (عبر الأنفاق إلى أرض إسرائيل)، فعارضه الربي أبا بشده قائلاً: ألا يعتبر التدحرج أمرًا مؤلمًا للأتقياء؟! فقال له أبّي: إن الأنفاق سوف تقام من أجلهم في الأرض، ولكن لماذا قال يعقوب لأبنائه ما ورد في تكوين ٤٧/ ٣٠ "بل أضطجع مع آبائي، فتحملني من مصر وتدفنني في مقبرتهم"، فقال قرنا: يوجد في هذه الفقرة معنى باطني فإن كان يعقوب أبونا يعلم لأنه تقي أن الأموات خارج أرض إسرائيل سوف يُبعَثُونَ، فلماذا أجهد أبناءه (لكي يدفنوه في أرض إسرائيل)؟ حتى لا تدحرج جثته في الأنفاق.

أما الهدف من دفن الموتى عند اليونان: فكان مجردَ أداء الواجب تجاهَ الموتى، بالإضافة إلى أنه يحفظ النظام العامَّ في عالم الموتى، فعالم الموتى لا يمكن أن يقبل بين جَنَبَاتِهِ روحاً لم تقم لصاحبها طقوس الدفن المتعارَف عليها، وعالم الأحياء لا يمكن أن يَستَقِرَّ ويسودَهُ الأمان وهناك روح هائمة لا تجد لها مستقَرًّا.

(١) ينتمي إلى الجيل الثاني من علماء الجمارا في بابل.

(٢) ينتمي إلى الجيل الثالث من علماء الجمارا في فلسطين.

وقد ظهر الهدفُ منَ الدفن عند اليونان في التراث الإغريقي كله، فكما ورد في الإلياذة[1] عند هوميروس أن أوديسيوس طلب من أخيليوس سرعة دفن جثمان باتروكلوس قائلاً: إنه يجب دفن الميت بعد يوم واحد من وفاته، وعندما يظهر شبح باتروكلوس لأخيليوس يطلب منه سرعة دفن جثته بقدر ما يستطيع حتى يتمكن من عبور نهر استيكس:" والآن بعد موتي يجب أن تقيم لي قبراً على وجه السرعة، لكي أستطيع عبور الهاديس"[2].

ولم يكن هذا هو هدفَ الدفن عند اليونانيين فحسب، بل كان الكنعانيون والبابليون يعتقدون أنه إذا لم يدفنِ الميت وَفْقَاً لأساليب الدفن السليمة والمتبعة، فإنه يهيم ولا يرتاح في قبره أو في العالم السفلي، فكان يسيطر على الكنعانيين فكرةُ أن الموتى يَنْعَمُونَ بنوم هادئ في قبورهم إذا تم دفنهم في باطن الأرض بشكل صحيح؛ لذلك كانوا يضعون موتاهم داخل القبور وكأنهم في وضع النوم، ويتضح ذلك من خلال أسطورة «أقهت»: "ليكسر بعل أجنحة النسور، ليكسر بعل عظام صدرها، إن هي طارت فوق قبر ابني، واختطفته من نومه"[3].

كما يرى البابليون أن الإنسان الذي لا يدفن وَفْقًا لأساليب الدفن السليمة لن يَنْعَمَ بالراحة في العالم السفلي، فورد في ملحمة جلجاميش عندما سأل جلجاميش شبح صديقه إيباني[4]: "هل رأيت الذي تركت جُثَّتُهُ في الصحراء (دون دفن)؟ نعم

---

(١) ملحمة شعرية تحكي حرب طروادة للشاعر اليوناني هوميروس ويعود زمن تأليفها إلى القرن الثامن قبل الميلاد وجمعت في القرن السابع قبل الميلاد.

(٢) (مطاوع) محيي الدين: الطقوس الجنائزية بين التقاليد والقانون في مدينة أثينا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، عن أعمال مؤتمر الكلاسيكية والدراسات البينية: كلية الآداب قسم الدراسات اليونانية واللاتينية: ٢٠٠٤م، ص٢٣٨.

(3) (Inch) Morris A and (youngblood) Ronald (Editor): The living and Active word of god, Eisenberauns , 1983 , p48.

(٤) صديق جلجاميش الذي أطلق عليه في الأسطورة البابلية "انكيدو".

رأيت شبحه في العالم السفلي لا يعرف الراحة، وهل رأيت الذي لم يبق لشبحه أحدٌ ليعتني به (في قبره)؟ نعم رأيته، إنه يأكل الحثالة والنفايات"[1].

أما الهدف من وراء دفن الموتى في الديانة الزرادشتية فهو لا يختلف عمَّا ورد في التلمود وكتب التفاسير، وإن اختلف الشكل إلى حد كبير، فالزرادشتية لها طقوسها الخاصة التي تتعلق بالموت، فالإنسان يظل جسده طاهراً ما دام على قيد الحياة، فإذا فارقته الروح استحالت الأجساد إلى رِجْسٍ ونَجَسٍ، فلا يجوز لمسها إلا بطقوس خاصة، كما أنه لا يجوز أن تدفن في باطن الأرض أو تُحْرَقَ بالنار أو تُلْقَى في مياه الأنهار لأن التراب والنار والماء عناصر مقدسة يَحْرُمُ تلويثُها بإلقاء النجس فيها.

وكان كل من يلمس جثة ميت يُعَدُّ مُلَوَّثًا ولا يَطْهُرُ إلا بعد طقوس دينية معقدة أشدَّ التعقيد، بل إن نجاسته هذه كانت تنتقل إلى كل من يخالطه، وبالتالي ينجسون غيرهم، فقد ورد في الأفستا أنه إذا مات شخص وكان يجلس بجواره وقت موته شخص آخر، فإن هذا الشخص الآخر قدِ ارتكب جُرْمًا لملامسته جُثَّةَ الميت، على الرغم من أنه لم يقصد أن يلمسه، ويجب عليه أن يُوَلِّيَ مُسْرِعًا حتى يصادف في طريقه أول رجل حي، فيقف على بعد منه، ويطلب منه بصوت مرتفع أن يطهره من خطيئته بعد أن يبين له مجمل ما حدث.

وإذا مات شخص يجلس في جماعة، فإذا كان الميت من رجال الدين انتقل الإثم إلى أقرب تسعة أشخاص منه، وإذا كان من رجال الحرب، فإنه ينتقل إلى أقرب ثمانية منه، وإذا كان من المزارعين، فإنه ينتقل إلى أقرب سبعة أشخاص منه، وإذا رفض شخص طُلب منه أن يقوم بالتطهير، فإن ثُلُثَ جُرْمِ اللمس ينتقل إلى ذلك الشخص، كما أن هناك دعاءً خاصًّا لتطهير الشوارع والطرق التي تلوثت من الجثة يسمى "كمنا مزدا"[2].

---

(1) (Farnell) Lewis: Greece and Babylon, readbooks , 2007 , p212.

(٢) (إسماعيل) نوري: الديانة الزرادشتية مزديسنا، ص ٥٩-٦٠.

أما المصريون القدماء فقد دفنوا موتاهم لكي يضمنوا بعثهم بعد الموت، فقد سيطرت على المصريين القدماء فِكرةُ الحياة الأخرى بعد الموت، فاهتموا بما يضمن لهمُ استمرارَ البقاء، فلم يكونوا يَتَخَيَّلُونَ استمرارَ بقائهم بعد الموت بدون الجسد؛ لذلك بذل المصري لآخرته ما لم يبذله لدنياه، وتراوحت وسائل المصريين لتأمين الحياة الأخرى بين الماديات والمعنويات تبعاً لتوالي العصور وتطور الإمكانيات وتطور الفِكْر والتصورات، فسادت الماديات في العصور المبكرة ثم غلبت المعنويات عليها شيئاً فشيئاً خلال العصور التالية، لكن دون أن تمحوها، فإلى جانب الارتقاء المستمر بعمارة المقابر وتوسيعها وتأمينها ضد عوادي الزمن واعتداءات الغير باعتبارها المساكن الباقية لجثث أصحابها، اقترنت الرعاية المادية في العصور المبكرة بتزويد المُتَوَفَّى في قبره بما يمكن تزويده من أواني الطعام والشراب، وما يعينه من الأدوات الضرورية، وبعض مقتنياته الثمينة الخاصة، وتماثيلَ صغيرةٍ رمزيةٍ لِخَدَمِهِ وجَوَارِيهِ إذا كان ثرياً، وهو ما يمكن تفسيره بالرغبة في إكرامه، وضمان بعثه بعد الموت[1].

وعلى حين علق علماء التلمود أملهم في البعث على أرض إسرائيل، باعتبارها أرضًا مقدسةً، فقد ربط المصريون القدماء بين بعث موتاهم ومدينة أبيدوس[2] المقدسة، فمنذ أن دفن ملوك الأسرة الأولى في مدينة أبيدوس، نشأ الاعتقاد بأن أوزوريس "أول سكان الغرب" كان يُعبَد في هذه المدينة، وكانت أهم أشلائه – وهي رأسه – مدفونة هناك في صندوق صغير، ولهذا فطوبى للموتى الذين كانوا يدفنون بالقرب من قبر الإله العظيم، فكان كل من يُدفَنُ في هذه المدينة، يعتبر نفسه من حاشية مَلِكِ الموتى (أوزوريس) وكان يطلق عليهم "عظماء أبيدوس ورجال

---

(1) (Frankfort) Henri: Ancient Egyptian religion, an interpretation Mineola, N.Y Dover publications, 2000, p 93.

(صالح) عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم، ص ٣٦٧.

(٢) إحدى المدن القديمة بمصر العليا، يرى بعض الباحثين أنها عاصمة مصر الأولى في نهاية عصر ما قبل الأسر والأسر الأربع الأولى، وتقع بين أسيوط والأقصر بالقرب من قنا.

حاشيته"؛ لهذا فإن أعز أمنية لكل مصري تَقِيٍّ أن يدفن في أبيدوس، وواقع الأمر أن كثيراً من المصريين من سائر الطبقات قد آثروا منذ نهاية الدولة القديمة (٢٦٨٦ ق.م-٢١٨١ ق.م) أن تكون مقابرهم في هذا المكان المقدس، أما من لم يكن يستطيع بناء قبره في أبيدوس فكان يَحْسُنُ به على الأقل أن يزور الإله في أبيدوس وأن يقيم فيها حجراً عند قبر الإله العظيم وينقش عليه اسمه[1].

ومن هنا يظهر أن شعوب الشرق الأدنى القديم قد اهتمت بدفن الموتى، وإنِ اختلف الهدف عند كل شعب، فلقد اجتمع اليونانيون والبابليون والكنعانيون على هدف الدفن، وهو ضمان راحة موتاهم في العالم السفلي، بينما اتفق علماء التلمود وأتباع زرادشت على أنَّ دفنَ الموتى يهدف في المقام الأول إلى تجنب النجاسة التي تخلفها جثث الموتى، في حين اتفق علماء التلمود والمصريون القدماء على أن الهدف من الدفن هو ضمان بعث موتاهم بعد الموت، ذلك الأمر الذي جعل علماء التلمود يَعْقِدُونَ أملهم على أرض إسرائيل، باعتبارها مكانًا مُقَدَّسًا يضمن بعثهم، والذي جعل المصريين القدماء يعقدون أملهم على مدينة أبيدوس، باعتبارها مكانًا مُقَدَّسًا يضمن بعثهم.

(1) (Breasted) James Hennery: Devefopment of relIgion and thought in ancient Egypt, university of Pennsylvania, Philadehia, 1972, p64.

(أرمان) أدولف: ديانة مصر القديمة، ص ٣٦٢.

المبحث الثاني
إعداد جثة الميت

تناول علماء التلمود في تشريعاتهم كيفيةَ إعداد جثة المتوفى، والخطواتِ التي يجب اتِّباعُها وذلك في سياق الحديث عما يَحِلُّ فِعْلُهُ أو يَحْرُمُ فِعْلُهُ في السبت، فجاء في باب السبت (שבת קנא ב – קנב א) : "في مقدور المرء أن يتعدى حدود السبت في أثناء الليل من أجل إحضار كل ما يلزم العروس وكل ما يلزم المَيِّتَ، من نعش وكفن، وإذا أحضر الغريب (من غير اليهود) الناي (من أجل إقامة طقوس الحداد على فرد من بني إسرائيل) يوم السبت فلا يحل للفرد من بني إسرائيل استخدامه إلا إذا كان قد أتى به من مكان قريب، وإذا صنعوا للغريب (من غير اليهود) تابوتًا أو حفروا له قبرًا، فيمكن للفرد من بني إسرائيل أن يوضع في هذا التابوت وأن يدفن في هذا القبر، لكن إذا صنعوا للفرد من بني إسرائيل تابوتًا أو حفروا له قبرًا فلا يمكن للغريب (من غير اليهود) أن يوضع في هذا التابوت وأن يدفن في هذا القبر. وَيَحِلُّ للمرء فِعْلُ كلِّ ما يلزم الميِّتَ (يوم السبت) من مسح بالزيت، وغسل بالماء، بشرط ألا يُحَرِّكَ عضوًا من أعضاء الجثة، كما يمكن إزاحةُ الوسادة من تحت رأس الجثة، كما يمكن وضع الجثة فوق الرمال (انتظاراً لإقامة طُقُوسِ الحداد على الميت حتى لا تتعفن الجثة)".

وشرح علماء التلمود هذا التشريع، فورد في الجمارا: "ماذا تعني جملة "كل ما يلزم الميت"؟ إنها تعني ما شرعه الربيون: تُحضَر أوعيةٌ باردةٌ وأوعية معدنية لوضعها على بطن الميت حتى لا تنتفخ، ويسدون جميع فتحات جثة الميت، حتى لا يخرج منه ريح، وهذا تفسير ما قاله سليمان في حكمته فورد في الجامعة ١٢/ ٦ "قبل ما ينفصم حبل الفضة" المقصود به الحبل الشوكي، "أو ينسحق كوز الذهب" المقصود به العضو الذَّكَرِيُّ، "أو تنكسر الجَرَّةُ على العين" المقصود المعدة، "أو تنقصف البَكَرَةُ

عند البئر" المقصود بذلك البراز أو الغائط، كما ورد في ملاخي ٢/ ٣ "هأنذا أنتهر لكم الزرع وأمد الفرث على وجوهكم فرث أعيادكم فتُنزعون معه".

كما شرع علماء التلمود في هذا السياق أيضاً: "يجب إغلاقُ فمِ الميِّتِ وربطُ حَنَكِ الميت، حتى لا تتسع (فتحته)، لكن لا ينبغي إغلاق عين الميت في يوم السبت، ولا في أيام الأسبوع الأخرى فى أثناء خروج النَّفْسِ، ومن يفعل ذلك فإنه سافك للدماء".

يتضح من خلال التشريع السابق وما تبعه من شرح أن خطوات إعداد الجثة للدفن تتمثل في غسلها بالماء، ومسحها بالزيت، ووضع أوعية معدنية على بطن الجثة، وسَدِّ جميع فتحات الجثة، ويتخلل ذلك إغلاقُ عينِ وفمِ الميت، ثم يَتْبَعُ ذلك تكفينُ الجثة، ويُفهَم مما جاء في إحدى الروايات الواردة في باب الأدعية (ברכות דף יח א) ضرورةُ تكفين الجثة بكفن من الكَتَّانِ، وذلك في سياق الحديث عن إعفاء أهل الميت من جميع الفرائض التي نصت عليها التوراة فى أثناء الدفن وفى أثناء إقامة مراسم الحداد: "رويت هذه الحادثة عن تقي (حاسيد) أعطى دينارًا لأحد الفقراء عشية رأس السنة في السنوات القحط: فأغضبته زوجته فذهب وبات في المدافن؛ فسمع اثنتين من الأرواح تتحدثان معًا؛ فقالت إحداهما لصاحبتها: تعالى يا صاحبتي نتجول في العالم، ونسمع من وراء الحجاب[1] ما سينزل بالعالم من كوارث. فقالت لها صاحبتها: لا أستطيع لأنني مدفونة في حصيرة من ألياف النبات؛ وليس في كفن منَ الكَتَّانِ، فاذهبي وأخبريني بما تسمعين. فذهبت وتجولت ثم رجعت. فقالت لها صاحبتها: ماذا سمعتِ يا صاحبتي من وراء الحجاب؛ قالت لها: سمعتُ أن كل من يزرع فى أوائل المطر[2] سيضربه البرد؛ فذهب (التقى) وزرع في الأسبوع الثالث من شهر مر حشوان؛ فأصيب زرع الجميع ولم يُصَبْ زَرْعُهُ".

(١) يفهم من السياق أن المقصود الحجاب الذي يحجب عرش الرب.

(٢) وهى الأسابيع الأولى من شهر مر حشوان الذي يتزامن مع آخر شهر أكتوبر وشهر نوفمبر من السنة الميلادية.

وبعد تكفين الجثة بكفن منَ الكَتَّانِ توضع داخل تابوت، وقد أوصى علماء التلمود بعدم نقل الميت من تابوت لآخَرَ، وضرورةِ إخراج الميت من مدخل البيت، فورد في باب الموسم الصغير (מועד קטן כה א) في سياق الحديث عن الأمور التي يَحْرُمُ القيامُ بها في أيام الحداد: "حدث أن مات الربي هونا[1] فوضعوا كتاب التوراة على تابوته، فقال راف حسدا: هل تفعلون معه الأمر الذي رفضه في حياته، فقد قال الربي تحليفا: ذات مرة رأيت بنفسي الربي هونا عندما أراد الجلوس على فراشٍ موضوعٍ فَوْقَهُ كتابُ التوراة، فإذا به يضع كتاب التوراة على جَرَّةٍ مقلوبةٍ ويجلس، وهذا يعني أنه يَحْرُمُ الجلوس على فراشٍ فَوْقَهُ كتابُ التوراة، وبعد ذلك لم يتمكنوا من إخراج تابوت الربي هونا عبر مدخل البيت، ففكروا في إخراجه عبر سطح البيت، فقال لهم راف حسدا: لقد تعلمت منه إن إكرام الميت هو إخراجُهُ عَبْرَ مدخل البيت، ففكروا في وضعه في تابوت أصغر، فقال لهم راف حسدا: لقد تعلمت منه أن إكرام الميت هو حمله على التابوت الذي تم تحديده له من البداية، فقاموا بفتح الباب على مصراعيه حتى تمكنوا من إخراج التابوت".

في حين لم يتعرضِ المفسرون في تفسير تنحوما (مدراش تنحوما) وفي التفسير الكبير (مدراش رابا) بأسفاره المختلفة إلى خطوات دفن الموتى، فكل ما أشاروا إليه هو تكفين الموتى ووضعهم داخل تابوت، فورد في تفسير التثنية الكبير(דברים רבה פרשת וילך פסקה ט) في سياق تفسيرهم للفقرة الواردة في تثنية ٣١/ ١٤ "وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكي تموت": قال القُدُّوس تبارك لموسى: إن جميع البشر عند نزولهم إلى القبر يدفنون في أدوات من صنع البشر في كفن وفي تابوت من صنع البشر، أما أنتَ فتدفن في كفن وتابوت من صنع السماء، وجميع الموتى يَعْتَنِي بهم أقاربهم وجيرانهم، أما أنت فأنا وملائكتي نعتني بك، استناداً إلى ما ورد في تثنية

(١) ينتمي إلى الجيل الثاني من علماء الجمارا في بابل.

٦/٣٤ "ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم".

كما أشار المفسرون أيضاً إلى أنه بمجرد خروج جثة الميت من البيت يُعَدُّ البيت نَجِسًا، فورد في تفسير العدد الكبير (במדבר רבה פרשת חקת פסקה א)[١] في سياق تفسيرهم للفقرة الواردة في عدد ١٩/ ٢ "هذه فريضة الشريعة": "ورد في أيوب ١٤/ ٤ "من يُخرج الطاهر من النجس، لا أحد" سوى الرب الواحد في هذا العالم الذي أخرج إبراهيم من تارح وحزقيا من آحاز.والعالم الآتي من هذا العالم، وكما شرعنا: ما دام الميت في البيت فإن البيت يُعَدُّ طاهراً، ولكن عندما يخرج الميت من البيت فإن البيت يُصبِح نَجِسًا، ومن حكم بذلك أليس هو الواحد في هذا العالم؟!".

أما عن طقوس الدفن عند اليونان فكان يقوم أهل الميت بغلق عينِ وفمِ المُتَوَفَّى من أجل التأكد من انفصال الروح عن الجسد، كما جرت العادة عند اليونان على وضع عملة نقدية من البرونز أو الذهب في فم الميت أو تدفن في القبر بجوار الجثة اعتقاداً منهم أن هذه العملة هي أجرة "خارون"[٢] مقابل نقل المتوفى عبر نهر "استيكس" إلى العالم السفلي[٣].

وبعد إغلاق الفم والعين تُغسَل جثة المتوفى، وكان غَسل الجثة من مهام نساء المنزل، وكان غَسل الموتى شبيهًا بحمام العروس يوم زفافها، ثم تُمسَح الجثة بالزيت،

(١) تفسير لسفر العدد يتكون من ثلاثة وعشرين فصلاً، يرجح الباحثون تعدد مؤلفي هذا التفسير، فيرجعون تأليف الفصول الأربعة عشر الأولى إلى مؤلف، والفصول التسعة الأخرى إلى وضع مؤلف آخر متأخر، ويبدو أنه يرجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

(٢) هو إحدى شخصيات الميثولوجيا الإغريقية وهو ابن ونيكس (الليل) وكان واجبه أن ينقل الموتى بقارب على نهر ستيكس (أخيرون)، مقابل العملة التي توضع في فم الجثة.

(٣) (مطاوع) محيي الدين: الطقوس الجنائزية بين التقاليد والقانون في مدينة أثينا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ص٢٣٢.

ثم تلف بقماش الكفن الذي يتكون من ثلاث قطع، ويصف هوميروس كيفية إعداد جثة باتروكلوس[١] قائلاً: "ومن ثَمَّ غَسَّلُوا الجثة ودهنوها بكثير من الزيت، ثم ملؤوا الجروح بعطر (معتق) منذ سبع سنين، ثم وضعوا الجثة داخل تابوت ولَفُّوهُا في كفن ناعم من الكتان من القدم إلى الرأس، ثم غَطَّوْهُا بوشاح أبيض"، لكن لم تلتزم العائلات اليونانية بهذا الكفن، بل تعددت أشكاله وألوانه، فكان يصور الكفن في بعض النقوش التي تعود إلى ما بعد القرن الرابع ق.م بلون رمادي أو بألوان مختلفة، كما انتشرت عادة تزيين رأس الميت بتاج في جميع أنحاء اليونان، وفي بعض الأحيان كان ينثر فوق الجثمان بعض النباتات العطرية مثل الكرفس والأعشاب الطبية، بهدف طرد الأرواح الشريرة، كما كان يوضع تحت تابوت الميت في القبر بعض فروع الكرم[٢].

وبعد ذلك توضع الجثة على الحامل الذي كان يشبه الأريكة ذات القوائم المرتفعة عن الأرض، وتُوَجَّهُ قَدَمُ المُتَوَفَّى ناحية الباب أو الشارع، وكان يوضع على باب الحجرة التي يوجد بها الجثة طاسةٌ بها ماء طاهر يُحضَر من منزل آخَرَ من أجل التطهر[٣].

---

(١) فَطرُقل هو الاسم المُعرب للبطل اليوناني الأسطوري باتروكلُس، وهو أحد شخصيات ملحمة الإلياذة الإغريقية. يعني اسم باتروكلوس في اللغة اليونانية "مجد الأب". حسب الأسطورة فإن فطرقل هو صديق لآخيل (آخيلوس) وقد قُتل فطرقل على يد هكتور خلال حصار طروادة لكن آخيل انتقم لمقتل صديقه فطرقل بقتل هكتور.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٣١.

(3) (Alexiou) Margaret, (Manolakis) Dimitrios and (Roilos) Panagiotis: The ritual lament in Greek tradition, , roman and Littlefield ,2002 p66 .

(Rhode) Erwin: psyche , , rout ledge press ,1925, p164.

(مطاوع) محيي الدين: الطقوس الجنائزية بين التقاليد والقانون في مدينة أثينا خلال القرن الخامس قبل الميلاد ص٢٣٢.

أما طقوس الدفن في الديانة الزرادشتية فكانت تقوم على إيمان أتباع زرادشت بأن عناصر الأرض من ماء وتراب ونار عناصرُ طاهرةٌ، فلا يجوز أن تدفن الجثة في باطن الأرض أو تُحرَق بالنار أو تُلْقَى في مياه الأنهار، لأن التراب والنار والماء عناصرُ مقدسةٌ، لا يجوز تلويثها بإلقاء النجس فيها، ولتفادي نجاستها بسبب جثث الموتى لا بد من إجراء خطوتين:

الخطوة الأولى: تتمثل في ترك الجثة في مكان عالٍ وجافٍّ ومهجورٍ، بحيث تَلْتَهِمُ الطيورُ الجارحةُ والكلاب والحيوانات المفترسة أجزاءَ الجثة القابلة للفناء على الفور. يليها الخطوة الثانية وتتمثل في جمع عظام الجثة، ووضعها في أواني والتخلص منها، بإلقائها داخل "الدخمة" أي أبراج الصمت[1].

فورد في نصوص الأفستا في الونديداد الفصل الخامس: "سأل زرادشت أهورامزدا: يا صانع العالم المادي، يا مُقَدَّسُ إلى أين تُحمَل جثث الموتى يا أهورامزدا؟ فقال أهورامزدا لزرادشت: أعلى القمم في المكان الذي يوجد به كلاب وطيور جارحة، يا زرادشت المقدس، هناك يربط عَبَدَةُ مزدا الجثة من القدم والشعر بالنحاس والأحجار أو الطين خشية أن تسحب الكلاب والطيور الجثة، وقد تأتي بعظامها إلى الماء أو إلى الأشجار"[2].

كما خصصت الزرادشتية طائفة معينة من الناس للقيام بطقوس التخلص من جثث الموتى وحملها إلى برج الصمت، ولا يجوز أن يستقل شخص واحد من هذه الطائفة بهذا العمل، بل يجب أن يشاركه اثنان آخران يشهدان عليه، وعلى الثلاثة أن يتطهروا بعد الانتهاء من عملهم ولا يجوز لهم أن يختلطوا بالناس[3].

---

(1) (Stausberg) Michael: Zoroastrian ritual in context, Brill publisher ,2003, p 594.

(2) Vendidad Translated by James Darmesteter, from Sacred Books of the East.

(٣) انظر: - (إسماعيل) نوري: الديانة الزرادشتية مزديسنا ص٥٩-٦٠.

ويشير بعض الباحثين إلى أن طقوس الدفن في الزرادشتية تقوم على أن الموت يعتبر من عمل الشيطان في العالم، فأجساد الأحياء تنتمي إلى أهورامزدا، بينما تنتمي جثث الموتى إلى الشيطان (أهيرمان) لذلك من يلمس جثة الميت يتنجس، وعليه أن يطهر نفسه بالماء، كما أن أيَّ جزء مقتطَع من الجسم الحي مثل ما يقص من الأظافر أو من الشعر فهو مثل الميت ويجب عدم لمسه، وجميع الحيوانات التي تتغذى على الجثث من نمل وذباب وكلاب وضباع تعد حيواناتٍ نجسةً يجب قتلها أينما وجدت[(1)].

ويرى بعض الباحثين أن أتباع زرادشت كانوا يدفنون موتاهم ولكن عملية الدفن كانت تخضع لطقوس خاصة يقوم بها متخصصون، يعرفون كيف يطهرون أنفسهم بعدها، فقد كانت جثة الميت توضع على مصطبة حجرية في منطقة نائية أو في سفح الجبل (الدخمة) بحيث لا تلمس التربة، كيلا تنجسها، وتترك هناك مكشوفةً حتى تتحلل بالعوامل الطبيعية، وبعد فترة كافية من تحلل الجسد تدفن العظام تحت التراب انتظاراً لبعثها مرة أخرى، ويشير هؤلاء الباحثون إلى أن أصل الكلمة الزرادشتية "دخمة" هي كلمة "دفما dufma" والتي تعني الدفن[(2)].

أما عن طقوس الدفن عند الكنعانيين فلم تكن واضحة في النصوص التي خلفتها الحضارة الكنعانية، ويبدو من النص الأوجاريتي الذي يتحدث عن "هبوط عنات إلى العالم السفلي"[(3)] لتأخذ جسد "بعل" أن الكنعانيين كانوا يدفنون موتاهم، فحتى الإله بعل لن ينعم بالراحة في العالم السفلي إلا إذا دفن وَفْقًا لطقوس الدفن التي تليق به، لذلك سعتِ الإلهة عنات لتأخذ جسد بعل: "لقد أَنْصَتَ نجْم الآلهة "شباش" إلى الإلهة عنات، لقد رَفَع بعل الشجاع على أكتاف عنات، وبعدما رَفَعَهُ

(1) (Boyce) Mary: Zoroastrianisms, Their religions, Beliefs and Practices, New york, routledge press, 2002, p 18-29.

(٢) (السواح) فراس: الديانة الزرادشتية وميلاد الشيطان، الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٧م، موقع الأوان، www.alawan.org

(٣) انظر هامش ص ٢٠.

أخذته عنات إلى استراحة الشمال، لقد دفنته وظلت تبكي عليه، ووضعته في قبر الآلهة في الأرض"[1].

كما يشير نصٌّ أوجاريتي آخَرُ يتحدث عن رثاء دانيال ابنه أقهت إلى ضرورة دفن الموتى وتكفينهم في كفن من الكتان: "أقهت الشاب قد مات، دانيال بكى على أقهت ودفنه، دفنه في مكان مظلم، دفنه في كفن من الكتان"[2].

أما **البابليون** فكانوا يعتقدون أنه إذا لم يدفنِ الميتُ وَفْقًا لأساليب الدفن السليمة والمتبعة، فإنه سوف يهيم ولن يرتاح في العالم السفلي، ويتضح من لوح برونزي بابلي اكتُشِفَ في مدينة حماة في شمال سوريا، يتضح أن طقوس الدفن في بابل تتمثل في وضع جثة الميت على أريكة، حيث يقوم اثنان من الكهنة بتطهير الجثة، وتتم عملية تطهير الجثة عن طريق غسله بالماء وتبخيره بالبخور، والغرض من التطهير هنا هو حماية الميت من الأرواح الشريرة التي تسكن القبر، ثم تُلَفُّ الجثة ببعض أنواع الأغطية وتوضع داخل تابوت[3].

أما **المصريون القدماء** فكانوا أكثر اهتماماً من غيرهم بإعداد جثث الموتى وطقوس الدفن، فكان المصري القديم عندما يموت يحمله أهله وأقرباؤه إلى المختصين بعملية التحنيط، الذين يبدؤون عملهم بإخراج المخ من الجمجمة وغسله بالنبيذ والملح وسوائل ذات رائحة عطرة، ثم إخراج القلب وتحنيطه عن طريق أحد المتخصصين، ثم إخراج الأحشاء والكبد ووضعها في أواني أو طلائها بالزفت ووضعها في الجثة مرة أخرى.

---

(1)Tromp (Nickolas.J): Primitive Conceptions of Death and Nether world in the old testament, p13.

(٢) (بشور) وديع: الميثولوجيا السورية-(أساطير آرام)، بالميرا سوريا: ١٩٧٤م: ص٢٨٧.

(3) (Adams) Ernest Austin, The Development of Biblical views on the General Resurrection of the dead, p18.

(Jastrow) Morris: The religion of Babylon and Assyria, p341-343.

ولا يتبقى في الجثة سوى اللحم والجلد والعظام، فتوضع الجثة بأكملها في ملح النطرون لمدة سبعين يوماً، ثم تغسل جيداً وتلف في قماش الكتان، وتصاحب عملية التحنيط بعض التعاويذ التي تقرأ في كل مرحلة من مراحل التحنيط، حيث ذكرت بَرْدِيَّتَانِ بعضَ هذه التعاويذ التي توصي بقص الأظافر ومسح الرأس بالزيت، ثم توضع الجثة المحنطة في تابوت أو نعش يكون عادة مُزَيَّنًا بصورِ وأسماءِ وعناوينِ الآلهة التي ستعين الميت في العالم الآخر، ثم تعاد الجثة إلى أسرة الميت مرة أخرى [1].

أما مراسم الدفن فكانت تجرى وسط نوع من الاحتفال الديني وموسيقى جنائزية، وكان الكهنة يحملون التابوت وقد تكدست الزهور حول التابوت الذي يَعْبُرُونَ به النيل في قارب يحتوي على تماثيل للمُتَوَفَّى، وبالإضافة إلى هذا القارب كان يسبقه قاربٌ آخَرُ يضم عدداً من النسوة من أقارب الميت يُوَلْوِلْنَ ويَنْدُبْنَ الميت، وقاربٌ ثالثٌ يضم أقارب المتوفى من الذكور، وقاربٌ رابعٌ يضم أصدقاء وزملاء المتوفى ليُوَدِّعُوهُ إلى مثواه الأخير، وبعد عبور النهر وفى أثناء سَيْرِ الجنازة كان الكهنة يقومون بحرق البخور وترتيل التراتيل الجنائزية [2].

وعندما تصل القوارب إلى الضفة الغربية يوضع تابوت الميت على الزلاجة التي تسحبها الماشية إلى القبر، وعندما يصل الموكب إلى مدخل القبر، يقوم أحد الكهنة بإخراج الجثة المحنطة من التابوت، ووضعها بشكل عمودي أمام شاهد القبر، وكان يرتدي قناعًا يُشبِهُ ابن آوى الذي يشير إلى أنوبيس إله الموتى، ويقوم هذا الكاهن بوضع الجثة داخل القبر وكانت رأس الجثة توجه ناحية الشمال والوجه ناحية اليمين لرؤية سطوع الشمس، وبعدها يغلق القبر، ثم يذبح الابن الأكبر ثورًا أو بقرة ويوزع

---

(1) (WiedEmann) Alfred: Religion of ancient Egyptian, Mine ola, N.Y, Dover publication, 2003, p234-236.

(Morenz) Siegfried: Egyptian religion, p299-200.

(الماجدي) خزعل: الدين المصري، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٣٨-٢٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٨-٢٤٣.

لحمها على المشيعين، وتنتهي طقوس الدفن بكسر الفخار الذي كان الغرض منه عدم عودة الموتى إلى أرض الأحياء ومضايقتهم(1).

يتضح مما سبق أن علماء التلمود لم يكونوا بمنأى عن طقوس الدفن في الحضارة اليونانية، فحين حرص اليونانيون على إغلاق عين المتوفى وفمه بهدف التأكد من خروج الروح، نهج علماء التلمود نفس نهجهم ولكن دون الإفصاح عن الهدف من هذا الإجراء، وكما كان اليونانيون يغسلون الجثة بالماء ويمسحونها بالزيت وقد سبقهم في ذلك المصريون القدماء، كذلك حرص علماء التلمود على غسل جثث موتاهم ومسحها بالزيت.

وفى حين احتفظ اليونانيون بجثث موتاهم في المنزل لمدة يوم بعد الوفاة ليودع الأهل والأقارب الجثمان، فقد أوصى علماء التلمود بضرورة الإسراع في دفن الميت في نفس يوم الوفاة.

ويتضح أن شعوب الشرق الأدنى اتفقت جميعاً على تكفين الميت في كفن من الكتان ووضعه في تابوت تمهيداً للدفن، ربما اعتقاداً منهم أن الكتان يعمل على حفظ الجثة لمدة أطول كما هى الحال بالنسبة إلى المصريين القدماء، أو اعتقاداً منهم أن الكتان يُعَدُّ أكثرَ راحةً للميت في عالم الموتى كما هى الحال بالنسبة إلى علماء التلمود والبابليين والكنعانيين.

أما عن نجاسة الجثة والنجاسة التي تخلفها الجثة بعد الخروج من البيت والتي أشار إليها المفسرون في كتب التفاسير، حيث إنه بمجرد خروج جثة الميت من البيت يُعَدُّ البيتُ نَجِسًا، هي نفس الفكرة التي أشار إليها اليونانيون وأتباع زرادشت، فقد وضع اليونانيون على باب الحجرة التي توجد بها الجثة إناءً به ماء طاهر يُحضر من منزلٍ آخَرَ من أجل التطهر، كذلك رأى أتباع زرادشت أن الموت يعتبر من الشيطان في العالم، فأجساد الأحياء تنتمي إلى أهورامزدا، بينما تنتمي جثث الموتى إلى الشيطان (أهيرمان) وأَيَّةُ جُثَّةٍ تُعَدُّ مصدرًا للنجاسة، وعلى مَنِ احْتَكَّ بها أن يُطَهِّرَ نفسه بالماء.

---

(1) (Steindorff) Georg: The Religion of The Ancient Egyptian, BiblioBazaar LLC, 2008, p148-156.

المبحث الثالث
المقابر

أوصى علماء التلمود بضرورة حفر القبور خارج حدود المدينة، فورد في باب "الباب الأخير" (בבא בתרא דף קא א) في سياق حديثهم عن دفن المحكوم عليهم بالشنق: "شرع المشرع: يجب إبعاد الجيفة والمقابر ومدابغ الجلود عن المدينة مسافة خمسين ذِرَاعًا ". في حين يرى المفسرون أنه يمكن بناء البيوت فوق القبور، فورد في تفسير التكوين الكبير (בראשית רבה פרשת וישלח פסקה י) في سياق تفسيرهم للفقرة الواردة في تكوين ٣٥/ ٢٠ "فنصب يعقوب عموداً على قبرها": "يقول الربي ناتان[1]: يحل للمرء أن يبني بيته فوق القبر الذي سيدفن فيه".

وبالتالي يبيح المفسرون ما حَرَّمَهُ علماء التلمود من حفر القُبور داخل المدينة العامرة بالسكان، فذهب المفسرون إلى إمكانية بناء البيوت السكنية فوق القبور.

ويقدم علماء التلمود وصفاً تفصيلياً عن كيفية إعداد المقبرة ومقاييس المقبرة المخصصة لكل عائلة، فورد في باب "الباب الأخير" (בבא בתרא דף קא א) في نفس السياق: "إذا باع شخص قطعة أرض لصاحبه لكي يبني عليها مقبرة (عائلية) أو إذا اتفق شخص مع صاحبه أن يبني له مقبرة، فيجب أن يكون ارتفاع الكهف الرئيس للمقبرة[2] أربعة أَذرُع (حوالي متر وثمانين سم) وعرضه ستة أَذرُع (حوالي مترين وسبعين سم) ويفتح داخله ثمان غرف للدفن، ثلاثٌ من جانب (في الحائط الأيمن)، ثلاثٌ من جانب آخَرَ (في الحائط الأيسر)، واثنتان في الحائط المواجه لمدخل الكهف، ويكون طول الغرفة الواحدة أربعة أذرع وارتفاعها سبعة أشبار وعرضها

(١) ينتمي إلى الجيل الرابع من التنائيم.

(٢) حيث كانت المقابر المخصَّصَة لكل عائلة تُبنَى على شكل كهف يتخلله عدد من الغرف تفتح في حوائط هذا الكهف.

ستة أشبار (بما يساوي ستين سم)، ويقول الربي شمعون: يجب أن يكون ارتفاع الكهف الرئيس ستةَ أَذْرُعٍ وعرضه ثمانيةً (حوالي ثلاثة أمتار وستين سم) ويفتح داخله ثلاثَ عَشْرَةَ غرفةَ دفنٍ: أربعٌ من جانب وأربعٌ من الجانب الآخر وثلاثٌ أمام (المدخل)، وحفرة على يمين المدخل، وحفرة على يسار المدخل، ويقامُ فِناءٌ فوق الكهف ارتفاعه ستة أذرع وعرضه ستة أذرع، المسافة التي تستوعب تابوت الميت ومن يقوم بعملية الدفن".

يتضح من خلال النص السابق أن القبور العائلية كانت تحفر داخل كهوف، وكان يقسم الكهف الواحد إلى ثمان غرف، ليسع دفن ثمانية أشخاص، في حين يرى الربي شمعون أن الكهف لا بد أن يقسم إلى ثلاثَ عَشْرَةَ حفرةً، ليسع دفن ثلاثة عَشَرَ شخصاً.

وفي حين أشار علماء التلمود في مناقشاتهم إلى وجود ثلاثة أنواع من القبور الفردية، فقد ورد في باب سنهدرين (סנהדרין מז ב) في سياق الحديث عن دفن المحكوم عليه بعقوبة الشنق: "هناك ثلاثة أنواع من القبور: قبر يدفن فيه الموتى خِلسةً دون علم مالك الأرض، وقبر متعارف عليه يدفن فيه الموتى بمعرفة مالك الأرض، وقبر وسط الطريق ويسبب الضرر للعامة، فالقبر الذي يدفن فيه الموتى خِلسةً دون علم مالك الأرض يمكن نقل الرفات منه وبالتالي يصبح طاهرًا ويصلح استخدامه في أغراض أخرى، أما القبر المتعارف عليه الذي يدفن فيه الموتى بمعرفة مالك الأرض فلا يمكن نقل الرفات منه، وإذا حدث ذلك فإنه يعد نَجِسًا ولا يصلح للاستخدام، والقبر الذي يسبب الضرر للعامة يمكن نقل العظام منه وبالتالي يصبح طاهراً لكنه لا يستخدم في أغراض أخرى".

وقد زجر علماء التلمود عن دفن الآثم بجانب التقيِّ في سياق الحديث عن دفن المحكوم عليه بعقوبة الشنق، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף מו א): "لا يدفن

الآثم في مقابر آبائه: ولماذا؟ حتى لا يدفن الآثم بجانب الصِّدِّيق، إذ قال الربي آحا بر حنينا[1]: من أين نستدل على أنه لا ينبغي دفن الآثم بجانب الصديق؟ استناداً إلى ما ورد في ملوك ثاني ١٣/ ٢١ "وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر أليشع، فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع عاش وقام على رجليه".

ويقدم الربي حنينا السبب وراء عدم دفن الآثم بجانب التَّقِيِّ وذلك حتى لا يحيا الآثم وتُرَدَّ إليه الروح، فإذا دُفن في قبور الأتقياء ولامس عظامهم فإنه يحظى بالبعث الجسدي مثلهم، وخصص علماء التلمود نوعاً خاصاً من مراسم الدفن التي تقام لهذا الآثم، وهي كالتالي: بعد أن يَبْلَى جَسَدُهُ، تجمع عظامه، وتدفن في مقابر مخصصة له، ولا تقام مراسم الدفن التي أشرنا إليها سابقاً، ولا تقام مراسم العزاء لهذا الميت ولا الحداد، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף מו א) في نفس السياق: "لا ينبغي دفن الإنسان المدان في مقابر آبائه ولكن يدفن في مقابر أعدتها دار القضاء من أجل المحكوم عليهم بالقتل والمحكوم عليهم بالشنق والمحكوم عليهم بالرجم والمحكوم عليهم بالحرق، فبعد أن تبلى أجسادهم، تُجمَع رُفاتُهم، وتدفن في الأماكن المخصصة لهم، ثم يأتي أقارب الميت ويسلموا على القضاة وعلى الشهود، بمعنى أنهم يقولون: "ليس في قلوبنا شيءٌ تجاهَكُم، لأن حكمكم هو الحكم العدل، ولا ينبغي إقامة مراسم العزاء لهذا الميت ولكن يمكن رثاؤه فقط لأن الرثاء فى القلب".

وليس هناك أَيَّةُ إشارة في النصوص التي استدلَلْتُ بها سواء من التلمود أو كتب التفاسير توضح ما إذا كان علماء التلمود كانوا يهتمون بقبور موتاهم أو يمدونها بالطعام والشراب أم لا، غير أن بعض الباحثين يرى أن عادة إمداد الموتى بالطعام والشراب داخل القبور قد ورثها علماء التلمود من البابليين، فيقول أحد الباحثين: "بالرغم من محاولات معلمى الجمارا للتخلص من العادات الوثنية، إلا أن عادة نقل

---

(١) ينتمي إلى الجيل الثالث من علماء الجمارا في فلسطين.

عصير العنب والزيت إلى القبور كانت من العادات التي اتبعها هؤلاء المعلمون، فعندما قام أبناء الرباني جمليئيل بزيارة قبر زكاي قاموا بهذا الطقس حيث كان زكاي يحب عصير العنب لدرجة أن جدته ورثته ٣٠٠ كجم منه، وقد ورّث أبناءه ١٠٠٠ كجم منه"(١).

وفي الوقت الذي كان فيه القبر في مناقشات التلمود مجردَ مكان لدفن الجثة لم تكن القبور عند اليونان مجرد أماكن توارى فيها جثث موتاهم، بل كانت تجسيداً لاحتياج سكان المدن القديمة إلى مكان محدَّدٍ يُحْيُونَ فيه ذكرى أسلافهم، فبعد أن كانت القبور مجرد حفرة في الأرض تعلوها بعض الأحجار أو كومة من التراب تدل على وجود قبر في هذا المكان تدخلت، من ناحية، بعض الدوافع الشخصية مثل التباهي بالمكانة الاجتماعية، ومن ناحية أخرى حِرْصُ الدولة على بناء مقابر جماعية على أحدث الطرز المعمارية، وكانت النتيجة هي تطور بناء القبور، فكانت تحتوي على شواهد تزينها باقات الزهور، كما كان يزين القبر نفسه بالعديد من الأوشحة، وكان يتم بناء تلك القبور وراء أسوار المدينة ودفن الموتى في مدن خاصة بهم(٢).

---

(1) (pope) Marvine , Cult of the Dead at ugarit p159.

- (Adams) Ernest Austin, The Development of Biblical views on the General Resurrection of the dead, p23.

ورد في باب مجيلاه (מגלה כז ב): في سياق الحديث عن أحكام الصلاة: سأل تلاميذ الربي زكاي معلمهم: كيف يحظى الإنسان بطول العمر، فقال لهم: طوال أيام حياتي لم أتبول في مسافة الأربعة أذرع المخصصة للصلاة، ولم أنعت صاحباً لي بلفظ يشينه، ولم أفرط في شعائر السبت، لدرجة أن جدتي باعت غطاء رأسها لتحضر لي عصير العنب الذي أستخدمه في تقديس السبت، وعندما ماتت تركت لي ثلاثمائة برميل من عصير العنب، وعندما مات الربي زكاي ترك لأبنائه ألف برميل من عصير العنب.

(٢) (مطاوع) محيي الدين: الطقوس الجنائزية بين التقاليد والقانون في مدينة أثينا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ص ٢٤٢.

كما كان من عادة اليونان أن يلحقوا بحجرة الدفن حجرة أخرى (مدخل) ويغلقونها بإحكام، وكانت هذه الحجرة بمثابة مخزن يحتوي على كل أصناف الطعام والشراب، وقد حاول البعض التأكد من وصول ما يقدمونه للموتى فقاموا بعمل فتحة صغيرة أعلى القبر وأدخلوا فيها أنبوبة، حتى يتأكدوا من وصول السوائل للموتى داخل قبورهم[١].

أما أتباع زرادشت فقاموا ببناء أبراج صغيرة (دخم) أي أبراج الصمت والتي كانت في الأساس عبارة عن تلال طبيعية أو مرتفعات رملية، ولكنها بمرور الزمن بنيت بشكل متقن، فأصبح يتخللها فتحات وأخاديد وحواف، وكانوا يغلقونها بكتل من الأحجار بينما كانت في البداية عرضة لأشعة الشمس والمطر، فأصبحوا يُزَيِّنُونها بإطارات وأغطية، وكانت تقام تلك الدخم في أماكن نائية خارج حدود المدينة[٢].

أما عن بناء القبور في أوجاريت فقد عُثر على اثنين من الأنصبة التذكارية الحجرية التي تشير إلى عادة من العادات الكنعانية القديمة وهي عادة عبادة الموتى والعناية بهم، تلك العادة التي رفضها أنبياء العهد القديم ومنهم حزقيال الذي رأى في ذلك نوعًا من الوثنية، وقد عُرِفَ الموتى بين الكنعانيين والإسرائيليين باسم "ريفائيم"، وكُتب على نُصُب تَذْكَارِيٍّ: إن من يذهب إلى قبر أحد أسلافه من الموتى فعليه أن يتضرع إليهم ويقدم لهم الغذاء، ويجلب لهم بعض الزهور على أمل أن يتقبلوا صلواته[٣].

كما كان يوجد تحت المباني السكنية في أوجاريت المقابر العائلية المزودة بكل ما يحتاجه الميت، فالعناية بالميت وبإطعامه كانت هي المهمةَ الكبرى التي تُلقَى على عاتق

(١) (كروان) منيرة عبد المنعم: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص٣٧.

(2) (Geiger) Wilhelm: Civilization of Eastern Iranians ,in Ancient times, with an introduction to the Avesta, read country books, 2006 p94.

(3) (Cassuto) u.: Biblical and Canaanite literatures volume 1 the magnes press the Hebrew university, 1999 219-245.

الأحياء، وكانت مهمة العناية بالموتى تُلْقَى على عاتق الابن الأكبر والذي كان يطلق عليه "باقيد ساهير " بمعنى "الناظر" أو "ناق مي" بمعنى "من يصب الماء" أو "ذاكير شومي" بمعنى "من يذكر اسم"[1].

ويتضح من أسطورة أقهت بعض واجبات الأبناء تجاهَ آبائهم سواء في حياتهم أو بعد موتهم، وضرورة وجود ابن للإنسان للقيام بهذا الدور، فلم يكن لدى البطل دانيال أبناء، فتضرع للآلهة وأقام الطقوس الدينية، حتى سمع الإله بعل تضرعاته وتوسط له عند الإله إيل الذي أحيا روح دانيال وحقق له رغبته في أن يكون له وريث، فورد في هذه الأسطورة الواجبات المفروضة على الابن تجاهَ أبيه ومنها العناية به بعد موته في قبره: "أنا سوف أعود وأستريح، وروحي سوف تستريح في صدري، لأن ابني الذي أنجبتُ كما أنجب إخوتي، إنه الفرع الذي من نسلي، الذي سوف يعد الزعتر في ملجئي، يرسل التوابل إلى الأرض من أجلي، ينشد أمامي وأنا في التراب، ويرد إهاناتِ أعدائي عني، يردها إلى من يعاديني، يمسك بيدي عندما أَشربُ، ويسندني عندما أثمل من الخمر، يأكل قطعي في بيت بعل ونصيبي في بيت إيل، يرمم سقفي في يوم الوحل، يغسل ملابسي عندما تتسخ" [2].

إن هذا النص من أسطورة أقهت يوضح الواجبات المفروضة على الأبناء تجاهَ الآباء سواء في مماتهم أو في حياتهم، وما يعنينا هنا هي الحالة الأولى، ومن خلال النص نجد الفعل "نصب nsp" يرتبط بكلمة "متسفوت מצבות" الواردة في العهد القديم والكلمة العربية "نُصُب" بمعنى "شاهد القبر" أو "النُّصُب الذي على القبر". وسواء أكان يعتقد أن روح الميت تسكن القبر أم أن هذا النُّصُبَ الأصمَّ الذي يمثل تجسيدًا للشخص المُتَوَفَّى، فإن كلمة "نفش nps" كانت تشير على سبيل الخطأ إلى القبر، ثم أصبحت تشير مؤخراً إلى النصب الذي على القبر، تأكيداً على أن هذا النصب نفسه

(1) (pope) Marvine, Cult of the Dead at ugarit, p159.

(2) (pope) Marvine , Cult of the Dead at ugarit, p159.

هو روح أو جوهر الشخص؛ ولذلك أطلق فيلون من ببلوس[1] على النصب التذكارية مصطلح "الأحجار الحية" [2].

ولا يوجد في النص السابق أيَّةُ إشارة إلى فكرة "صب المياه" أو "ذكر اسم الميت"، لكن أشار النص إلى وضع التوابل والبخور داخل القبر تلك العادة التي تعتبر من أهم عادات الطقوس الجنائزية عند الكنعانيين.

ويشير السطر الرابع من النص إلى إحدى العادات الأكادية وهي عادة الإنشاد من أجل الموتى، ولكن الفعل "زمر dmr" لا يشير فقط إلى الإنشاد وإنما يشير إلى حماية القبر وما فيه من أثاث جنائزي من النهب.

أما السطر الثاني عشر والثالث عشر فيتحدثان عن أكل نصيب وقطع الميت في بيت الإله بعل والإله إيل، بمعنى تناول القرابين التي يقدمها الابن للإله بعل والإله إيل من أجل الميت [3].

وإذا انتقلنا إلى بابل فسنجد إن أغلب القبور البابلية والآشورية التي وجدت في خرائب المدن البابلية تعود إلى فترة الإمبراطورية الفارسية واليونانية، وقد كشفت بعثة من جامعة بنسلفانيا في مدينة "نيبور"[4] عن بقايا قبور تعود إلى ما قبل ٢٥٠٠ ق.م.

وكانت تتميز القبور البابلية بالبساطة، فنادراً ما كانت تبنى القبور البابلية على ارتفاع خمس أقدام، كما أنها كانت مبنية من (الآجُرّ ـ قوالب الطوب) وقد ترجع هذه البساطة إلى قلة الأحجار ومواد البناء في بلاد بابل، ومن خلال "نصب العقبان"

---

(١) مؤرخ يوناني ولد في القرن الأول الميلادي (٦٤ ق.م- ١٤١ ق.م).

(٢) المرجع السابق ص ١٦٠ .

(٣)المرجع السابق ص ١٦١ .

(٤) نفر أو نيبور هي العاصمة الدينية للسومرين والبابليين، وتأتي قدسيتها من كونها العاصمة الدينية ومقر الإله انليل، كما أنها مقر الإله (آنو) الذي ورد ذكره في شريعة حمورابي.

الذي يعتبر أقدم نصب في التاريخ البابلي يمكن التعرف على أقدم طرق دفن الموتى في بابل، فأتباع الملك عيناتوم[1] يقومون ببناء تل على جثث جنود الملك، فكان الموتى يوضعون بالقرب من سطح الأرض ويغطون بالتل، وفي فترة تالية خصصت مدافن وبيوت صغيرة لهذا الغرض، غير أن الموتى كانوا يدفنون على بُعد ستة أقدام من سطح الأرض، وكان يوضع تل على القبر، كما كانوا يستخدمون جَرَّةٌ بدلاً من التابوت يضعون فيها الجسد، وأحياناً جَرَّتَانِ جزء من الجسد يوضع في واحدة وجزء يوضع في الجَرَّةِ الأخرى[2].

وبجوار الجثث البابلية كانت تدفن أشياء مختلفة تخص الميت ولها قيمة شخصية لهذا الميت كما كان يدفن بجواره الرماح والأنصال وبعض الحُلِيِّ من نُحاسٍ وذهب وحديد، وكانت جَرَّةُ الماء توجد دائمًا في القبور البابلية، وبجانب الجَرَّةِ كانت يوجد إناء من الطين أو البرونز، بغرض أن يستخدمها الموتى للشرب، وكان يوجد بقايا الأطعمة من تمر وحبوب ودواجن وسمك في قبور تعود إلى فترات مبكرة أكثر من وجودها في القبور التي تعود إلى الفترات المتأخرة، ويرى بعض الباحثين أن ذلك لم يكن اعتقاداً في احتياج الموتى إلى هذه الأشياء في قبورهم إنما لتفادي شرورهم أو إكراماً لهم اعتقاداً منهم بأن الموتى يعانون من آلام الجوع[3].

كما أن عادة نقل السوائل عن طريق الأنابيب والقنوات، كانت عادة شائعة في الطقوس الجنائزية الخاصة ببلاد الرافدين، وكان مصطلح "آروتا aruta" يستخدم للإشارة إلى هذا الغرض والذي يعني: "قناة"، أو "أنبوبة"، وكما أشرتُ سابقاً يرى بعض الباحثين أنه بالرغم من محاولات معلمي الجهارا للتخلص من العادات الوثنية،

(١) يعد من أول ملوك الإمبراطورية السومرية، الذي حكم مدينة "لاجاش" السومرية.

(2) (Jastrow) Morris: The religion of Babylonian and Assyria, p341-343.

(٣)- المرجع السابق، ص ٣٤١-٣٤٣.

إلا أن عادة نقل عصير العنب والزيت إلى القبور كانت من العادات التي اتبعها هؤلاء المعلمون[1].

أما المصريون القدماء فكانوا يبنون مقابرهم في الجانب الغربي من نهر النيل، حيث تغرب الشمس، وكانوا يهتمون ببناء المقابر وتوسيعها وتأمينها ضد عوادي الزمن واعتداءات الغير، ففي بداية الأمر كانت المقابر الفخمة قاصرة على الملوك دون غيرهم، فمقبرة "نقادة" الكبيرة في مصر العليا التي دفن فيها أحد ملوك الدولة القديمة (لعله مينا) هي مبنًى مستطيلٌ من اللَّبِنِ ذو جدران قوية مائلة إلى الداخل تتخللها مشكاوات متداخلة تضفي على البناء شكل القصر وكان السقف من جذوع النخل، وكانت تشتمل المقبرة على غرفة كبيرة للجثة في الوسط وعلى أربع غرف أخرى كانت تحتوي على كميات كبيرة من الأطعمة وقدور النبيذ والجعة وأرائك من العاج وأوان فاخرة من الأحجار، وغير ذلك من سائر الأثاث المنزلي الذي يحتاج إليه الملك بعد الموت[2].

كما أن أهرامات الجيزة الكبيرة كانت تهدف إلى غرض واحد وهو وقاية جثمان رجل واحد وهو الملك، وقايةً أبدية داخل حصن من المباني الضخمة جداً، حتى يتسنى لجثة الملك أن تقاوم بتلك الطريقة عواديَ الزمن، وتَقْهَرَ بتلك القوة الآلية الأسباب المانعة من الخلود، وكان بناء الهرم يعتبر في الدولة القديمة أعظم عمل في حياة الملك، وحول هرم الملك كان يدفن أولئك الذين أحاطوا به في حياته، وهم الأمراء والأميرات وعظماء بلاطه، وكان الدفن حول الهرم مِنَّةً خاصة من الملك، في حين كان العامة من الناس لا يقدرون إلا على القبور البسيطة التي كانت تقام تحت

---

(1) (pope) Marvine, Cult of the Dead at ugarit, p159.
–(Adams) Ernest Austin, The Development of Biblical views on the General Resurrection of the dead, p23.

(٢) (أدولف) أرمان: ديانة مصر القديمة، ص٣٣٤.

سطح الأرض بعمق لا يتعدى الخمسة أقدام، وكان يوضع فوق هذا القبر حجر، وقد أطلق على هذا القبر اسم "المصطبة"[1].

وفي عهد آخِرِ ملوك الأسرة الخامسة ظهرت الأهرامات الصغيرة، وكانت تغطي جدران هذه الأهرامات بأوراد وكتابات تسمى نصوص الأهرامات، وهي عبارة عن أوراد قديمة جداً تساعد المتوفى أن يحقق سعادته في العالم الآخر، وربما توضح تلك الكتابات أن تلك الأكوام من المباني لا يمكنها أن تهب الإنسان الحياة الأبدية بل يجب أن ينالها بروحانياته التي يستمدها من خلال تلك الأوراد.

ثم تطور بناء المقابر في عهد الدولة الوسطى (٢٠٤٠ ق.م-١٦٤٠ ق.م) وأصبحت تبنى على طرازين، فكان أواسط الناس يكتفون بأهرامات صغيرة من اللَّبِنِ، أما الطبقات العليا فكانوا يَنْحِتُونُ مقابرهم في الصخر، وقد بنى الملوك مقابرهم على هذا الطراز أيضاً، غير أن الشكل الذي أضفوه عليها كان شكلاً جديداً، فهي تتألف عادة من دهليز ضيق طويل قد تلحق به غرف جانبية، يؤدي هذا الدهليز إلى قاعة تسمى "بيت الذهب"، كان يستقر وسطها تابوت من الحجر وفيه جثمان الملك[2].

كما اعتقد المصريون القدماء أن من واجبهم العناية بطعام المُتَوَفَّى بعد دفنه؛ لذلك كان يبسط أمام المقبرة فِراش يوضع عليه رغيف ثم يسكب الماء، وعند ذاك ينادى على الميت: "قم خذ خبزك هذا مني"، وكانوا يسمون مثل هذا "القربان الجنائزي"، وكان تقديم مثل هذه القرابين من واجب الأبناء البررة، فإن الابن "يزرع الشعير ويزرع القمح لِيُهْدِيهَا إلى الأب"؛ ولذلك كان الأب يُدَوِّنُ الوصايا ويخصص هباتٍ زادًا له في قبره، وتقديم القرابين من البخور والدهان والطعام والشراب، بمقاديرَ وفيرةٍ وفي

---

(١) (برستد) جيمس هنري: فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٨٠.

- (Steindorff) Georg: The Religion of The Ancient Egyptian, p138-146.

(٢) أرمان (أدولف): ديانة مصر القديمة، ٣٣٨ و ٣٦٤.

فترات متعددة، ويقول أحد الأبناء: "لقد صنعت له هذا وهو مدفون في الغرب الجميل كما قال لي وهو حي قائم على قدميه"، ثم تطورت العناية بالمقابر الضخمة ومقابر الملوك، حيث كان يقوم بتقديم القرابين فيها "خدمة الكا" أو كهنة الميت كما نسميهم لأن الأمر كان يقتضي عدداً كبيراً من الموظفين لتقديم القرابين ربما لأن القرابين المقدمة كانت بكميات كبيرة، فنجد إبرام عقد من أجل تسليم الوقف للكهان وأبنائهم: "إن السدنة الدائمين هؤلاء مع أولادهم ثم مع أولاد أولادهم سوف يحملون ذلك إلى الأبد"[1].

ثم تطورت نوعيات العناية بالموتى فتمت الاستعاضة شيئاً فشيئاً عن الأطعمة والمشروبات الفعلية التي توضع أسفل القبر، بتسجيل أسمائها ورموزها وأعدادها في قوائم منقوشة على لوحات خاصة تَتَّخِذُ أوضاعاً مُحَدَّدَةً في قاعات تقديم القرابين فوق سطح الأرض، ثم تصوير بعض مصادر الخيرات الدنيوية من زراعة وصناعة وصيد على الجدران الداخلية في الجزء العلوي من المقبرة ابتداء من أوائل الدولة القديمة، فربما تتحول تلك النقوش والمناظر إلى حقائق عملية تناسب العالم غير المنظور الذي سوف ينتقلون إليه، وذلك من خلال ما يكتب مع هذه النقوش من تعاويذَ وأدعيةٍ، فهذه الأدعية تعوض تقصير الورثة في تقديم القرابين الفعلية لصالح الموتى[2].

وكانت أكثر التعاويذ والأدعية تلاوة في المقبرة: "لتهب لي ما يُعطى للملك من قربان، وما يعطيه أنوبيس للملك من خبز ومن جعة ومن ثيران ومن أوِزٍّ ومن كل شيء طيب"، فقد كانت هذه الدعوة هي أفضلَ الدعوات عند المصري القديم، وقد وردت هذه الأدعية في جميع المقابر وعلى سائر ما يوضع فيها، وأخيراً أصبحت عبارة "ما يُعطى

(١) (أحمد) عبد الحميد يوسف: العادات والشعائر الجنائزية في الدولة القديمة، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص٢١.

(٢) (صالح) عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم، ص ٣٦٧.

- (Steindorff) Georg: The Religion of The Ancient Egyptian , p148-156.

الملك من قربان" بمثابة تعويذة سحرية بمجرد تلاوتها توفر للميت غذاءه، فكان يطلب المتوفى من زوار قبره تلاوة تلك التعاويذ من أجله: "من أحب "ايتبو" في دخوله إلى هذا القبر، فسوف يطعم خبزاً وجعة فيه، عندما يتلو صيغ التمجيد من أجلي"[1].

يمكن القول إن المسائل المتعلقة بالموتى فقدت في الدولة الحديثة طابعها القديم البسيط، في حين برز فيها الجانب الديني والعنصر السحري، فبعد أن كانت الأطعمة والمشروبات هي التي تضمن بقاء المتوفى، أصبحت التعاويذ والأوراد السحرية والأدعية هي التي تقوم بهذا الدور.

ويتضح من خلال ما سبق أن علماء التلمود اتفقوا مع اليونانيين وأتباع زرادشت على أنه يجب إبعادُ المقابر وينبغي بناؤها خارج حدود المدينة، في حين يرى المفسرون اليهود أنه يمكن بناء القبور تحت البيوت السكنية معارضين بذلك ما نص عليه علماء التلمود ومتفقين مع الكنعانيين والبابليين الذين كانوا يقيمون قبور موتاهم تحت البيوت السكنية.

كما يتضح أن القبور عند علماء التلمود كانت عبارة عن أماكن توارى فيها جثث الموتى كما هى الحال بالنسبة إلى البابليين، بينما كانت عند اليونانيين أماكن لإحياء ذكرى الموتى؛ لذلك يجب العناية بها وتزيينها، في حين كانت عند المصريين القدماء العتاد المادي الذي يضمن للمتوفى البعث في العالم الآخر.

وفي الوقت الذي حث فيه علماء التلمود على ضرورة دفن الآثمين في مقابر خاصة، حث اليونانيون على عدم دفن الآثم نهائياً، فبمقتضى القانون الإغريقي كان الدفن حقاً لكل مواطن، باستثناء من ارتكبوا جرائم عقوبتها الإعدام، فقد حرمهم القانون الإغريقي شرف الدفن وقضى بأن تترك جثثهم في الخلاء للحيوانات والطيور المفترسة[2].

---

(١) أرمان (ادولف): ديانة مصر القديمة، ص ٣٤٦.

(٢) (كروان) منيرة عبد المنعم: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص٣٧.

المبحث الرابع

مراسم الحداد

أشار علماء التلمود أن مراسم الحداد تُؤدَّى بعد إغلاق القبر على الميت، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין מז ב) في سياق الحديث عن دفن من يحكم عليه بالشنق: "قال راف آشي: متى تبدأ طقوس الحداد على الموتى؟ بعد إغلاق القبر بحجر".

وتستغرق مراسم الحداد سبعة أيام بعد الوفاة ويتبعها ثلاثون يوماً أخرى، فيحاول علماء التلمود إيجاد سند من المقرا على أن أيام الحداد تستمر ثلاثين يوماً فورد في باب الموسم الصغير (מועד קטן יט א) في سياق الحديث عن طقوس الحداد أيام السبوت والأعياد: "من أين نستدل على أن أيام الحداد هي ثلاثون يوماً؟ نستدل على ذلك باستخدام معيار تشابُهِ الأحكام[1]، فقد ورد في نصين في المقرا الجذر פ.ר.ע، نص منها يتحدث عن مراسم الحداد وهو في لاويين ١٠/ ٦ "لا تكشفوا (תפרעו) رؤوسكم"، ونص آخر يتحدث عمَّن يَنذُرُ نَذْرًا للرب ورد في عدد ٦/ ٥ "ويربي خُصَلَ (פרע) شعر رأسه" وبما أن من يَنذُرُ نَذْرًا للرب ويستمر أيام نذره ثلاثين يومًا، كذلك من يحزن يستمر في حداده ثلاثين يوماً. ومن أين نستدل على أن أيام

(١) تشابه الأحكام "גזרה שווה" من المعايير الأساسية في تفسير المقرا، ويدرج ضمن جميع أنواع المعايير، ويستخدم هذا المعيار في استنباط حكم من تشريع ما، استناداً إلى وجود كلمات بعينها في هذا التشريع وفي تشريع آخر، ويعتمد هذا المعيار في استنباط الأحكام على وجود كلمة أو عدة كلمات مشتركة بين التشريعين، وعلى سبيل المثال: جاء في التوراة لاويين ٢٠/ ٢٧ " قتلاً يقتل بالحجارة يرجمونه، دمه عليه"، فاستعمل العلماء هذا المعيار وقرروا في كل عقوبة قتل يرد فيها " دمه عليه " أن تكون عقوبتها القتل رجماً، وقد وضع العلماء عدة قواعد لاستعمال هذا المعيار في استنباط الأحكام.
((שטינזלץ) עדין: מדריך לתלמוד،דף 128).

النذر ثلاثون يوماً؟ قال راف متنا: استناداً إلى ما ورد في عدد ٦/ ٥ "يكون مُقَدَّسًا" فكلمة "يكون יהיה" بحساب الجُمَّل[1] تساوي ثلاثين".

كما حاول المفسرون إيجاد سند من المقرا يؤكد أن أيام الحداد على الموتى تستمر سبعة أيام، فورد في تفسير التكوين الكبير (בראשית רבה פרשת ויחי פסקה ז) في سياق تفسيرهم للفقرة الواردة في تكوين ٥٠/ ١٠ التي تتحدث عن حداد أبناء يعقوب على أبيهم "فأتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن وناحوا هناك نوحاً عظيماً وشديداً جداً": "من أين نستدل على أن أيام الحداد على الموتى سبعة أيام؟ قال الربي آبا: نستدل على ذلك مما ورد في تكوين ٥٠/ ١٠ "وصنع لأبيه مناحة سبعة أيام"، فقال ريش لقيش نقلاً عن بر كبارا: "نستدل على ذلك مما ورد في لاويين ٨/ ٣٣ "ومن لدن باب خيمة الاجتماع لا تخرجوا"، وبما أنكم تمسحون أنفسكم بالزيت لمدة سبعة أيام كذلك لا بد أن تحافظوا على طقوس الحداد من أجل إخوتكم لمدة سبعة أيام، وقال الربي هوشعيا: نستدل على ذلك مما ورد في لاويين ٨/ ٣٥ "ولدى باب خيمة الاجتماع تقيمون نهاراً وليلاً سبعة أيام" وبما أن القدوس- تبارك - حافظ على الكون لمدة سبعة أيام كذلك لا بد أن تحافظوا على طقوس الحداد من أجل إخوتكم لمدة سبعة أيام، حيث قال الربي يهوشع بن ليفي: إن القدوس - تبارك - أقام حداداً على شعبه لمدة سبعة أيام، وقال الربي يرميا نقلاً عن ريش لقيش[2]: نستدل على ذلك

---

(١) حساب الجُمَّل "גימטריה": أحد مناهج التفسير الرمزية التي استخدمها علماء التلمود والمفسرون اليهود لتفسير نص المقرا، وهذا المنهج يعتمد في الأساس على حساب المقابل العددي لكل حرف في الكلمة والمساواة بينه وبين المقابل العددي لحروف كلمة أخرى، فعلى سبيل المثال ورد في باب خلط حدود السبت "עירובין סה א": "قال الربي حيا: من يسيطر على نفسه وهو تحت تأثير عصير العنب المختمر، فكأنما يملك فكر سبعين شيخًا، فقد قيل: إذا= =دخل عصير العنب المختمر خرج السر، فكلمة "יין" عصير العنب المختمر تساوي بحساب الجمل ٧٠ (י = ١٠ + י = ١٠ + ן = ٥٠ المجموع ٧٠)، وكلمة "סוד" سر (ס = ٦٠ + ו = ٦ + ד = ٤ المجموع ٧٠).

(٢) ينتمي إلى الجيل الثاني من علماء الجمارا في فلسطين.

مما ورد في عاموس ٨/ ١٠ "وأحول أعيادكم نوحاً"، وبما أن العيد سبعة أيام كذلك أيام الحداد سبعة أيام.

ويقوم بتلك الطقوس أقارب الميت، فيحدد علماء التلمود الأقارب الذين لهم الحق في أداء طقوس الحداد على الميت في باب العيد الصغير (מועד קטן יט א – כ ב) في سياق الحديث عن طقوس الحداد أيام السبوت والأعياد: "شرع علماؤنا: كل من ورد عنهم في الفصول الخاصة بالكهنة أن الكاهن يتنجس من أجلهم، يمكنه أن يؤدي طقوس الحداد عليهم، وهم زوجته وأبوه وأمه وأخوه وأخته وابنه وابنته، وأضافوا أخاه وأخته البكر من أمه وأختَهُ المتزوجة سواء من أمه أو من أبيه، كما يمكنه أداء طقوس الحداد على أقاربه من الدرجة الثانية ذلك حسب رأي الربي عقيفا، لكن الربي شمعون بن إليعزر يقول: يمكنه أن يؤدي طقوس الحداد على حفيده وعلى جده فقط، ويقول علماؤنا: إن كل من يُؤَدِّي طقوس الحداد عليهم يجب أن يُؤَدِّيَ طقوس الحداد معهم".

فحدث أن مات أخو زوجة مر عوقبا، فنوى مر عوقبا أن يؤدي طقوس الحداد عليه سواء أيام الحداد السبعة أو أيام الحداد الثلاثين (إكراما لزوجته)، وعندما زاره الربي هونا في بيته وجده يرتدي ملابس الحداد، فقال له: هل تريد أن تأكل من وجبة من يقومون بالحداد؟! فلقد قال علماؤنا: لا إكرام للزوجة إلا في أبيها وأمها، فقد ورد في (برايتا): إذا مات حموه أو حماته فلا ينبغي على الزوج أن يرغم زوجته (التي تؤدي طقوس الحداد) أن تتكحل أو تصفف الشعر، وينبغي عليه أن يرتدي ملابس الحداد معها".

ويرى علماء التلمود أنه إذا لم يكن هناك من يقوم بأداء طقوس الحداد على الميت فلا بد أن يذهب عشرة أشخاص إلى المكان الذي مات فيه ويتدارسون الشريعة، فورد في باب السبت (שבת קנב א) عندما تطرق النقاش بين علماء التلمود إلى دفن الموتى

يوم السبت: "يقول الربي يسحق: إن الدود قاس على الميت مثل وخز الإبرة في اللحم الحي استناداً إلى ما ورد في أيوب ١٤/ ٢٢ "إنما على ذاته يتوجع لحمه، وعلى ذاتها تنوح نفسه"، فقال راف حسدا: نفس الإنسان تحزن عليه خلال الأيام السبعة الأولى بعد موته استناداً إلى ما ورد في أيوب ١٤/ ٢٢ "وعلى ذاتها تنوح نفسه"، كما ورد في تكوين ٥٠/ ١٠ "وصنع لأبيه مناحة سبعة أيام"، ويقول الربي يهودا: إن لم يكن هناك من يقوم بطقوس الحداد على الميت يذهب عشرة أشخاص إلى المكان الذي مات فيه ويتدارسون الشريعة، فحدث أن مات جار الربي يهودا وليس هناك من يؤدي طقوس الحداد من أجله، فجمع الربي يهودا عشرة رجال وعلى مدار سبعة أيام كانوا يجلسون في المكان الذي مات فيه (لتدارُسِ الشريعة)، فظهر له جاره الميت في الحلم وقال له: ليسترِحْ بالُكَ كما أرحتَ بالي".

ولقد أشار علماء التلمود في باب الموسم الصغير (מועד קטן יד ב – טו ב) إلى الطقوس التي كانت تؤدى في أيام الحداد السبعة وأيام الحداد الثلاثين، وذلك في سياق حديثهم عن الحالات التي ينبغي فيها قص الشعر عند حلول العيد: "يحرم على من يُؤَدِّي طقوس الحداد أن يقص شعره خلال أيام الحداد، استناداً إلى ما ورد في لاويين ١٠/ ٦ "لا تكشفوا رؤوسكم"، يجب على من يؤدي طقوس الحداد أن يغطي رأسه استناداً إلى ما ورد في حزقيال ٢٤/ ١٧ "ولا تغط شاربيك"، ويحرم على من يؤدى طقوس الحداد أن يضع التفلين، استناداً إلى ما ورد في حزقيال ٢٤/ ١٧ "لف عصابتك"، ويحرم على من يُؤَدِّي طقوس الحداد أن يلقي التحية على أحد، استناداً إلى ما ورد في حزقيال ٢٤/ ١٧ "تنهد ساكتاً"، ويحرم على من يُؤَدِّي طقوس الحداد أن ينشغل بدراسة الشريعة، استناداً إلى ما ورد في حزقيال ٢٤/ ١٧ "تنهد ساكتا"، ويحرم على من يُؤَدِّي طقوس الحداد أن يغسل ملابسه، استناداً إلى ما ورد في صموئيل الثاني ١٤/ ٢ "فأرسل يوآب إلى تقوع وأخذ من هناك امرأة حكيمة، وقال لها تظاهري بالحزن والبَسِي ثياب الحزن، ولا تَدَّهِنِي بزيت بل كوني كامرأة لها أيام كثيرة وهي

تنوح على ميت"، ويجب على من يُؤَدِّي طقوس الحداد أن يمزق ثيابه استناداً إلى ما ورد في لاويين ١٠/ ٦ "ولا تشقوا ثيابكم"، يجب على من يُؤَدِّي طقوس الحداد أن يقلب الأسِرَّة كما شرع بر كبارا (أي يجلس وينام على الأرض طوال أيام الحداد)، يحرم على من يُؤَدِّي طقوس الحداد القيام بأي عمل استناداً إلى ما ورد في عاموس ٨/ ١٠ "وأُحَوِّلُ عيدكم نَوْحًا"، يحرم على من يُؤَدِّي طقوس الحداد أن يرتدي النعال خلال أيام الحداد، استناداً إلى ما ورد في حزقيال ٢٤/ ١٧ "واجعل نعليك في رجليك"، يحرم على من يُؤَدِّي طقوس الحداد أن يضاجع زوجته خلال أيام الحداد، استناداً إلى ما ورد في صموئيل ثاني ١٢/ ٢٤ "وعزى داود بتشبع امرأته ودخل إليها واضطجع معها"، يحرم على من يُؤَدِّي طقوس الحداد أن يقدِّمَ القرابين خلال أيام الحداد، استناداً إلى ما ورد في تثنية ٢٧/ ٧ "وتذبح ذبائح سلامة وتأكل هناك وتفرح أمام الرب إلهك".

فيتضح من النص السابق أن مراسم الحداد تتمثل في عدد من النواهي والأوامر، والنواهي هي:

-عدم قص الشعر.

-عدم وضع التفلين.

-عدم غسل الملابس.

-عدم القيام بأي عمل.

-عدم ارتداء النعال.

-عدم مضاجعة الزوجة.

-عدم تقديم القرابين.

وتتمثل الأوامر في:

- تمزيق الثياب.
- قلب الأَسِرَّةِ (النوم والجلوس على الأرض).

ويرى علماء التلمود أن عادة تمزيق الثياب على الموتى تتمُّ وقوفاً، فورد في نفس السياق(מועד קטן יד ב – טו ב):"حدث أن مات حفيد أميمار، فإذا به يمزق ثيابه، وعندما جاء ابنه تذكر أنه مزق ثيابه وهو جالس فوقف ومزق ثيابه مرة ثانية، فسأله الربي آشي[1]: لم فعلت ذلك؟ فقال له تَأَسِّيًا بما ورد في أيوب ١/ ٢٠ "فقام أيوب ومزق جُبَّتَهُ".

كما أشار علماء التلمود إلى ما يحرم القيام به في أيام الحداد في نفس السياق السابق(מועד קטן יד ב – טו ב) فورد: "شرع علماؤنا: تلك هي الأمور التي يحرم القيام بها خلال أيام الحداد: ممارسة العمل، والاغتسال، والمسح بالزيت، ومضاجعة النساء، وارتداء النعال، وقراءة التوراة والأنبياء والمكتوبات، وتدارس المشنا والمدراش والتلمود.

كما حَرَّمَ علماء التلمود على من يُؤَدِّي طقوس الحداد الخروج من البيت طوال الأسبوع الأول من الحداد، فورد في نفس السياق (מועד קטן יד ב – טו ב):" يَحْرُمُ على من يؤدِّي طقوس الحداد الخروجُ من بيته في الأسبوع الأول من الوفاة، ويمكنه الخروج من بيته في الأسبوع الثاني شريطة ألا يجلس في المكان الذي اعتاد الجلوس فيه في المعهد الديني، لكن في الأسبوع الثالث يمكنه الخروج والجلوس في المكان الذي اعتاد الجلوس فيه في المعهد الديني شريطة ألا يتحدث مع أحد، وفي الأسبوع الرابع يتعامل مثله مثل أي شخص".

ويرى علماء التلمود في تشريعاتهم أنه لا بد من تقديم وجبة لمن يؤدي طقوس الحداد فورد في باب الموسم الصغير (מועד קטן כז א) في سياق الحديث عن توقف الحداد في الأعياد: "يحرم على المرء تقديم وجبة الحداد على صنية 'مزينة أو في سلة فاكهة ولكن تقدم وجبة الحداد في سلال بسيطة"، ويشرح علماء التلمود هذا

---

(١) ينتمي إلى الجيل السادس من علماء الجمارا في بابل.

التشريع، فورد في الجمارا: "شرع علماؤنا: في البداية كان الأغنياء يقدمون وَجْبَةً لمن حضر الحداد في سلال مصنوعة من الذهب والفضة، وكان الفقراء يقدمون وجبة لمن حضر الحداد في سلال مصنوعة من شجر الصفصاف، وكان الفقراء يخجلون من ذلك، ومن بعدها شرعنا: أنه ينبغي على الجميع تقديم وجبة لمن حضر الحداد في سلال مصنوعة من شجر الصفصاف".

كما يرى علماء التلمود أنه لا بد من توقف طقوس الحداد في الأعياد، فورد في باب الموسم الصغير (מועד קטן יט א) في سياق الحديث عن طقوس الحداد أيام السبوت والأعياد: "من يدفن ميتاً له قبل العيد بثلاثة أيام فعليه أن يتوقف عن الحداد في الأيام السبعة، ومن يدفن ميتاً له قبل العيد بثمانية أيام فعليه أن يتوقف عن الحداد في الثلاثين يومًا، لأن هناك من يرى أن يوم السبت يحسب ضمن أيام الحداد ولا يتوقف الحداد فيه، أما الأعياد فهي لا تحسب ضمن أيام الحداد ويتوقف الحداد فيها، ويقول راف: هذا يعني أن الحداد يتوقف عند حلول العيد لكن أيام الحداد لا تسقط (فهي تستكمل بعد انتهاء العيد)".

ويحرم المفسرون إجراء بعض طقوس الحداد يوم السبت، فورد في تفسير التكوين الكبير (בראשית רבה פרשת ויחי פסקה ז) في سياق تفسيرهم للفقرة الواردة في تكوين ٥٠/ ١٠ "فأتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن وناحوا هناك نَوْحًا عظيماً وشديداً جداً": "ومن أين نستدل على أن إقامة طقوس الحداد يوم السبت محرمة؟ قال الربي يهوشع نقلاً عن الربي ليفي: استناداً إلى ما ورد في الأمثال ١٠/ ٢٢ "بركة الرب هي تغني ولا يزيد معها تعباً" فالمقصود من جملة "بركة الرب هي تغني" أي يوم السبت، استناداً إلى ما ورد في تكوين ٢/ ٣ "وبارك الرب اليوم السابع وقدسه"، والمقصود من جملة "ولا يزيد معها تعباً(עצב)" أي الحداد، وذلك استناداً إلى ما ورد في صموئيل ثاني ١٩/ ٢ "أن الملك قد تأسف (נעצב) على ابنه". فقال راف: يجب في يوم السبت نصب الأَسِرَّةِ وعدم شقِّ الملابس، بينما يجوز قص الشعر

وارتداء النعال، وقال شموئيل: يجب في يوم السبت نصب الأَسِرَّة (النوم والجلوس على الأسرة) وعدم شق الملابس وقص الشعر، بينما يجوز ارتداء النعال، والاغتسال ومضاجعة النساء.

كما أشار علماء التلمود إلى أن تقديم العزاء يتم بجوار المقابر، فورد في باب الموسم الصغير (מועד קטן כז א) في سياق الحديث عن توقف طقوس الحداد في الأعياد: "يحرم على من يكون في حداد أن يتلو دعاء الطعام خلال أيام الحداد السبعة، وفي هذه الأيام ينبغي على المُعَزِّينَ الوقوفُ صفًّا واحداً (بجوار المقابر وذلك فى أثناء زيارتهم لقبر الميت في الأيام السبعة) لتقديم التعازي لأقارب الميت وبعدها ينصرف أقارب الميت والمُعَزُّونَ".

في حين تبدأ مراسم الحداد عند اليونان بعرض الجثمان، فكان الأب يقف بجوار الباب ليتقبل العزاء من الحاضرين، ويدخل الرجال عادة من اليمين رافعين أيديهم اليمنى في وقار، على العكس من حالة النسوة اللاتي ينقسمن إلى فريقين، الأول مجموعة من النسوة، قد تكون أمَّ أو زوجةَ أوِ ابنةَ المتوفى وتقف عند رأس الميت وتسند رأسه ويقف خلفها باقي نساء المنزل الواقفات خلفها وتقوم بترتيل مَرْثِيَّةٍ معينة، والفريق الثاني مجموعة من النَّدَّابَاتِ المحترفات ينتشرن حول التابوت ويُنْشِدْنَ مَرْثِيَّةً أخرى، وكان ترتيل المرثيتين يتم في وقت واحد ويصاحبهما عزف الألحان الحزينة، وكان يحرم على النساء لطم خدودهن والضرب على صدورهن[1].

وفى أثناء ذلك كان النساء من غير أقارب الميت يَقُمْنَ بإعداد وجبة طعام من أجل أقارب الميت، وبعدها تبدأ المسيرة الجنائزية في منتصف النهار بعد ذبح القربان وتقديمه لآلهة العالم السفلي من أجل الميت، ويتكون الموكب من ثلاث مجموعات:

---

(١) (مطاوع) محيي الدين: الطقوس الجنائزية بين التقاليد والقانون في مدينة أثينا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ص٢٣٢.

- (Rohde) Erwin: psyche, p164.

الأولى من الرجال في عربات حربية تقودها الخيول أو يسيرون على أقدامهم وهم يرتدون ملابسهم العسكرية، والثانية نساء المنزل ويسرن على أقدامهن خلف التابوت، والثالثة موكب جنائزي ويضم بين أفراده النادبات المحترفات، والجدير بالذكر أن الرجال كانوا يلتزمون الصمت فى أثناء سيرهم في الجنازة، بينما اعتادت النساء النحيب بصوت عال وتقطيع شعورهن، وبخاصة عند مفترق الطرق، كما لو كن يردن لفت الأنظار وشد انتباه العامة لكي يُشَارِكُوهُنَّ مسيرتَهُنَّ الجنائزية[1].

أما طقوس الحداد في الديانة الزرادشتية فكانت بسيطة للغاية، فبعد وضع جثة الميت داخل تابوت من حديد يحمله شخصان يرتديان ملابس بيضاء وقُفَّازَاتٍ، تَجَنُّبًا للنجاسة، ويتلو هذان الشخصان بعض الأدعية التي تجنبهم النجاسة، كما يجتمع أقارب الميت وأصدقاؤه داخل المنزل لإلقاء النظرة قبل الأخيرة على الميت وينبغي على أقارب الميت وأصدقائه الوقوف على بعد ثلاث خُطُوَاتٍ على الأقل من الجثة، ثم يحمل الشخصان الجثة ويَخْرُجان بها من باب البيت المخصَّصِ لها (حيث يوجد في كل بيت باب مخصص لخروج الجثة بالإضافة إلى باب الدخول والخروج) ويحدث ذلك نهاراً، ويتقدم التابوتَ اثنان من الكهنة، ويتبعه أقارب الميت وأصدقاؤه، وإذا كانت المسافة من البيت إلى برج الصمت "الدخمة" مسافة بعيدة، فيمكن وضع التابوت على حمار أو ثور بحيث يركب أقارب الميت وأصدقاؤه، بينما يسير الكهنة، وبعد الوصول إلى الدخمة يوضع التابوت على الأرض ثم يلقي الأقارب والأصدقاء النظرة الأخيرة على الميت، ثم يرتدي من يحملون التابوت ملابس الدخمة، ويرفعون غطاء الدخمة ويضعون الجثة داخلها، أو يتركونها على الصخر حتى تلتهم النسور لحمها ثم يلقون بالهيكل العظمي داخل الدخمة.

(١) (مطاوع) محيي الدين: الطقوس الجنائزية بين التقاليد والقانون في مدينة أثينا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ص ٢٣٧.

وبعدها تبدأ مرحلة الطهارة، فبعد خروج الجثة من البيت ينبغي على أهل الميت رش جميع الأشياء التي لامست الجثة ببول البقرة، وبعدها يغتسلون، كما أنهم يمتنعون عن تناول اللحم لمدة ثلاثة أيام، وكذلك من قام بحمل التابوت عليه أن يغسل الأجزاء العارية من جسده في أثناء حمله للجثة ببول البقرة ثم يغتسل(١).

أما بالنسبة إلى طقوس الحداد في أرض كنعان فأشارت كلٌّ من أسطورة أقهت وأسطورة كيريت(٢) إلى مراسم الحداد في النصوص الأوجاريتية، فورد في أسطورة كيريت أن ابنته ذهبت إلى السهل لكي تبكي أباها الميت، كما ورد في أسطورة أقهت أن النادبات أخذن يندبن البطل أقهت عند قبره لمدة سبع سنوات، في حين تظهر طقوس الحداد بشكل أكثر وضوحاً في أسطورة بعل، فتصف الفقرة التالية رد فعل الإله إيل والإلهة عنات عندما مات الإله بعل، ويرى العديد من الباحثين أن هذه الطقوس هي طقوس الحداد عند الكنعانيين: "فقام إيل إله الرحمة، وتهاوى على مسند قدميه، ومنه خر واقعاً على الأرض، ويضع التراب على رأسه، ويُمرغ نفسه في التراب، ويمزق ثيابه، ويحك جلده بالأحجار، وخصريه بشفرة حادة، ويجرح خده وعموده الفقري، ويحرث عظامه وصدره مثل البستان، ورفع صوته صارخاً: لقد مات بعل، لقد مات ابن داجان"(٣).

---

(1) (Hastings) James: Encyclopedia of Religion and Ethics, part 8, Kessinger publishing, 2003, p503- 505.

(٢) ملحمة أوجاريتية تتكون من ثلاثة ألواح تم اكتشافها في رأس الشمرة عام ١٩٣٠م، وترجع من ١٥٠٠ قبل الميلاد وحتى ١٢٠٠ قبل الميلاد، وهي تروي قصة الملك الأوجاريتي كيريت من مدينة حوبور.

((Hooke) S.H: Middle eastern mythology, p89).

(٣) دَجون أو داجان أو دجن أو داجونا إله قديم انتشرت عبادته في سوريا القديمة منذ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد ودخلت إلى بلاد الرافدين منذ عهد سرجون مؤسس الإمبراطورية الأكادية.

Tromp (Nickolas.J): Primitive Conceptions of Death and Nether world in the old testament, p12.

فهذا النص يُصَوِّرُ الفاجعة العظيمة التي يُحدِثها الموت، بالإضافة إلى أنه يُصَوِّرُ طقوس الحداد التي كانت تمارَس في أرض كنعان، والتي نهى عنها نص العهد القديم، فعملية تمزيق وخدش الجسد من أجل الموتى كانت من الطقوس الشائعة في كنعان والتي رفضها سفر اللاويين "لا تجْرَحوا أجسادكم لميت" (لاويين ١٩/ ٢٨)، ومن خلال النص يتضح أنه بالإضافة إلى طقوس الحداد الصامتة، كان هناك طقوس أخرى تقوم بها النادبات، ويتضح ذلك من خلال كلمات عنات التي رددتها بمجرد سماع خبر موت بعل: "ليتني أهبط إليك إلى العالم السفلي"[1].

أما طقوس الحداد في بابل فكانت تستمر من ثلاثة إلى سبعة أيام، كما يظهر النادبون والنادبات في فترات مبكرة من التاريخ البابلي، وكانوا يرددون المراثِيَ والألحانَ الحزينة على موتاهم، وكان يقوم بهذه الوظيفة - في الأساس - الكهنةُ والكاهنات، ولعل آثار هذه العادة موجودة في أسطورة عشتار[2]، والتراتيل التي كانت تُوَجَّهُ إلى نيرجال [3]، وفي أسطورة جلجاميش وهو يبكي صديقه "أيباني"، تلك العادة التي ما زالت موجودة حتى الآن، ولقد كانت القيثارة والناي من الآلات التي استخدمت في الفترة الآشورية لهذا الغرض[4].

---

(1) (Watson) Wilfred.g.and (Wyatt) Nicolas (Editor): Handbook of Ugaritic studies, brill Leiden ,1999, p 578-579.

(٢) كتبت هذه الأسطورة على ألواح من الطين وتعود إلى قرابة ١٧٥٠ ق.م، لا تختلف كثيراً عن النسخة السومرية "هبوط أنانا إلى العالم السفلي"، غير أن عشتار في النسخة البابلية تظهر لنا أكثر قسوة من أنانا في النسخة السومرية.

((Hooke) S.H: Middle eastern mythology, p 62).

(٣) هو إله العالم السفلي ويُعرف بـ "إله الوباء" وهو المسؤول عن تعمير العالم السفلي، وقد استطاع بقوته هو وزوجته إيرشكيجال سيدة الأرض العظمى السيطرة على العالم وقد نشأ نيرجال إلهًا شمسيًا وهو يُشارك أونو وأنليل وأنكي في مُلك العالم، كما أنه المسؤول عن معاقبة المدن التي تثور ضد السماء بما فيها "بابل"، ورمزه هو الأسد وأحيانًا الثور أو التنين أو الغراب.

(4) (Jastrow) Morris: The religion of Babylon and Assyria, p 344.

وكان من يؤدون طقوس الحداد على الموتى يعلنون عن خروج الروح من الجسد، وبعد ذلك يقدمون الطعام من أجل الميت، فورد في أحد النصوص السومرية: "بعد أن تُعلِنَ أن الروح خرجت من الجسد، ثَبِّتِ الكُرسِيَّ وضَعِ التمثال، ضَعِ الخبز وصُبَّ الماء عبر الأنابيب"، فالبطل جلجاميش نحت تمثالاً لصديقه أيباني بعد موته[1].

وكذلك انتشرت عادة الحداد على الموتى بين المصريين القدماء، فمن خلال طقوس الدفن يتضح أن المصريين القدماء كانوا يُخَصِّصون قاربًا آخَرَ بالإضافة إلى القارب الذي يحمل جثة المتوفى يضم عدداً من النسوة من أقارب الميت يُوَلْوِلْنَ ويَنْدُبْنَ على المتوفى، وقاربًا ثالثًا يضم أقارب المتوفى من الذكور، وقاربًا رابعًا يضم أصدقاء وزملاء المتوفى ليقدموا التكريم الأخير للراحل، وكما أشرت سابقاً أنه بعد عبور النهر بالجثة وفى أثناء سير الجنازة كان الكهنة يقومون بحرق البخور وترتيل التراتيل الحزينة.

وتعكس إحدى البرديات التي تعود إلى فترة المملكة الحديثة، صورة من صور الندب والحداد على الموتى، وذلك من خلال حداد إيزيس على أوزوريس: "تعال إلى بيتك حتى تراني، أنا أريدك وأرغب في رؤيتك، لا تبتعد عني فالآلهة والبشر يتوجهون إليك، نُواحي عليك يصل إلى عنان السماء، وأنت لا تسمع صوتي، قلبي يحترق لأنك ذهبت إلى الشر، قلبي يحترق لأنك ابتعدت عني"[2].

ويتضح من خلال ما سبق أن شعوب الشرق الأدنى ترى أن من يقوم بطقوس الحداد هم أقارب الميت وكان الحمل الأكبر يلقى على عاتق النسوة من أقارب الميت، كما يتضح أن علماء التلمود والمفسرون اتفقوا مع البابليين في تحديد فترة الحداد بسبعة

---

(1) (Johnston) Sarah Iles (Ed): Religion of ancient world, Harvard univ press, 2004, p476.

(2) (Assmann) Jan and (Lorton) David: death and Salvation in ancient Egypt, p117.

أيام، كما اتفقوا مع اليونانيين والبابليين في إعداد طعام من أجل من لديه مُتَوَفَّى وفي حالة حداد، أما بالنسبة إلى عادة تمزيق الثياب التي اتبعها علماء التلمود والمفسرون فهي نفس العادة التي وردت في النصوص الكنعانية، وبينما كان علماء التلمود والمفسرون يقدمون العزاء لأهل الميت بجوار المقابر كان اليونانيون يقدمون العزاء في البيت قبل دفن الميت.

الفصل الثالث

مصير الروح بعد الموت

المبحث الأول

حياة القبور

قدم علماء التلمود في مناقشاتهم صورة عن الموتى في قبورهم، في عالم خاص بهم، فهم يعلمون ما يحدث في عالم الأحياء ويشعرون بالأحياء من حولهم، ويتضح ذلك من الروايات الواردة في باب الأدعية في سياق حديثهم عن إعفاء أهل الميت من قراءة "اسمع" ومن جميع الفرائض التي نصت عليها التوراة، فيقول علماء التلمود في إحدى الروايات: إن الموتى يعلمون ما يحدث في عالم الأحياء، ويشعرون بالأحياء من حولهم، فورد في باب الأدعية (ברכות דף יח א.יח ב): "كان الربي حيا والربي يوحنان يسيران في المدافن فتدلت «أهداب وشاح»[1] الربي يوحنان، فقال له الربي حيا: ارفعها حتى لا يقول (الموتى) غداً سيلحقون بنا، والآن يستهزئون بنا! فقال له: وهل يعرف (الأموات) كل ذلك، فقد جاء في الجامعة ٩/ ٥: "أما الموتى فلا يعلمون شيئًا " فقال له: إذا كنت قد قرأت هذه العبارة فأنت لم تتأملها ولم تفهمها".

وتكررت تلك الرواية في تفسير الجامعة الكبير «קוהלת רבה פרשה א פסוק ה» في سياق تفسير الفقرة الواردة في الجامعة ٩/ ٥ "لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون أما الموتى فلا يعلمون شيئًا وليس لهم أَجْرٌ بعد، لأن ذِكْرَهُم نُسِيَ".

---

(١) (صيتصيت) أي الأهداب وهي عبارة عن مجموعة من الأهداب أمر الرب موسى وبني إسرائيل بوضعها في أذيال الثوب كما ورد في عدد ١٥/ ٣٨ ليتذكروا وصاياه، فعدد هذه الأهداب مثل عدد فرائض التوراة (٦١٣) فريضة. (انظر "الشامي" رشاد عبد الله، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٢م، ص ٢٨١).

"حدث أن الربي حيا والربي شمعون كانا يسيران أمام تابوت الربي شمعون ابن يوسي بن لقونيا، وإذا بوشاح الربي يوحنان يَلْمَسُ تابوت الربي شمعون، فقال له الربي حيا: ارفع وشاحك حتى لا يقول الموتى غداً سيلحقون بنا، والآن يستهزئون بنا! فقال له: وهل يعرف الموتى كل ذلك؟ أَوَلم يَرِدْ في الجامعة ٩ / ٥ "أما الموتى فلا يعلمون شيئًا"؟!، فقال له الربي حيا: إذا كنت على علم بما ورد في المقرا، فلست على علم بتفسير فقرات المقرا، فجملة " لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون" تشير إلى الأتقياء الذين عند موتهم يطلق عليهم أحياء، أما جملة "أما الموتى فلا يعلمون شيئًا" فتشير إلى الآثمين الذين في حياتهم يطلق عليهم أموات".

وبالتالي يرى علماء التلمود والمفسرون من الرواية السابقة أن الموتى يعلمون ويشعرون بما يحدث حولَهُمْ في عالم الأحياء، وقد أَوَّلُوا فقرات المقرا، إذ تشير الفقرة الواردة في سفر الجامعة إلى أن الموت هو المصير النهائي لجميع البشر، والذي لا تتبعه حياة أخرى، إلا أن علماء التلمود والمفسرين أَوَّلُوا هذه الفقرة وقالوا: إنها تُشِير إلى الآثمين الذين في حياتهم يُسَمَّوْنَ أمواتًا، وإن الأتقياء عند موتهم يُعَدُّونَ أحياءً ويمكنهم أن يعلموا ويشعروا بما يحدث حولهم في عالم الأحياء، في حين ينفي علماء التلمود تلك الفكرة في رواية أخرى وردت في باب الأدعية في نفس السياق: "خرج أبناء الربي حيا (للعمل في أرضهم) فنسيا تعاليم التلمود، فحزنا، ولكي يتذكروها قال أحدهما لصاحبه: هل أبونا يعلم بهذا الحزن، فقال له (أخوه): أَنَّى له أن يعرف وقد ورد في أيوب ١٤/ ٢١: "يُكْرَمُ بَنُوهُ ولا يُعْرَفُ" فقال له الآخر: ألا يعرف وقد ورد في أيوب ١٤/ ٢٢: "إنما على ذاته يتوجع لحمه وعلى ذاتها تنوح نفسه". قال الربي يسحق: إن الدود صعب بالنسبة إلى الميت مثل وخز الإبرة في لحم الحي. يقولون: إنهم يعلمون (يشعرون) بأوجاعهم (أي عندما يأكلهم الدود) ولا يعلمون شيئًا عن أوجاع الآخرين".

وقد أَوَّلَ أحد علماء التلمود إحدى فقرات المقرا وأخرجها من سياقها في النص المقرائي، ليُثْبِتَ أن الموتى يعلمون ما يحدث من حولهم في عالم الأحياء: "فيقول الربي شموئيل بر نحماني عن الربي يوحنان: ما هو سند (من يقول) إن الأموات يعلمون ما يحدث في عالم الأحياء؟ استناداً إلى ما ورد في تثنية ٣٤/ ٤: "وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً «لِنَسْلِكَ أُعطِيهَا»[١]"، فما هو تفسير كلمة "قائلاً"؟ لقد قال القُدُّوسُ تبارك لموسى: اذهب قل لإبراهيم ولإسحق وليعقوب: إن القسم الذي أقسمته لكم قد نفذته لأبنائكم. فهل تظن أنهم (إبراهيم وإسحق ويعقوب) لا يعرفون؟ فقد قال الرب لموسى: قل لهم! فما سبب قوله: " قل لهم " إذا كانوا يعرفون؟ لقد قال له: قل لهم لكي يشكروا موسى.

في حين يرى علماء التلمود في سياق حديثهم عن الأمور التي يجب تَجَنُّبُها يوم السبت عند دفن موتاهم أن الموتى يعلمون ما يحدث من حولهم قبل دفنهم، ولكن بعد إغلاق القبر عليهم ينقطع اتصالهم بعالم الأحياء، فورد في باب السبت (שבת קנב ב): "إن الميت يعلم ما يقال في وجوده حتى يغلق القبر عليه (ويقول راشي حتى يغلق التابوت عليه)، ولقد اختلف كلٌّ من الربي حيا والربي شمعون حول هذا الأمر، فيقول الربي حيا: إن الميت يعلم ما يجري حوله حتى يغلق عليه القبر، ويقول الربي شمعون: إن الميت يعلم ما يجري حوله حتى يتعفن الجسد، فمن قال حتى يتعفن الجسد استند إلى ما ورد في أيوب ١٤/ ٢٢ "وعلى ذاته يتوجع لحمه وعلى ذاتها تنوح نفسه"، ومن قال حتى يغلق القبر عليه استند إلى ما ورد في الجامعة ١٢/ ٧ "فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله التي أعطاها".

(١) حيث حذف الربي شموئيل جملة "لنسلك أعطيها" ليأوّل كلمة "قائلاً" على أنها صيغة أمر بمعنى "قل لهم" أي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، في حين أنها في الفقرة صيغة ماضي بمعنى "قلت لك"، أي: قلت لك يا موسى: إنني سأعطي هذه الأرض لنسلك.

كما أشار علماء التلمود في مناقشاتهم إلى أن الموتى يتحدثون مع الأحياء وهم في القبور، فورد في باب السبت (שבת קנב ב) في سياق الحديث عن الأمور التي يجب تجَنُّبها يوم السبت عند دفن موتاهم: "قال الربي ميري: إن الأتقياء سوف يتحولون إلى تراب استناداً إلى ما ورد في الجامعة ١٢/ ٧ "فيرجع التراب إلى الأرض"، حدث أن الحفَّارين كانوا يحفرون في أرض راف نحمان، فسمعوا صوت غطيط، فذهبوا إلى راف نحمان وقالوا له: لقد سمعنا صوت غطيط في أرضك، فذهب إلى أرضه وقال: مَنِ السَّيِّدُ؟ فقال له: أنا آحاي بر يوشياهو! فقال له راف نحمان: أولم يقل الربي ميري إن الأتقياء سوف يتحولون إلى تراب، فقال له آحاي بر يوشياهو: ومن هو ميري؟ أنا لا أعرفه! فقال له راف نحمان أولم يَرِدْ في سفر الجامعة ١٢/ ٧ "ويعود التراب إلى الأرض"، فقال له آحاي بر يوشياهو: وهل من عَلَّمَكَ تفسير سفر الجامعة لم يُعَلِّمْكَ تفسير سفر الأمثال؟! فكذلك ورد في الأمثال ١٤/ ٣٠ "ونخر العظام الحسد"، فكل من يحمل مثقال ذرة من حسد في قلبه ينخر الدود عظامه " (لذلك فإن عظامي لم ينخرها الدود)، فعندما تحسسه راف نحمان بيده وجد أن جسده سليم فقال له: لينهض سيدي من قبره، فقال له آحاي بر يوشياهو: اتضح لي أنك لم تتعلم أسفار الأنبياء أيضاً، فقد ورد في حزقيال ٣٧/ ١٢ "هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم" (فالرب فقط هو الذي يملك إخراج البشر من القبور).

كما يشير علماء التلمود في مناقشاتهم إلى أن الأحياء يذهبون إلى الموتى في القبور طلبًا للمساعدة فورد في باب الأدعية (ברכות דף יח ב) في عدد من الروايات أن الأحياء يذهبون إلى القبور ويتحدثون مع الموتى ويطلبون منهم الكشف عن بعض الأمور التي تخفى عليهم، وذلك في سياق الحديث عن إعفاء أهل الميت من الفرائض التي نَصَّتْ عليها التوراة: "حدث أن ضاعت دنانير من صغير في البيت الذي ينزل فيه مع آخرين، فذهب إلى معهد (مدرسة) الراف شخيفا، الذي ذهب إلى القبور وقال للروح: أين الدنانير؟ فقالت له اذهب وستشاهدها من فتحة باب في المكان الفلاني،

وقل لأمي أن ترسل لي (المشط) والمُكْحُلَة مع فلانة التي ستأتي غدًا (أي: ستموت وتدفن هنا غدًا)، من هنا يتضح أن (الأرواح) يعرفون (من سيموت) كما أنهم قادرون على خدمة الأحياء".

كما تشير رواية أخرى من روايات التلمود -وردت في (ברכות דף יח ב)- أن الأحياء يلجؤون إلى الموتى لطلب مساعدتهم، كما تشير نفس الرواية إلى أن أرواح الموتى تصعد إلى السماء لدراسة الشريعة في المعاهد الدينية الموجودة في السماء: "فكان (الناس) يودعون دنانير لأيتام عند أبى شموئيل، ولما مات قال (ابنه للناس): ليس لدى شيء، الدنانير كانت مع أبى. فأطلقوا عليه: ابن آكِلِ دنانير اليتامى. فذهب إلى المدافن وقال (للموتى): أريد آبا فقالوا له: لدينا كثيرون يحملون اسم آبا، فقال لهم: أريد آبا بر آبا، فقالوا له: كثيرون يُسَمَّوْنَ آبا بر آبا أيضاً، فقال لهم: آبا بر آبا أبو شموئيل فأين هو؟ قالوا له لقد صعد إلى المعهد الديني الذي في السماء، في هذه الأثناء رأى شموئيل (صاحبه) ليفي يجلس بعيدًا عن المُتَوَفَّيْنَ، فقال له: لماذا تجلس بعيدًا عن مجلسهم؟ ولماذا لم تصعد (مع أبى)؟ فقال له: لقد قالوا لي: أنت الرقم الثاني الذي لم يرتق إلى معهد الربي (إفس)[1]؛ لأن علمك قليل ولا يؤهلك لدخول (معهد) السماء، وفى تلك الأثناء جاء أبوه، ورآه شموئيل يبكى ويضحك! فقال له: ما سبب بُكَائِكَ؟ فقال له: لأنك ستموت قريبًا. وما سبب ضَحِكِكَ؟ لأنك ذو أهمية كبرى فى هذا العالم! فقال له: إذا كنتُ ذا أهمية فلندخل إلى ليفي، فدخلوا. وسأل ليفي عن دنانير الأيتام، فقال له: اذهب وستجدها في الرحى بين شقيها. فقال له: لما تصرفت هكذا؟ فقال له: وهل يسرق اللصوص الرحى؟! أو هل تأكل الأرض الرحى؟! من هنا يتبين (لنا) أن (الأموات) يعرفون (منزلة الأحياء) وقد يكون وضع شموئيل مختلفًا! فنظرًا إلى أن منزلته عالية جاؤوا وأخبروه وأخلوا مكانًا".

(١) ينتمي إلى الجيل الأول من علماء الجمارا في فلسطين.

تصور اليونانيون وجودَ عالم تسكنه أرواح الموتى يقع أسفل أعماق الأرض، كما تصور اليونانيون أيضاً أن الموتى يَحْيَوْنَ داخل قبورهم؛ لذلك واظبوا على تقديم قرابين الطعام والشراب لهم، ويحاول بعض الباحثين تفسير ظهور هذين المفهومين المتعارضين في الفكر الديني الإغريقي، فيَنْسِب أحدهما إلى الديانة الرسمية، بينما يَنْسِبُ الآخَرَ إلى المعتقدات الشعبية، في حين يرى البعض الآخر من الباحثين أن هذا التناقض ما هو إلا أحد التناقضات التي عرفتها معظم الشعوب على مر الأزمان؛ لذلك لم يكن مستغرَبًا أن يهتم الإغريقيُّ اهتماماً كبيراً بالقبور، رغم إيمانه بأن أرواح الموتى تسكن عالماً آخَرَ، لأن القبر هو البوابة التي باجتيازها تبدأ الروح رحلتها الطويلة والشاقة إلى العالم الآخر[1].

ويَحْفِلُ التراث الإغريقي بقصص نزول بعض الأحياء إلى عالم الموتى والصعود مرة أخرى إلى عالم الأحياء، ومن أشهر هذه الرحلات، رحلة نزول أوديسيوس التي يصفها هوميروس في الإلياذة ورحلة الإلهة ديميتر التي اختطفها الإله هاديس ليتخذها زوجة له[2]، ورحلة أورفيوس لاستعادة زوجته يوروديكي، وأخيراً قصة نزول هراكليس التي ذكرها هوميروس بطريقة عابرة، كما يحفل التراث الإغريقي أيضاً بفكرة صعود الموتى إلى عالم الأحياء، تلك الفكرة التي سيطرت على اليونانيين مثلهم مثل بعض الشعوب الأخرى، فقد ساد اعتقاد في بابل بأن الموتى يصعدون إلى عالم الأحياء ويأكلون من القرابين التي تقدم سنوياً في ذكرى الإله تموز، وفي مصر الفرعونية آمن المصريون القدماء بنفس الفكرة واعتادوا أن يشعلوا المشاعل في اليوم الأخير من العام وفي اليوم الأول من العام الجديد، حتى تتمكن أرواح الموتى من رؤية طريقها بوضوح في أثناء صعودها إلى عالمها.

(١) (كروان) منيرة عبد المنعم: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص٣٦.

(٢) إلهة الطبيعة والنبات، وتعتبر من الآلهة الكبار لأنها أخت بوسيدون وزيوس وهاديس، وتأتي بالمرتبة الرابعة عند الإغريق.

ويعتبر عيد "الانثيستيريا" خير شاهد على اعتقاد اليونانيين في فكرة صعود الموتى إلى عالم الأحياء، فكان هذا العيد يقام سنوياً ويستمر لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الأول للعيد تُفتح جِرَارُ الخمر المُعَتَّقِ ليشرب الجميع في احتفال صاخب، وكانت رائحة الخمر تجتذب أرواح الموتى فتخرج من عالمها لتأخذ نصيبها وتشرب كما تشاء، وبعد انتهاء اليوم الثالث كان الجميع ينشغلون بصَرْفِ أرواح الموتى، لتنزل إلى عالمها بعد أن انتهى العيد، وكان رب الأسرة يطلب من الأرواح أن تغادر المدينة التي استضافتها لمدة ثلاثة أيام وتعود إلى عالمها المظلم.

وإذا كان البعض يقوم بمثل هذا الجهد الشاقِّ كي تنزل أرواح الموتى إلى عالمها السفلي، فإن البعض الآخر كان يقوم في أوقات الأزمات، بصب القرابين وهو يذرف الدمع الغزير متوسلاً إلى أرواح الموتى كي تصعد إلى عالمهم وتسديهم النصح وتقدم لهم المشورة[1].

كما أن أشباح الموتى في أرض كنعان تقوم بخدمة الأحياء، فقد اتضح في الفصل الأول من هذه الدراسة[2] أن الكنعانيين كانوا ينظرون إلى الموت على أنه المصير النهائي لجميع البشر وأنهم بعد الموت لا يُخَلِّفُونَ وراءهم سوى ظِلال "رفيم rpum"، وقد وقف الباحثون كثيراً أمام هذا المصطلح فانقسموا إلى أربع فرق، الفريق الأول من الباحثين يرى أن هذا المصطلح يطلق على مجموعة من الأحياء الذين يمثلون الطبقة الأرستقراطية أو مجموعة من المحاربين، في حين يرى فريق آخر من الباحثين أنهم مجموعة من المخلوقات المقدسة التي تقوم بخدمة الإله "إيل"، وتعمل على حماية الملك والمدينة بينما يرى أغلب الباحثين أنهم عبارة عن ظلال الموتى من الملوك والنبلاء الذين يسكنون العالم السفلي والذين أنزلهم الأحياء منزلة الآلهة فهم يهتمون

(١) المرجع السابق، ص ١٢٠-١٢٢.

(٢) انظر ص ٤١ .

بمصالح أقاربهم الأحياء وبالأخص في أمور الخصوبة سواء خصوبة البشر أو خصوبة الأرض، في حين ذهب بعض الباحثين إلى إمكانية تفسير المصطلح بثلاثة تفسيرات مختلفة، ولكنهم يرجحون أنه يشير إلى ظلال الموتى ويستندون في ذلك على عدة أدلة منها:

- أن الكلمة الأوجاريتية "رفيم rpum" قريبة إلى الكلمة العبرية "رفائيمrpaim" والتي تعني ظلال الموتى.
- أن مصطلح "رفيم أرض rpum ars" أي ظلال موتى الأرض ومصطلح "رفيم قدميم rpum qdmym" أي ظلال الموتى القدامى، هي مصطلحات وردت في سياق الحديث عن الطقوس الجنائزية.
- أن الفقرة الأخيرة من أسطورة بعل "rpum-ilnim-mtm-ilm" ترجمها العديد من الباحثين "أنت تحكم ظلال الأرض وتحكم الآلهة، وتعلو فوق الموتى، وتعلو فوق الآلهة"[1].

وقد ورد هذا المصطلح للإشارة إلى ظلال الموتى في أسطورة كيريت عندما بارك الإله إيل البطل الأسطوريَّ كيريت بمناسبة زواجه للمرة الثانية، ومن خلال تلك البركة يتضح أن هناك مجموعةً من الأحياء، ومجموعة من الرفائيم الأرضية، والأرضية هنا بمعنى التي تسكن العالم السفلي الذي يمثل مسكن الـ"رفيم"، فمن خلال هذه البركة يمنح الإله إيل البطل كيريت ذرية كبيرة تضمن له النعيم في حياته، وتمجده عندما ينضم إلى أسلافه: "لتسمو يا كيريت، وتتوسط رفيم الأرض، تتوسط المغادرون من "ديتان" (أسلافك)".

كما يتضح من خلال أسطورة أقهت أن ظلال الموتى "رفيم" تقوم بخدمة الأحياء فهي تصعد إلى الحقول والمزارع لكي تعيد الخصوبة إلى الأرض التي جفت

(1) (Waston) Wilfred: Handbook of Ugaritic studies, p264-265.

بسبب موت أقهت فورد في أسطورة أقهت: "جاء الرفائيم إلى مكانه، جاء المقدسون إلى مكانه، صعدوا على العربات، وركبوا الحمير، ساروا لمدة يوم ثم يومين، وفي اليوم الثالث عند غروب الشمس وصل الرفائيم إلى الجرن، وصل المُقَدَّسُون إلى المزارع، فتحدث دانيال إلى الرفائيم، ادخلوا إلى الجرن، ادخلوا إلى المزارع".

كما أشار بعض الباحثين إلى أن الرفائيم ساعدت على عودة أقهت إلى الحياة مرة أخرى فهي التي أقامت جسراً بين هذا العالم والعالم السفلي وكان الإله بعل يقودهم في تلك المهمة[1].

وكذلك حاول البابليون رسم صورة لموتاهم في القبور من خلال أحلامهم، فكان الموتى يظهرون في أحلامهم بنفس الصورة التي كانوا عليها في الحياة، وكان من عادة البابليين عند رؤية الموتى في الحلم أنهم يستيقظون ويلمسون أرضية حجرة النوم ويشعلون الضوء. فكان هناك اعتقاد سائد أن كل من يهمل الموتى ولا يزودهم بالطعام والشراب في قبورهم فإنهم يتحولون إلى أشباح تظهر له في أحلامه، فكان البابلي يعتقد أن الموتى يأكلون ويشربون إذا قام أقاربهم بإمدادهم بالطعام والشراب في قبورهم، كما اعتقد البابليون أن الموتى في قبورهم يمكنهم أن يتحدثوا مع بعضهم

(1) (Coogan) Michael David: stories from ancient Canaan, Philadephia, Westminster John Knox , 1974, p49.

(pope) Marvine, Cult of the Dead at Ugarit, p170-175.

١ يرى بعض الباحثين أن مصطلح "رفائيم" ورد في العهد القديم ليشير إلى ظلال الموتى التي تسكن العالم السفلي، كما ورد في أيوب ٢٦/ ٥، وكذلك للإشارة إلى أحد الشعوب التي سكنت الأرض التي عَهِدَ الربُّ أن يعطيها لبني إسرائيل، كما ورد في تكوين ١٥/ ١٨-٢٠ " في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً، لِنَسْلِكَ أُعطِي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، القينيين والقدمونيين، والحيثيين والفرزيين والرفائيين، والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين".

البعض، وكذلك مع الأحياء، إلا أن هناك بعضَ البابليين اعتقدوا أن الموتى يهمسون ويصدرون أصوات الطيور[١].

كما اعتقد البابليون أن الموتى يمكن أن يَحْيَوْا معهم داخل البيت وذلك إذا تم دفنهم تحت أرضية البيت، فبعد التنقيب في مدينة "أور"[٢] تم الكشف عن رُفاتِ بعض الموتى تحت البيوت البابلية وبالأخص بيوت الطبقة الراقية في المجتمع، وبالتالي كان يعيش الأحياء بجوار الموتى، بل خصص البابليون بعض الغرف لدفن موتاهم اعتقاداً منهم بأن الموتى هم حماة الأسرة والمعاونون لها، ويتضح ذلك من خلال إحدى الكتابات الآشورية: "فعندما طلبت امرأةٌ مالاً من أخيها قال لها: اطلبي من الآلهة والأرواح" فالآلهة المقصود بهم الآلهة الخاصة بالأسرة والمقصود بالأرواح أي: أرواح الموتى.

ويرى بعض الباحثين أن اللجوء إلى الموتى كان سببه التوترات التي كانت تسود داخل الأسرة فالابن يلجأ إلى روح أبيه لكي يُنصِفَهُ من أخيه، وكان كل من يتعامل باحتقار مع أسرة بابلية فكأنما احتقر موتى تلك الأسرة وبالتالي يتعرض لعداء من أرواح موتى تلك الأسرة. فقد انتشرت في بابل فكرة استعانة الأحياء بأشباح الموتى ليس فقط لتلبية طلباتهم والثأر من أجلهم ولكن أيضاً من أجل التنبؤ بالمستقبل، فقد ورد في الكتابات الآشورية التي تعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد "نحن سنسأل النساء التي منحت الوحي، وكذلك سنسأل أرواح الموتى، هل الإله الآشوري سوف يستمر في حمايتك"[٣].

(1) (Jastrow) Morris: The religion of Babylonian and Assyria , p324-330.
(Toorn) K.Van Der: Family Religion in Babylonia, Syria and Israel, Leiden Brill, 1996, p55-63.

(٢) عاصمة للسومريين عام ٢١٠٠ ق.م، تقع جنوب العراق.

(٣) المرجع السابق p55-63، .

– (Adams) Ernest Austin، The Development of Biblical views on the General Resurrection of the dead، p80.

ومن النصوص البابلية التي تثبت حياة الموتى في قبورهم وتشير إلى الحوار الذي كان يدور بين الأحياء والموتى نصٌّ يعود إلى القرن السابع عشر ق.م ورد فيه سلسلة أنساب حمورابي[1]، فورد في الأسطر الأخيرة منه: "إلى جميع أفراد السلالة الذين لم يُذكر أسماؤهم، إلى الجنود الذين سقطوا في الحرب، إلى أبناء وبنات الأسرة المالكة، إلى جميع البشر منذ سطوع الشمس وحتى غروبها، إلى كل من لم يجد أحداً يعتني به ويحيي ذكراه، ليأتي وليأكل ويشرب ويقدم التحية إلى آمي صادوقا[2] ابن الملك آمي ديتانا"[3].

ويتضح مما سبق من خلال روايات التلمود وكتب التفاسير ومن خلال ما ورد في النصوص البابلية أن علماء التلمود والمفسرين اتَّفقوا مع البابليين في الصورة التي رسموها لموتاهم داخل القبور، فكما كان يعتقد البابليون أن الموتى يتحدثون مع بعضهم البعض داخل القبور، كذلك اعتقد علماء التلمود، وكما أن البابليين اعتقدوا أن الموتى يتحدثون مع الأحياء، كذلك اعتقد علماء التلمود، وكما أن البابليين كانوا يلجؤون إلى موتاهم طلباً للعون والمساعدة كذلك فعل علماء التلمود، كما اتفق معهم في ذلك اليونانيون والكنعانيون، في حين لم تتضح تلك الفكرة في الديانة الزرادشتية والديانة المصرية القديمة، ربما لأن الديانتين تقدمان صورة أكثر وضوحاً وترتيباً لفكرة الحساب والثواب والعقاب بعد الموت؛ لذلك لم يشغل فِكْرَ أتباع زرادشت أو المصريين القدماء التفكيرُ في رسم صورة لموتاهم داخل القبور وهذا ما سوف أتناوله بالتفصيل في المبحث التالي.

(١) حمورابي حكم بابل بين عامي ١٧٩٥ ق.م – ١٧٥٠ ق.م.

(٢) الملك العاشر من ملوك سلالة بابل الأولى وهي سلالة من الآموريين في بابل من ١٨٩٤ ق.م – ١٥٩٤ ق.م. وحكم الملك آمي صادوقا هو ما بين ١٦٤٦ ق.م – ١٦٢٦ ق.م.

(3)(Toorn) K.Van Der: Family Religion in Babylonia، Syria and Israel، p64.

المبحث الثاني
الحساب والثواب والعقاب بعد الموت

تناولتُ في المبحث السابق حياة الموتى في القبور، وكيف تصوَّرَ علماء التلمود أن الموتى يَحْيَوْنَ ويتفاعلون مع الأحياء بل ويتحدثون معهم، وسوف أتناول في هذا المبحث مصير الروح بعد مفارقتها للجسد:

فوصف علماء التلمود الرحلة التي تقوم بها الروح بعد مفارقتها للجسد دون أي ترتيب لوجود حساب على ما قدمته الروح من أعمال في هذا العالم، فيرى علماء التلمود أن الحساب بعد الموت للروح دون الجسد فورد في تفسير "مخيلتا دي ربي يشمعائيل (מכילתא דרבי ישמעאל: פרק כז פרשה ב)[1]: "عندما يموت الإنسان ويفنى جسده فكيف يحاسبه الرب؟ فقال المشرع: بدلاً من أن تسألني عن الجسد النَّجِسِ اسألني عن الروح الطاهرة".

ويفرق علماء التلمود بين ثلاث أرواح للموتى، أرواح الأتقياء وأرواح الآثمين وأرواح من تتساوى حسناتهم بسيئاتهم، فورد في باب السبت (שבת קנב ב) عندما تطرق النقاش بين علماء التلمود إلى الأمور التي يجب تَجَنُّبُها عند دفن الموتى في

(١) مخيلتا اسم يطلق على كتاب تفسير لسفر الخروج، ورد فيه تفسير بعض الأجزاء الواردة في سفر الخروج من جزء (בא) وحتى جزء (ויקהל)، ونجد في مقدمة كتاب "تثنية الشريعة" للربي موسى بن ميمون، أن هذا الكتاب ورد فيه تفسير الأسفار الخمسة عدا سفر التكوين، ولكن يوجد بين أيدينا اليوم مؤلَّفَانِ: الأول يسمى "مخيلتا دي ربي يشمعائيل" وينسب إلى مدرسة الربي يشمعائيل، والثاني يسمى "مخيلتا دي ربي شمعون بر يوحاي" وينسب إلى مدرسة الربي عقيفا، ويرجح أن البلورة النهائية لهذينِ المؤلفينِ حدثت بين نهاية القرن الثالث وحتى منتصف القرن الرابع (אנצקלופדיה יהודית דעת، אתר למודי יהדות ו רוח).

www.daat.ac.il/encyclopedia/category.asp

السبت: "يقول الربي إليعزر: إن أرواح الأتقياء تحفظ تحت عرش الرب، استناداً إلى ما ورد في سفر صموئيل أول ٢٥/ ٢٩ "لكن نفس سيدي لتكن محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك"، أما أرواح الآثمين فإنهم يُنَكِّلُونَ بها (حيث يقف أحد الملائكة في نهاية العالم ويقف ملاك آخر في الجهة الأخرى، ويقذفون أرواح الآثمين إلى بعضهما البعض) استناداً إلى ما ورد في صموئيل أول ٢٥/ ٢٩ "أما نفس أعدائك فَلْيُرْمَ بها كما من وسط كفة المقلاع"، وعندما سأل الربي نحمان: وماذا عن أرواح من تتساوى حسناتهم بسيئاتهم؟ فقال له: إنني لم أمت، فأنا لا أستطيع أن أخبرك بذلك! فكذلك قال الربي شموئيل: إن (أرواح الآثمين ومن تتساوى حسناتهم بسيئاتهم) تُسَلَّمُ إلى "دوما" (ملاك الموت) فأرواح من تتساوى حسناتهم بسيئاتهم تنعم بالراحة، وأرواح الآثمين لن تنعم بالراحة".

فيتضح من النص السابق أن أرواح الأتقياء سوف تقيم في السماء تحت عرش الرب، بينما تتقاذف الملائكة أرواح الآثمين فلن تَنْعَمَ بالراحة، بينما لم يتوصل علماء التلمود إلى المصير المناسب لأرواح من تتساوى حسناتهم بسيئاتهم، فلم يتصوروا عقابًا مناسبًا لهم.

ويتفق المفسرون في تفسير الجامعة الكبير مع علماء التلمود حول المصير الذي تلقاه أرواح الأتقياء بعد الموت، لكنهم يختلفون معهم في المصير الذي تلقاه أرواح الآثمين، فورد في تفسير الجامعة الكبير (קוהלת רבה פרשה א פסוק כא) في سياق تفسير الفقرة الواردة في الجامعة ٣/ ٢١ "من يعلم روح بني البشر": "شرع المشرع: سوف تصعد كلٌّ من أرواح الصديقين وأرواح الآثمين إلى السماء، إلا أن أرواح الصديقين سوف تحفظ في خزانة أما أرواح الآثمين فتظل هائمة على وجه الأرض، حيث قالت أبيجايل[1] إلى داود ما ورد في صموئيل أول ٢٥/ ٢٩ "لكن نفس سيدي

(١) زوجة "نابال"، التي تزوجت من داود بعد موت زوجها.

لتكن محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك"، كما ورد عن أرواح الآثمين في صموئيل أول ٢٥/ ٢٩ "أما نفس أعدائك فليرم بها كما من وسط كفة المقلاع".

وعندما سألت السيدة النبيلة الربي يوسي بن حلفتا[1]: ماذا يعني ما ورد في الجامعة ٣/ ٢١ "من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق"؟ قال لها: إنها تشير إلى أرواح الصِّدِّيقِينَ التي ستقيم في خزانة حيث قالت أبيجايل إلى داود ما ورد في صموئيل أول ٢٥/ ٢٩ "لكن نفس سيدي لتكن محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك"، ثم قالت له السيدة النبيلة: وماذا يعني ما ورد في الجامعة ٣/ ٢١ "وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل إلى الأرض"؟ فقال لها: إنها تشير إلى أرواح الآثمين التي ستهبط إلى جهنم، استناداً إلى ما ورد في حزقيال ٣١/ ١٥ "في يومِ نُزُولِهِ إلى الهاوية أَقَمْتُ نَوْحًا وكسوت عليه الغمر".

وبِناءً على ما تقدم فإن المفسرين يختلفون مع علماء التلمود حول المصير الذي تلقاه أرواح الآثمين بعد الموت، ففي الوقت الذي يرى فيه علماء التلمود أن مصيرهم أن تتقاذفهُمُ الملائكةُ، يقدم المفسرون مصيرَيْنِ مختلفَيْنِ لتلك الأرواح، المصير الأول أنها تظل هائمة بين السماء والأرض، والمصير الثاني أنها تهبط إلى جهنم، ويتفق المفسرون مع علماء التلمود حول مصير أرواح الأتقياء بأنها تصعد إلى السماء وتحفظ في خزانة تحت عرش الرب فورد ذلك أيضاً في تفسير التثنية الكبير «דברים רבה פרשת זאת הברכה פסוק א» في سياق تفسير الفقرة الواردة في تثنية ٣٣/ ١ "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته": فعندما أوشك موسى على الموت قال القدوس تبارك إلى روحه: أيتها الروح اخرجي من جسده وسوف أصعدك إلى السماء العليا تحت عرش الرب بجوار الملائكة"، بينما اختلف المفسرون في تفسير الجامعة حول مصير الآثمين، فأحياناً تصعد إلى السماء ولكنها تظل هائمة على وجه الأرض، وأحياناً أخرى تهبط إلى جهنم.

---

(١) ينتمي إلى الجيل الرابع من التنائيم.

أما في تفسير تنحوما فيتصور المفسرون مصيرًا آخَرَ لأرواح الأتقياء ولأرواح الآثمين، فورد في تفسير تنحوما (מדרש תנחומא פרשת פקודי סימן ג) في سياق تفسير الفقرة الواردة في خروج ٣٨/ ٢١ "هذا هو المحسوب للمسكن، مسكن الشهادة، الذي حُسب بموجب أمر موسى": "إن القدوس تبارك يأمر المَلَكَ المعين على الأرواح أن يحضر له روح فلان التي تسكن جنة عدن حيث إن جميع أرواح البشر خلقها الرب مع خلق الكون، فيأمر القدوس تبارك تلك الروح أن تدخل في نطفة فلان، فيصطحبها المَلَكُ ويسير بها في جنة عدن، ويجعلها تشاهد أرواح الصِّدِّيقِينَ وهم يجلسون في عزة وفخر ورؤوسهم مُزَيَّنَة، فيقول المَلَكُ لتلك الروح: هل تعلمين من هؤلاء؟ فتقول له الروح: لا يا سيدي! فيقول لها: إنها أرواحٌ خلقت مثلك وبثها الرب في بطون أمهاتها ثم خرجت إلى الدنيا وحافظت على أداء الفرائض والوصايا لذلك حَظُوا بهذا النعيم، فاعلمي أن نهايتك هى مفارقة الدنيا، وإذا حافظتِ على أداء الفرائض والوصايا فسوف تَحْظَيْنَ بتلك المنزلة، وإذا لم تُحَافِظِي على أداء الفرائض والوصايا، فسوف تَلْقَيْنَ مصيراً آخَرَ، وعند المساء يصطحبها المَلَكُ إلى جهنم لتشاهد أرواح الآثمين وهم يُعَذَّبُونَ ويضربون بسياط من نار ويصرخون وملائكة العذاب لا ترحمهم، فيقول المَلَكُ لتلك الروح: هل تعلمين من هؤلاء؟ فتقول له الروح: لا يا سيدي! فيقول لها: إنها أرواحٌ خُلِقَتْ مثلك وبثها الرب في بطون أمهاتها، ثم خرجت إلى الدنيا ولم تحافظ على أداء الفرائض والوصايا لذلك كتب عليها الخزي والعار، فاعلمي أن نهايتك هى مفارقة الدنيا، فعليك أن تكوني من الصِّدِّيقِينَ وليس من الآثمين، حتى تَحْظَيْ بالحياة في العالم الآتي".

فقد تَصَوَّرَ المفسرون أن أرواح الآثمين تُقِيمُ في جهنم ويُعَذَّبُونَ فيها وتعذبهم الملائكة بالسياط أما أرواح الصِّدِّيقِينَ فتُقِيمُ في جنة عدن في عزة وفخر ورؤوسهم مزينة وينعمون بالحياة في عالم آخر أطلق عليه المفسرون "العالم الآتي"، وهو العالم الذي تسكنه أرواح الأتقياء بعد الموت، فورد في تفسير تنحوما (מדרש תנחומא

פרשת ויקרא פסוק ח) في سياق تفسير الفقرة الواردة في سفر الجامعة ١٢/ ٧ "ترجع الروح إلى الله الذي أعطاها": "وأي روح تعود إلى الله الذي أعطاها؟ إنها أرواح الصديقين والأتقياء والتائبين الذين يقفون أمامه في المنزلة العظيمة، وهي الحياة التي لا يقترن بها الموت، والخير الذي لا يتبعه الشر، والذي ورد عنه في تثنية ٢٢/ ٧ "لكي يكون لك خير" إلى الأبد، وقال الحكماء: إن نعيم الحياة في العالم الآتي ليس في مقدور الإنسان أن يصفه أو يفسره ولا يعلم عظمته وجماله وقوته، فهذا النعيم لا حدود له، ولا يمكن تَخَيُّلُهُ أو تحديد شكله، فورد عنه في إشعياء ٦٤/ ٣ "لم تر عينٌ إلهًا غيرك يصنع لمن ينتظره" أي النعيم الذي لم يره سواك يا رب، والذي أطلق عليه الربيون العالم الآتي، ليس لأنه غير موجود الآن، ولكن لأننا نعيش اليوم في هذا العالم؛ لذلك وُصِفَ بأنه ما سيأتي، لذلك نقول: إن العالم الآتي (هو العالم الذي تحيا فيه أرواح الأتقياء) بعد أن يخرج الإنسان من هذا العالم، ومن يقول: إنه بعد هلاك هذا العالم سيأتي العالم الآتي، فالأمر ليس كذلك، لكن بعد خروج الصديقين من هذا العالم، فإنهم على الفور يصعدون ويقفون في هذه الدرجة، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٣١/ ١٩ "ما أَعْظَمَ جودَكَ الذي ذخرته لخائفيك، وفعلته للمتكلين عليك".

وورد في تفسير تنحوما أن أرواح الآثمين سوف تتردد على القبر لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً حتى يَبْلَى الجسد، حيث إنها خلال تلك الأشهر تشاهد الدود يأكل في الجسد، فتتألم من أَجْلِ ذلك، فورد في تفسير تنحوما " מדרש תנחומא: ויקרא: סימן ח " في سياق تفسير الفقرة الواردة في سفر الجامعة ١٢/ ٧ "ترجع الروح إلى الله الذي أعطاها": "إن أرواح الآثمين تهيم في أنحاء العالم، ولا تجد مستقراً لأقدامها، ولا تصعد إلى المكان الذي استمدت منه، طوال اثْنَيْ عَشَرَ شهراً، حتى يبلى الجسد، فماذا تفعل الروح؟ إنها تذهب وتعود إلى القبر، ويصعب عليها رؤية الجسد وهو يتحلل، ويتحول إلى عفن ودود، وماذا يشبه الأمر؟ يشبه إنسانًا كان يمتلك بيتا رائعا وتَهَدَّمَ، فماذا يفعل؟ يذهب إليه ويشاهده كل يوم، إذ تغطيه الأشواك والحَسَكُ، فيبكي وينوح

على بيته حسرةً، كذلك الروح تهيم على وجه الأرض، وتعود إلى القبر، فقال الربيون: إن الدود بالنسبة إلى الميت مثل الإبرة في اللحم الحي، ومن أين نستدل على أن الروح تحزن على الجسد؟ استناداً إلى ما ورد في أيوب ١٤/ ٢٢ " إنما على ذاته يتوجع جسده وعلى ذاتها تنوح نفسه".

أما بالنسبة إلى حساب الروح ومصيرها بعد الموت عند اليونان، فينفي العديد من الباحثين فكرة أن الموتى عند هوميروس يحاسبون أو يحاكمون لينال المسيء عقابه وينال المحسن جزاء إحسانه، فيرى بعض الباحثين أن فكرة محاكمة الموتى في جوهرها هي فكرة معقدة قائمة على استيعاب الميت لحادثة موته وإدراكه لما قام به من أفعال فى أثناء حياته، وهو ما لا يتوفر في الموتى كما صورهم هوميروس في أعماله، في حين يعترض البعض الآخر من الباحثين على وجهة النظر تلك ويرون أن الموتى عند هوميروس رغم كونهم أطيافاً فإنهم يتمتعون بذاكرة قوية يحفظون فيها كل ما حدث لهم قبل وبعد موتهم[1].

في حين يشير هوميروس في أعماله إلى وجود قضاة يحاكمون الموتى في عالمهم من بينهم مينوس[2]، فيقول أوديسيوس: إنه رأى في "هاديس" أي العالم السفلي مينوس المجيد ابن زيوس ممسكاً في يده بالصولجان الذهبي، وكان يحاكم الموتى وهو جالس في مقعده، بينما الموتى حوله قيام وقعود يطلبون منه الحكم، ولكن الصورة التي يرسمها هوميروس لمينوس، قاضي الموتى، يكتنفها الغموض، ويعتقد بعض الباحثين أن هذا الغموض راجع إلى الأسلوب الذي صاغ به هوميروس عبارته، فهو يستخدم الفعل "يعلن القوانين" وليس "يحاكم"، كما أنه يجعل الموتى أنفسهم يطلبون منه أن

(١) (كروان) منيرة عبد المنعم: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص٩١-٩٢-٩٣.

(٢) مينوس ملك كريت الأسطوري تحدث عنه هوميروس في أعماله، ويقال إنه كان ابن زيوس إله السماء والرعد.

يسبغ العدل عليهم مما يعطي انطباعاً بأن مهمة مينوس لا تتعدى إعلان القوانين واللوائح التي تنظم حياتهم في عالم الموتى.

ويظهر في أعمال هوميروس تفاوُتٌ في المصير الذي يلحق بالموتى، فعالم الموتى به مكان يسمى "السهل الألوسي" حيث يقيم "رادامانثوس"[(١)] حيث تكون الحياة سهلة ميسرة، فلا عواصف عاتية ولا مطر، بل ربيع دائم ينعم به من يعيش هناك، و"مينيلاوس"[(٢)] أحد من نالوا هذا المصير، يحيا في السهل الألوسي وينعم بحياة هانئة بعد الموت، كما يصور هوميروس العذاب الشديد الذي يقع على بعض من أخطؤوا في حق الآلهة، فيقول أوديسيوس: إنه رأى "تيتوس" ممدداً على الأرض بينما يقوم نسران بنهش كبده ويمدان منقاريهما في أحشائه ذلك لأنه استخدم العنف مع زوجة الإله زيوس، أما "تنتالوس"[(٣)] فكان يعاني من العطش الدائم والمياه من حوله وكلما همّ بالشرب انحسرت المياه واختفت، وكان يعاني من الجوع وأشجار الفاكهة تحيط به وكلما هم بقطف إحدى الثمار دفعتها الريح بعيداً وذلك لأنه سخر من الآلهة، وآخر المعذبين هو "سيسيفوس"[(٤)] الذي عوقب بأن يُمضِيَ العمر يدفع صخرة هائلة إلى أعلى، وحينما يصل إلى القمة وحين توشك مهمته على الانتهاء تسقط الصخرة مرة أخرى ويعاود الكَرَّةَ إلى ما لا نهاية لأنه أفشى سر الإله زيوس. فكل من ذكر هوميروس أنهم ينالون عقاباً في عالم الموتى هم الذين أخطؤوا في حق الآلهة فقط، وليس هناك إشارة إلى العامل الأخلاقي في محاسبة الموتى[(٥)].

(١) ملك أسطوري يوناني.

(٢) ملك أسطوري يوناني.

(٣) ملك أسطوري يوناني.

(٤) ملك أسطوري يوناني.

(5) (Burket) Walter: Greek religion، translated by John Raffan:، Blackwell publishing، 2004، p194.

في حين يفرق أفلاطون بين أربع أرواح للموتى ولكن من منظور فلسفي، فهو يرى أن هناك أرواحًا اشتغلت بالفلسفة وأصبحت نقية، ومصيرها أنها تذهب إلى العالم الإلهي الخالد بعد الموت، وأرواح المواطنين العاديين الذين لم يشتغلوا بالفلسفة ولكنهم تحكموا في الذات، فبعد الموت سوف تتقلد مخلوقاتٍ أكثرُ انضباطاً مثل النحل والزنابير والنمل أو حتى يعودوا ليولدوا من جديد ضمن الجنس البشري ليصبحوا مواطنين محترمين. وأرواح الآثمين تماماً الذين يتصفون بالشَّرَهِ والنَّهَم والعربدة والسكر فبعد الموت سوف يتخذون أشكال الحمير أو غيرها من الحيوانات الشريرة الضالة. وأخيراً الأرواح التي ترتكب الإثم، والتي ترتبط بالعالم المادي، فهذه الأرواح لن تتحرر تحرراً كاملاً عند الموت، ومصيرها بعد الموت أنها تتحول إلى أشباح، فهذه الأرواح هي التي نراها بشكل أشباح وأطياف خاصة بالقرب من القبور والمدافن[1].

في حين يقدم أفلاطون مصيراً آخَرَ لأرواح الموتى في أسطورتين مختلفتين:

الأسطورة الأولى: هي أسطورة "فيدون" التي وردت في محاورة فيدون، فيرى أفلاطون أن لكل روح يوجد كائن ذو طبيعة إلهية يسمى (دايمون) خُصِّصَ لها، وهذا الكائن الإلهي هو الذي يقودها بعد الموت إلى حيث يجمع الموتى ليحاسبوا، وبعد الحساب وتقرير مصير كل روح فإنها تذهب إلى حيث تستحق، وربما كانت إحدى مهام هذا الكائن الإلهي أن يجنب الروح الطيبة الطرق السيئة بحيث تصل إلى هدفها في يسر وسهولة، ويرى أفلاطون أن كل الأرواح الطيبة والشريرة تلقى حسابها، ويقسمها إلى أربعة أقسام كالتالي:

أولاً: الأرواح التي تقف موقفاً وسطاً بين الأعمال الحسنة والأعمال السيئة، وهذه الأرواح تقاد إلى "أخيرون" وتركب قوارب مخصصة لها وتصل بها إلى بحيرة "أخيروسيادس" حيث تعيش وتتطهر متحملة عقاب ما أذنبت ومثابة على ما أحسنت.

---

(١) (قرني) عزت: أفلاطون فيدون في خلود النفس، ص ١١٦.

ثانياً: الأرواح التي يعتبر أنه لا يمكن شفاؤها بسبب عظم الجرائم التي ارتكبتها من الإساءة إلى المعابد وغيرها من الجرائم التي لا يقبلها العدل والقانون، فهذه الأرواح هي التي يلقى بها إلى هوة "طارطاروس" ومصيرها ألا تخرج منه أبداً.

ثالثاً: الأرواح التي ارتكبت أخطاء عظيمة يمكن التكفير عنها، مثل العنف ضد الأب والأم تحت تأثير الغضب، ثم قَضَوْا بقية حياتهم في التوبة، فهؤلاء يُلقَى بهم في "طارطاروس" أيضاً ولكنهم بعد أن يقضوا فيها زمناً معلوماً يقذف بهم الموج بعضهم إلى "كوكوتس" وبعضهم إلى "بوريفليجيثون"، فإذا وصلوا إلى مشارف بحيرة "اخيروسيادس" صاحوا ونادوا على من اقترفوا في حقهم جرائمَ حتى يسمحوا لهم بدخول البحيرة وأن يستقبلوهم، فإن سمحوا لهم بالدخول تنتهي آلامهم، أو يقذف بهم من جديد إلى "طارطاروس" ويستمر عذابهم حتى ينجحوا في استمالة قلوب الذين كانوا من ضحاياهم.

رابعاً: الأرواح التقية الورعة في حياتها، فإنها لن تخوض تلك الرحلات في أعماق الأرض بل فور أن يحكم بأنها كذلك، فإنها ترتفع إلى مقام طاهر وتقيم على الأرض الخالصة النقية، ومن بين هؤلاء الذين تطهرت نفوسهم بالفلسفة كما يجب فإنهم يعيشون بغير أجسام على الإطلاق طوال ما سيلي من الزمان ويصلون إلى ديار أبدع في جمالها من ديار الباقين[(١)].

في حين يقدم أفلاطون مصيرًا آخَرَ لأرواح الموتى في أسطورة "أردياؤس" التي تعكس مدى تأثره بالآراء والمعتقدات الأورفية[(٢)]، والتي وردت في الجزء الأخير من

---

(١) المرجع السابق ص٢٧٢.

(٢) تنسب الأورفية إلى الموسيقار الشاعر أورفيوس وهو بطل أسطوري يوناني من القرن (١٢) ق.م. وقد ظهرت الأورفية في القرن السادس قبل الميلاد باعتبارها حركةً إصلاحية في الديانة الديونيسية، وكانت أقرب إلى العقل الفلسفي، حيث تمتلك الأورفية قاعدة فلسفية قوية وتضم عددًا من العقائد العلمية، مثل وصفهم لكروية الأرض، ودورانها ضِمن نظام شمسي مركزه الشمس ، كما يوجد مجموعة من =

محاورته "الجمهورية"، وتحكي الأسطورة أن شخصًا يُدْعَى أردياؤس يَلْقَى حتفه فى أثناء إحدى المعارك وحين عقدت الهدنة وسمح للطرفين بأخذ قتلاهم لدفنهم، كانت جثته سليمة ولم تتحلل كغيرها من الجثث، وبينما الاستعدادات تجرى على قدم وساق لدفنه، حدث شيء عجيب فقد عاد إلى الحياة بعد أن كان قد مضى على موته اثْنَا عَشَرَ يوماً، وبدأ يقص ويحكي لمن حوله ما شاهده في رحلته عن عالم الموتى.

ويقول أردياؤس إن روحه فارقت جسده، ثم سافرت بصحبة آخرين إلى أن وصلت إلى مكان عجيب به فتحتان في الأرض، وفتحتان في السماء، وفي وسط هذه الفتحات يجلس قضاة يحاكمون الموتى ويعلنون لكل ميت قرارهم بشأنه فيأمرون الأخيار بأن يسلكوا الطريق الأيمن المؤدي إلى السماء ويعلقون حكمهم على صدورهم، بينما يسلك الأشرار الطريق الأيسر المؤدي إلى "طارطاروس" وهم يخفون حكمهم خلف ظهورهم خجلاً[1].

أما عن الحساب ومصير الروح بعد الموت في الديانة الزرادشتية فورد في نصوص الأفستا أن أرواح الأتقياء بعد موتها وبالأخص في الأيام الثلاثة الأولى من مفارقتها للجسد، تقيم بجوار رأس الميت لمدة ثلاثة أيام، وخلال الأيام الثلاثة تنعم بما يهب عليها من روائح الأشجار والزهور الطيبة، فورد في الفصل الثالث من الهادوخت ناسك: "سأل زرادشت أهورامزدا: يا أيتها الروح الطاهرة، يا خالق العالم المادي، يا مُقَدَّسُ! عندما يترك الإنسان المؤمن تلك الحياة فأين تسكن روحه في تلك الليلة (الليلة الأولى)؟ فأجاب أهورامزدا: إنها تجلس بجوار الرأس وتنشد

= الأناشيد والترانيم الأورفية تدل على مقوِّمات العقيدة وبخاصة ما يتعلق بالنفس والموت والتطهر والخلاص. وقد جرى تعديل على الأورفية على مر الزمن، والمرحلة الأخيرة من الأورفية كانت أفلاطونية، وكان أفلاطون معجبًا بها. حيث تبنت الأورفية المُثُل الأفلاطونية في القرن الرابع ق.م. (الموسوعة العربية www.arab-ency.com/index.)

(١)- (مطر) أميرة حلمي: جمهورية أفلاطون، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٦٢-٦٣.

- (Jowett) Benjamin: The republic by Plato, Plain label books , 1946 , p505-507.

"الاوشتافاتي جاتا"[1] وتعلن عن سعادتها: "يا للسعادة التي يحظى بها الشخص الموجود هنا، فإن أهورامزدا سوف يحقق له جميع أمنياته"، ففي هذه الليلة سوف تتذوق الروح اللذة التي تذوقتها في عالم الأحياء بأكمله"[2].

ثم يسأل زرادشت أهورامزدا عن مصير الروح التقية في الليلة الثانية والثالثة وتكون الإجابة أنها تجلس بجوار الرأس وتعلن عن سعادتها، ومع انتهاء الليلة الثالثة تظهر للروح فتاة جميلة، ذات مظهر أنيق وجسد كبير، ذات نهد بارز، وتقدم للروح الشكر على أعمالها الطيبة، إن هذه الفتاة الجميلة هي "الداينا" أي الروح الخاصة بالإنسان أو بتعبير آخر هي صورة الروح في الحياة الدنيوية، وعند بزوغ الفجر، يبدو للروح المؤمنة كما لو أنها أُحضرت وسط نباتات وعطور، وتهب عليها رياح من الإقليم الجنوبي، رياح معطرة تبدو للروح المؤمنة وكأنها تستنشقها بأنفها، وتقول: "أينما تَهُبُّ تلك الرياح العطرة والحلوة فإني أستنشقها دائماً".

ثم يظهر لها ضميرها على شكل فتاة عذراء بيضاء مضيئة، بارزة الثدي، جميلة الجسد، طيبة العمل، وبِكْرٌ في الخامسةَ عَشْرَةَ من عمرها، فتخاطبها الروح التقية وتسألها: "من أنت أيتها الفتاة العذراء؟ فتجيبها تلك الفتاة (ضميرها) يا أيها الشاب (صاحب الروح)! يا صاحب الأفكار الطيبة والكلمات الطيبة والأعمال الطيبة والإيمان الطيب! أنا ضميرك، أنا كل شخص يحبك، لأن العظمة والخير والصفاء والرائحة الذكية تظهر فيك".

وبعدها تجتاز الروح طبقات السماء الأربعة لتصل في النهاية إلى فردوس النور الأبدي: "فالخطوة الأولى التي تخطوها الروح المؤمنة تنقلها إلى فردوس الفكر الطيب، والخطوة الثانية التي تخطوها الروح المؤمنة تنقلها إلى فردوس الكلمة الطيبة،

(١) الاوشتافاتي جاتا هي الفصول من ٤٣-٤٥ من نصوص اليسنا.

(2) **Hadokht Nask: translated by James darmesteter from sacred books of the east, American edition 1898.**

والخطوة الثالثة التي تخطوها الروح المؤمنة تنقلها إلى فردوس العمل الطيب، والخطوة الرابعة التي تخطوها الروح المؤمنة تنقلها إلى فردوس النور الأبدي".

بينما ورد عن أرواح الآثمين في نصوص الأفستا عكس ما ورد عن أرواح الأتقياء، فأرواح الآثمين بعد موتها خصوصاً في الأيام الثلاثة الأولى من مفارقتها للجسد، تقيم بجوار رأس الميت لمدة ثلاثة أيام، وخلال الأيام الثلاثة تتألم بسبب ما تستنشقه من روائحَ كريهةٍ، فورد في الفصل الثالث من الهادوخت ناسك: "سأل زرادشت أهورامزدا: يا أيتها الروحُ المُحْسِنَةُ، يا خالق العالم المادي، يا مُقَدَّسُ! عندما يترك الإنسان الآثم تلك الحياة فأين تسكن روحه في تلك الليلة (الليلة الأولى)؟ أجاب أهورامزدا: إنها تجلس بجوار الرأس وتنشد "الكيما جاتا"[١] وتعلن عن تعاستها: إلى أي أرض أنتقل، وإلى مَن أبتهل وأتوسل. ففي هذه الليلة تتذوق الروح العذاب الذي تذوقته في عالم الأحياء كاملاً"[٢].

وهكذا يسأل زرادشت أهورامزدا عن مصير الروح الآثمة في الليلة الثانية والثالثة وتكون الإجابة أنها تجلس بجوار الرأس وتعلن عن تعاستها، ومع انتهاء الليلة الثالثة، عند بزوغ الفجر، يبدو للروح الآثمة كما لو أنها اخْضَرَّتْ وسط جليد ورائحة كريهة، وتبدو لها كأنها تستنشق رياحًا تهب من الإقليم الجنوبي، رياحًا ذاتَ رائحة كريهة.

ويرى بعض الباحثين أنه لم يرد في نص الأفستا حوار بين صورة الروح التي تظهر على شكل فتاة قبيحة وضمير الروح الآثمة، كما حدث مع ضمير الروح التقية الذي ظهر لتلك الروح في صورة فتاة جميلة، ولكن هذا الحوار يفهم ضمنًا، فورد في النص تقريرٌ للمصير الذي يلحق بالروح الآثمة، فإنها تجتاز طبقات الجحيم الأربعة لتصل إلى الظلام الأبدي.

---

(١) الكيما جاتا هو الفصل السادس والأربعون من نصوص اليسنا.

(2) Hadokht Nask: translated by James darmesteter from sacred books of the east، American edition 1898.

في حين ورد في موضع آخَرَ من نصوص الأفستا فكرة الحساب بعد الموت بشكل أكثر وضوحاً، فقبل تحديد مصير الروح لا بد أن تحاسب، فهي تتجه نحو الآلهة، كي تزن أعمالها وتفرز الصالح من الطالح والخير من الشر، فإن الداينا (الروح الخاصة) تقودها نحو جسر "جنوات"، وهناك تستقبلها الملائكة على الجسر، وكما يبدو من مدلول الكلمة المركبة من مقطعين أنها تعني تجربةً امتحانية لأرواح كل العابرين من أرواح طاهرة وأرواح شريرة، وعلى هذا الجسر سوف يتحدد مصير الروح نحو النعيم أو الجحيم، كما ورد في "الونديداد" الفصل التاسع عشر: "يا خالق العالم المادي! يا مُقَدَّسُ! أين تَهَبُ الثواب؟ أين المكانُ الذي يحدث فيه الثواب؟ أين سيحصل الناس على الثواب في هذا العالم المادي، وهم أحياء؟! أجاب أهورامزدا: عندما يموت الإنسان وينتهي عمره، عندئذ فإن الآثم "ديفا"[١] صانع الشر سوف يُستأصل بصره، وفي الليلة الثالثة عند بزوغ الفجر وسطوع الشمس، عندما يأتي الإله "مترا"[٢] محملاً بالأسلحة، فإن الجبال تغمرها السعادة وتشرق الشمس، عندئذ يا "زرادشت المقدس"، يسحب الشيطان الذي يسمى "فيزاريشا" أرواح الآثمين عَبَدَة "ديفا"، الذين يعيشون في الإثم من القيود المحيطة بأعناقهم[٣]، فتدخل الروح إلى الطريق الذي يصنع لها في ذلك الحين، ويفتح هذا الطريق للآثم وللتقي، وعلى قمة جسر "جنوات"، الجسر المقدس الذي صنعه أهورامزدا، يُسألون عن أنفسهم وعن أرواحهم وعن الحسنات الدنيوية التي قدموها على الأرض، عندئذ تأتي الفتاة الجميلة القوية وبجانبها الكلاب ومعها الكثير من الأطفال الذين يميزون بين الخيِّر والشرير، وإذا بها تقود الإنسان التقيَّ وتعْبُرُ به من فوق جسر جنوات، وتضعه في حضرة آلهة

(١) ديفا تعني - في اللغة الفارسية -: الشيطان.

(٢) إله النور والحكمة في الديانة الفارسية.

(٣) حيث ورد في الونديداد الفصل الخامس فقرة ٨ أن المرء بعد موته يربَط حبل حول رقبته، ويسقط من رقبته إذا كان تَقِيًّا، وإذا كان آثماً، فيسحبونه من هذا الحبل إلى الجحيم.

السماء، فينهض "بهومانو" من مقعده الذهبي، ويهتف قائلاً: كيف جئتُ إلينا أيها المُقَدَّسُ؟! كيف جئتُ من عالم الفناء إلى عالم البقاء، فتمر أرواح الأتقياء بسعادة إلى كرسي العرش الذهبي لأهورامزدا، وإلى كرسي العرش الذهبي للامشاسبندا (الملائكة)، إلى "جاروثمانم" (مسكن أهورامزدا) و(مسكن الامشاسبندا)، وجميع الكائنات المقدسة، لذلك فإن الإنسان التَّقِيَّ يَتَطَهَّرُ، أما أرواح الآثمين عبدة "ديفا" فيرتعدون من هول العذاب"[1].

أما في بلاد الرافدين فهناك بعض النصوص السومرية والبابلية التي تشير إلى وجود حساب للموتى في العالم السفلي، فورد في الأسطورة السومرية "نزول إنانا إلى العالم السفلي" وكذلك في الأسطورة البابلية المناظرة لها "نزول عشتار إلى العالم السفلي، إن هناك سبعةً من القضاة يقومون بالحكم على جميع من في العالم السفلي، حيث ورد في السطر رقم ١٥٥ – ١٦٠: "وعندما دخلت "إنانا" من البوابة السابعة، رفع الخادم عن جسدها الرداء الملكي، فقالت له: لم ذلك؟ فقال لها: اصمتي يا "إنانا"، سلطات العالم السفلي لا مأخذ عليها، لا تعارضي أوامر آلهة العالم السفلي. فأحضرها إلى "إيريشيكيجال" ملكة العالم السفلي وجسدها عارٍ مجردٌ من ألبسته، وكانت "إيريشيكيجال" تجلس على عرشها و"الأنونا" أي القضاة السبعة ينطقون بالحكم"[2].

وثمة إشارة أخرى إلى وجود حساب في العالم السفلي، وردت في النص البابلي "رؤيا عن العالم السفلي في حلم أمير من آشور" ويشير النص إلى بعض مظاهر الرهبة في العالم السفلي، ويعدد المخلوقات الشيطانية والآلهة الذين يساعدون "نيرجال" في مَهَامِّهِ، وعددهم خَمْسَةَ عَشَرَ إلهاً، كما يشير النص إلى وجود مستشار لـ"نيرجال" في

(1) – (Boyce) Mary (Editor) ،Textual Sources for study of Zoroastrianism، p80-84.

- Vendidad: Translated by James Darmesteter، from *Sacred Books of the East.*

(2) – (Hooke) S.H: Middle Eastern mythology، p19-39.

العالم السفلي يلقب بالشفيع الذي ينقذ الحياة ويحب العدالة، وتشير الشفاعة هنا إلى معنى الحساب وتحقيق العدالة وفرض العقاب العادل: "يقول الأمير: رأيت في حلمي أن (نيرجال) صرخ صرخة قوية، صرخ غاضباً مني، وعصا الحكم كانت بيده مثل ثعبان مسمم، ووجهها نحوي، لكن "ايشوم" مستشاره الشفيع الذي ينقذ الحياة ويحب العدالة (تدخل) قائلاً: لا تحكم على هذا الرجل بالموت"[(١)].

ويتضح من خلال النصوص السابقة أن القضاة السبعة في أسطورة "نزول إنانا إلى العالم السفلي" و"ايشوم" مستشار نيرجال يقومون بنفس الدور الذي يقوم به "مينوس" في العالم السفلي عند اليونان، فدورهم لا يتعدى سوى إعلان القوانين واللوائح التي تنظم حياة الموتى في عالمهم، وهذا لا يشير بوضوح إلى وجود فكرة حساب بعد الموت في بلاد الرافدين.

ولكن يتضح من ملحمة جلجاميش أن مصير الموتى في العالم السفلي يختلف من ميت لآخر، فالموتى يعاملون معاملة مختلفة ومتفاوتة، وَفْقًا لقواعدَ تبدو وكأنها نوعٌ من الثواب والعقاب داخل العالم السفلي، فمعاملة الأموات ممن أنجبوا أبناء في حياتهم كانت تتحسن كلما زاد عدد الأبناء، ويعرض النص مصير من كان له ابنٌ واحد أو اثنان أو ثلاثة وحتى سبعة أبناء، فهناك تَدَرُّجٌ في مصير الموتى يتراوح بين البكاء المرير مروراً بالسماح بشرب الماء ثم السعادة التي تصل إلى الاستماع إلى الموسيقى في حضرة الآلهة لمن له سبعة أبناء، وربما يناقض هذا النص الاتجاه السائد الذي يجعل جميع الأموات في المقر المظلم يخضعون لمعاملة واحدة، فورد في ملحمة جلجاميش في الجزء الذي يجيب فيه شبح "إيباني" صديق جلجاميش على أسئلة جلجاميش: "يقول جلجاميش إلى شبح "إيباني" صديقه أخبرني عما شاهَدْتَهُ في العالم السفلي. لن أخبرك لأنه إذا رويت لك ما شاهدتُه في العالم السفلي، سوف تنهار

(١) - المرجع السابق ص ٦٢.
- (الشواف) قاسم: ديوان الأساطير، الكتاب الرابع، الموت والبعث والحياة الأبدية، ص ١٨٠.

وتسكب الدموع ! جسدي الذي كنت تتحسسه بكثير من الغبطة تلتهمه الديدان، جسدي الذي كنت تتلمسه بكثير من الغبطة يملؤه التراب. (فقال له جلجاميش) هل رأيت من له ابنٌ واحد؟ نعم رأيته يبكي بمرارة أمام مسمار مثبت على جدار. فهل رأيت من له ابنان؟ نعم رأيته يأكل وهو جالس على آجرتين في وضعية القرفصاء. فهل رأيت من له ثلاثة أبناء؟ نعم رأيته يشرب الماء من قربة كالتي تُحمل في الصحراء. فهل رأيت من له أربعة أبناء؟ نعم رأيته في سعادة يملك نير يشده أربعة حمير. فهل رأيت من له خمسة أبناء؟ نعم رأيته مثل كاتب ماهر لديه عمل كثير يدخل القصر كما يشاء. فهل رأيت من له ستة أبناء؟ نعم رأيته سعيدًا مثل الفلاح. فهل رأيت من له سبعة أبناء؟ نعم رأيته جالسًا في حضرة الآلهة يستمع إلى الموسيقى".

أما الشاب أو الفتاة اللّذَانِ يختطفهما الموت في سن مبكرة وقبل التمتع بمباهج الحياة، فلهما مصير آخر في العالم السفلي، حيث يسعى الجميع في العالم السفلي إلى مساعدتهما، فورد في ملحمة جلجاميش: "فهل رأيت الفتى الذي مات في سن مبكرة قبل الزواج؟ نعم رأيته إنهم يمدون له حبلاً لمساعدته وهو يبكي خائفاً. فهل رأيت الفتاة التي ماتت في سن مبكرة قبل الزواج؟ نعم رأيتها إنهم يمدون لها عود قصب لمساعدتها وهي تبكي خائفة".

ولعل أسوأ مصير في العالم السفلي هو مصير من ليس له أحد يهتم ويعتني بقبره بعد موته وكذلك من يترك في الصحراء دون أن يدفن، فالأول يأكل نفايات العالم السفلي والثاني لن ينعم بالراحة، فورد في ملحمة جلجاميش: "الذي لم يبق لجثته أحد ليعتني بها هل رأيته؟ نعم رأيته يأكل نفايات العالم السفلي. والذي تركت جثته في الصحراء دون دفن هل رأيته؟ نعم رأيته في العالم السفلي شبحه لا يعرف الراحة"[(١)].

---

(١) – (باقر) طه: ملحمة جلجاميش، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٧م، ص ١٨٨–١٩٠.

– (الشواف) قاسم: ديوان الأساطير، الكتاب الرابع، الموت والبعث والحياة الأبدية، ص ١٨٠، ٤٢٣–٤٢٨.

أما عن حساب الروح ومصيرها بعد الموت في الديانة المصرية القديمة فهي الأكثر وضوحاً، حيث تشير النصوص المصرية الجنائزية القديمة وبالأخص كتاب الموتى(١) إلى أن الإنسان يُحاسَب جسداً وروحاً بعد الموت، وقد ترددت فكرة الحساب بعد الموت من قبل في نصوص الأهرامات(٢) وفي نصوص التوابيت(٣) ولكنها أصبحت أكثر وضوحاً في كتاب الموتى، فكان الاعتقاد في وجود حساب في العالم الآخر حاضراً في أذهان بُناةِ الأهرام، غير أنه كان يتمثل في ذلك الوقت في وقوف المتوفى أمام إله الشمس بصفة كونه قاضياً، وذلك استجابة لطلب إنسان قد أخطأ

---

(١) هو اسم يطلق على النصوص الجنائزية المصرية القديمة، والمعروف باسم "فصل الظهور في النهار"، ويعتبر العالم الألماني كارل ريتشارد ليبسيوس هو أول من أطلق عليه "كتاب الموتى" عندما نشر بعض نصوصه عام ١٨٤٢ م. كانت تلك النصوص في الأساس مدونة على القبور من الخارج، ثم نقلت على ورق من البردي ودفنت مع المتوفى في قبره، فكانت بمثابة مجموعة من الأوراد السحرية التي يمكن للمتوفى أن يستفيد منها بعد الموت، فكان على المتوفى أن يعرف الأوراد المناسبة التي من خلالها يمكنه أن يخوض رحلة العالم الآخر. وتعود أقدم نسخ "كتاب الموتى" إلى القرن السادس عشر ق.م (الأسرة الثامنة عشر ١٥٨٠ ق.م -١٣٥٠ ق.م) وذلك عن طريق دمج نصوص الأهرامات (٢٦٠٠ ق.م-٢٣٠٠ ق.م) ونصوص التوابيت (٢٠٠٠ ق.م). ويوجد أربع نسخ من كتاب الموتى:

- نسخة هليوبوليتان (تنسب إلى الكهنة)، من الأسرة الخامسة إلى الأسرة الحادية عشر.
- نسخة ثيبان (هيروغليفية)، من الأسرة العشرين وحتى الثامنة والعشرين.
- نسخة هيروغليفية -هيريطيقية، من الأسرة العشرين.
- نسخة سيت، ما بعد الأسرة السادسة والعشرين.http://www.egyptartsite.com/hall1.html

(٢) انظر هامش ص ٢٣.

(٣) هي النصوص التي ترجع الى فترة الدولة الوسطى، ويرى الباحثون أن أقدم نصوص للتوابيت تعود إلى الملك "آبي" أحد ملوك الأسرة الثامنة (الفترة الانتقالية الأولى) في جنوب هرم سقارة، وتعتبر مقبرة دير البرشا من أكثر المقابر التي أمدتنا بعدد هائل من نصوص توابيت تلك المقبرة التي تعود إلى فترة الدولة الوسطى. ولقد قام الباحث كارل ريتشارد ليبسيوس بنشر النسخة الأولى لنصوص التوابيت عام ١٨٩٧ م في برلين، وبين عامي ١٩٠٤م-١٩٠٦م نشر بيير لاكو العديد من نصوص التوابيت التي تعود إلى فترة الدولة الوسطى.

http://www.egyptartsite.com/hall1.html

الميت في حقه، وليس من أجل أن يحاسب حساباً شاملاً، فإذا لم يُطْلَبِ الإنسان بتلك الصفة فإنه من المحتمل ألا يتعرض في عالم الموتى لأيِّ حساب آخَرَ، وبعد عصر الأهرام ببضعة قرون، أي في وقت ظهور النصائح الموجهة إلى الملك "مريكارع" (أحد ملوك الدولة الوسطى) بدأ هذا الاعتقاد يتضح بشكل أكبر، فورد ضمن النصائح الموجهة إلى الملك "مريكارع":

"إنك تعلم أن محكمة القضاة الذين يحاسبون المخطئ لا يتسامحون في ذلك اليوم الذي يحاسبون فيه الشرير وقت تنفيذ الحكم... والإنسان يعيش بعد الموت وأعماله تُكَوَّمُ بجانبه كالجبال، لأن الحياة الأخرى أبدية ولا يهمل أمرها إلا الغبي، أما من يصل إليها دون أن يرتكب إثماً، فإنه سيبقى هناك كإله يسير بخُطًى واسعةٍ مثل أرباب الخلود"[(١)].

كما يتضح من نصوص التوابيت أن القاضي الذي يقف أمامه الموتى هو رع إله الشمس: "نأمل أن فلان هذا (إشارة إلى المتوفى) يتخطى موازين رع التي يزن بها الصدق"، لكن أوزوريس ما لبث أن أظهر نفسه منذ زمن مبكر في موقف ذلك القاضي، حيث ورد في نصوص التوابيت عن " المجلس العظيم أو محكمة العدل للإله أوزير"، وكان ذلك من زمن بعيد يرجع إلى الأسرة التاسعة أو العاشرة، ولا شك أن انتشار عقيدة أوزوريس التي كانت آخذة في الازدياد أدى إلى الاقتناع بأن كل روح لا بد أن تلقى ذلك الحساب العسير الذي ينتظرها، ويرى العديد من الباحثين أن تصور أوزير قاضياً كان أمراً معروفاً في عهد الدولة القديمة، فقد ورد في إحدى نصوص المقابر حديث عن "الإله العظيم سيد القضاء أوزوريس"، وفي مقبرة أخرى يتعهد الميت أنه سيكون يوماً عوناً في محكمة "الإله العظيم أوزوريس" لكل من يدخل مقبرته في طهارة تامة، لكن هذا التصور لم يبلغ تَطَوُّرَهُ التامَّ ولم يَحْظَ بالاعتراف العامِّ

---

(١) – (برستد) جيمس هنري، فجر الضمير، ص ٢٦٦.

إلا في الدولة الوسطى، التي أصبح من المعتاد في عهدها كذلك عدم ذكر اسم الميت دون أن يضاف إليه لفظ "أوزير""[1].

أما عن الحساب في كتاب الموتى فهناك ثلاث روايات عثر عليها في أتم وأحسن اللفائف البردية تتناول فكرة الحساب بعد الموت بنوع من التفصيل، ووردت هذه الروايات مستقلة بعضها عن بعض وهي كالتالي:

الرواية الأولى: تحتوي على كل ما يقوله الميت بعد وصوله إلى قاعة الصدق، فبعد أن يطهر الميت من كل الذنوب التي اقترفها، ويصل إلى القاعة عليه أن يوجه نظره إلى وجه الإله ويلقي عليه التحية قائلاً: "سلام عليك أيها الإله العظيم رب الصدق، لقد أتيت إليك يا إلهي وجيء بي إلى هنا حتى أرى جمالك، إني أعرف اسمك وأعرف أسماء الاثنين وأربعين إلهاً الذين معك في قاعة الصدق (هذه)، وهم الذين يعيشون على الآثمين ويلتهمون دماءهم في ذلك اليوم الذي تُمتَحَنُ فيه الأخلاق أمام أوزير، انظر لقد أتيت إليك، إني أحضر العدالة إليك وأقصي الخطيئة عنك".

وبعدها يعترف الميت بأنه لم يرتكب الآثام التي تُدِينُهُ في قاعة الصدق، وهو ما يسمى بالاعتراف السلبي فيقول: "إني لم أرتكبْ ضد الناس أيَّةَ خطيئة، إني لم آت سوءاً في مكان الحق، إني لم أعرف أيَّةَ خطيئة، إني لم أرتكبْ فعلاً خبيثاً، إني لم أفعل ما يَمْقُتُهُ الإله، إني لم أُبَلِّغْ ضد خادم شَرًّا إلى سيده، إني لم أتركْ أحداً يتضور جوعاً، إني لم أتسبب في بكاء أيِّ إنسان، إني لم أقتل أحدًا، إني لم أتسبب في تعاسة أيِّ إنسان، إني لم أنقُصْ طعاماً في المعابد""[2].

---

(١) – المرجع السابق ص٢٩٦.

(Budge) Wallis: Egyptian ideas of the Future life , Kessinger publishing , 2004 , p64.

2) (Budge) Wallis: Egyptian Religion , Cosimo INC , p110-121.

في حين يتضح من الرواية الثانية أن القاضي أوزير يساعده اثنان وأربعون إلهاً يجلسون معه لمحاسبة المتوفى، وهم شياطينُ مخيفةٌ يحمل كل منهم اسماً بشعاً مزعجاً ويدعى المتوفى أنه يعرف أسماءهم ولذلك يخاطبهم كل باسمه، فورد في بردية "نبسني" أن المتوفى يقف أمام ٤٢ إلهاً لينفي عن نفسه أمام كل إله خطيئة من الخطايا والاعتراف أمام كل إله لا بد أن يتضمن شيئين: اسم الإله والمكان الذي أتى منه، ثم إعلان البراءة من الخطيئة: "يقول الكاتب نبسني الناطق بالحق: يا واسع الخطوات، يا من أتيت من " انو "، إني لم أرتكب إثماً. يا ملتهم الظلال... يا من أتيت من " منبعي النيل "، إني لم أسرق"[1].

ويمكن إجمال الاعترافات الواردة في الرواية الأولى والثانية كالتالي:

- إعلان البراءة من الكبائر وجرائم العنف التي تهدد المجتمع: كالقتل والسرقة والسطو والزنا... إلخ، وهي جرائم يتدخل القانون الوضعي عادة ضد من يرتكبها في أيِّ مجتمع منظَّم.

- إعلان البراءة من الأعمال التي تَمَسُّ الضمير: كالكذب والغش والخداع والوشاية، وبعض هذه الأعمال تتطلب حساً خُلُقِيًّا راقياً ليمكن لصاحبه تَجَنُّبُها[2].

- إعلان البراءة من الأعمال التي تَمَسُّ العرف الاجتماعيَّ فيما يتصل بالأسرة والدين والمجتمع. وتعتبر الاعترافات السلبية السابقة هي الدُّسْتُورَ الأخلاقيَّ للإنسان المعاصر رغم تفاوت الأزمان واختلاف المجتمعات وتنوع المعتقدات.

أما الرواية الثالثة من المحاكمة: فهي التي أثرت بشدة في نفس المصري القديم، فهي تصور المحاسبة في عالم الموتى عن طريق الموازين، حيث يبدو الإله أوزير في

(١) المرجع السابق ص ١٣٣.

(٢) - (بدج) والس: كتاب الموتى الفرعوني، ترجمة وتعليق د. فيليب عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٢-١٧.

بردية "آني" المحلاة بالصور جالساً فوق عرشه في نهاية قاعة المحاكمة وخَلْفَهُ كلٌّ من الإلهتين "إيزيس" و"نفتيس" وقدِ اصطف على طول أحد جوانب القاعة الآلهة التسعة المعروفون بتاسوع "عين شمس"[1] يرأسهم إله الشمس وهم الذين ينطقون فيما بعد بالحكم على الموتى، وكانت الموازين في يد إله الموتى القديم "أنوبيس" الممثل برأس ابن آوى الذي يختبر لسان الميزان، وإلى اليمين وراء أنوبيس يقف "تحوت" ممسكاً في يديه لوحة الكتابة والقلم حتى يسجل نتيجة المحاكمة، وخلف "تحوت" يربض حيوان بشع الهيئة يسمى "الملتهمة عممت" له رأس التمساح وصدر الأسد ومؤخرة فرس البحر، ويكون متحفزاً لالتهام الروح إذا اتضح أنها ظالمة، ولقد صور على يسار الميزان "شاي" إلهُ الحظِّ وإلهتا الولادة وتربية الأطفال "مسخنت ورننت"، وروح آني في صورة طائر برأس إنسان يقف على بوابة.

ويتضح من هذه الرواية الثالثة أنه عندما يدخل الميت إلى قاعة "ماعت" أي القاعة التي يقرر فيها مصيره، يطالب "أنوبيس" في الحال بقلب الميت «المُعَبِّرِ عن الضمير»[2] ويضعه على أحد كفتي الميزان، ويضع في الكفة الأخرى ريشة (تُعَبِّرُ عنِ العدل والحق)، ثم يخاطِب المَيِّتُ قلبه في هذه اللحظة الحرجة، وبعد وزن قلبه يعلن

(١) المقصود بتاسوع "عين شمس" هي الآلهة التي ظهرت في بداية الخليقة وعددها تسعة، فالإله (أتوم) خلق نفسه بنفسه ثم صنع العالم بأكمله، وبعدها أنجب دون زوجة الإله (شو) أي الهواء، والإله (تفنوت) أي الرطوبة اللذان أنجبا الإله (جب) أي الأرض، والإلهة (نوت) أي السماء، وهذان الإلهان (جب) و(نوت) أنجبا أربعة آلهة، وهم: (إيزيس) و(أوزوريس) و(ست) و(نفتيس) ليصبح عددهم تسعة.

(الحسيني) عباس علي: خلق الكون ووجود الآلهة في أسطورة هليوبولس، مجلة ثقافية عامة مستقلة شهرية العدد ١٩ - ٢٠ السنة الثالثة ٢٠٠٥م.

www.ulum.nl/j.htm.19-20.

(٢) في عصر الأهرامات ينظر الحكيم بتاح حتب إلى القلب على أنه مركز المسؤولية والإرشاد، وأن قلب الرجل قد صار دليلَهُ بل في الواقع قد صار ضميرَهُ، كما أن القلب الإنساني في عصر الدولة الحديث صار أكثر من مستمع مجيب إلى النصيحة الطيبة. (برستد) جيمس هنري: فجر الضمير، ص ٨٠.

"تحوت" الحكم عليه أمام التاسوع، فيسمحوا للميت بالوقوف أمام الإله أوزير، وعندئذ يركع الميت أمام الإله أوزير[1].

وتشكل هذه الرواية جزءًا بالغَ الأهمية في كتاب الموتى كما وردت في البرديات المعاصرة للأسرات ١٨، ١٩ والأسرات التالية لها، فهي تعد مقدمة مناسبة لفصول كتاب "الظهور في النهار" التي تتبعه، وهي الفصول التي تتناول الأحداث التي تجري في حياة المتوفى الذي نجح في الدخول إلى مملكة أوزوريس إله الموتى، لكنها غير مفيدة على الإطلاق لأي فرد لا يجتاز المحاكمة ولا يسمح له الإله بالولوج إلى مملكته، فالموتى الآثمون الذين يُدَانُون في المحاكمة يُلْتَهَمُون على الفور، أما الموتى الأتقياء فأمامهم طريقان، إمَّا أن يصعدوا إلى السماء ويلحقوا بحقول الأيارو السماوية "حقول رع" أو أن يهبطوا إلى أسفل الأرض ويلحقوا بمملكة الأبرار، عن طريق الماء أو الأرض وفي الحالتين لا بد أن يَمضُوا عَبْرَ بابٍ منَ النار، وبعد وصولهم إلى مملكة الأبرار "الجنة الأوزيرية" سوف يعيشون في خير وهناء، ولقد صُورت تلك الجنة على نسق أرض مصر، فتظهر في رسوم أوراق البردي أنها مقسمة إلى أحواض تفصلها قنوات الري، ويقوم الموتى بمَهَامِّ الزراعة فيها كما هى الحال في الدنيا[2].

يتضح من خلال ما سبق أن فكرة حساب الروح بعد الموت كانت حاضرة في أذهان علماء التلمود والفلاسفة اليونان ولكنها لم تكن واضحة بدرجة كافية، فلم يقدم أيٌّ منهم شيئاً عن مشهد للحساب بعد الموت على العكس من أتباع زرادشت الذين قدموا هذا المشهد والمتمثل في عبور الروح جسر جنوات، كما قدم المصريون القدماء ذلك المشهد بشكل أكثر وضوحاً وترتيباً والمتمثل في الاعتراف السلبي ووزن قلب الميت، في حين لم تكن فكرة الحساب حاضرة في أذهان اليونانيين أو البابليين، وقد تبين مما ورد عن

(١) المرجع السابق ص ١٤٠.
- (بدج) والس: كتاب الموتى الفرعوني، ص ١٢-١٧.
(٢) - (الماجدي) خزعل: الدين المصري، ص٢١٦.

القضاة السبعة في الأسطورة البابلية والقاضي "مينوس" في الأسطورة الإغريقية، أن دورهم لا يتعدى إعلان القوانين واللوائح التي تنظم حياة الموتى في عالمهم، مما يعني عدم وضوح فكرة الحساب بعد الموت عند البابليين واليونانيين.

أما عن مصير الروح وما تلقاه من الثواب والعقاب بعد الموت، فقد اتفق علماء التلمود والفلاسفة اليونان وأتباع زرادشت والمصريون القدماء على أن الثواب الذي ينتظر أرواح الأتقياء بعد الموت هو السماء أو العالم العلوي حيث الإقامة بجوار الآلهة والكائنات المقدسة، وإنِ اختلفوا في المسميات التي أطلقوها على هذا العالم، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم حول العقاب الذي يلحق بأرواح الآثمين بعد الموت، فيرى علماء التلمود والمفسرون أن أرواح الآثمين تهيم بين السماء والأرض أو أن الملائكة تتقاذفها أو أنها تهبط إلى العالم السفلي "جهنم" أو أنها تعذب بنار جهنم، بينما يرى الفلاسفة اليونان أنها تهبط إلى العالم السفلي "طارطاروس"، مثلهم مثل أتباع زرادشت الذين يرون أنها تهبط إلى العالم السفلي "الجحيم"، في حين يرى المصري القديم مصيراً أكثر قسوة لأرواح الآثمين التي لا يمكنها اجتياز الحساب وهو أنها تلتهم على الفور ولا يبقى لها أثرٌ.

أما عن التفاوت في مصير أرواح الموتى في الأساطير الإغريقية والأساطير البابلية والذي عرضْتُ له سابقاً فلا يشير إلى اعتقاد اليونانيين والبابليين في وجود ثواب لأرواح الأتقياء وعقاب لأرواح الآثمين بعد الموت، فقد اعتقد البابليون والكنعانيون واليونانيون أن جميع الموتى سواء الأتقياء أو الآثمين يهبطون إلى العالم السفلي دون النظر إلى أعمالهم الدنيوية، وبالتالي تراوحت أماكن إقامة الموتى لدى شعوب الشرق الأدنى ولدى علماء التلمود والمفسرين بين العالم العلوي، مسكنًا لأرواح الأتقياء، والعالم السفلي، مسكنًا لأرواح الآثمين، أو الموتى بصفة عامة؛ لذلك سأتناول في الفصل التالي وصفاً للعالم العلوي والعالم السفلي في مناقشات التلمود وكتب التفاسير وفي الحضارات موضوعِ الدراسة.

الفصل الرابع

عالم الموتى

المبحث الأول

عالم الموتى العلوي

تناولتُ في الفصل السابق مصير الروح بعد الموت، حيث تصعد أرواح الأتقياء إلى السماء أو تسكن ما يسمى بالعالم الآتي، في حين تظل أرواح الآثمين هائمةً بين السماء والأرض أو تهبط إلى جهنم، وسوف أتناول في هذا الفصل وصفاً لعالم الموتى سواء العالم العلوي الذي يمثل مسكن أرواح الأتقياء أو العالم السفلي الذي يمثل مسكن أرواح الآثمين:

فقد تَبَيَّنَ من مناقشات علماء التلمود وصفُ العالم العلوي المتمثل في السماء، مسكنًا لأرواح الأتقياء بعد الموت، فيرى علماء التلمود أن السماء تنقسم إلى سبع طبقات، فورد في باب الحج (חגיגא דף יב ב) على ذكر أعمال الخليقة: "قال ريش لقيش: تنقسم السماء إلى سبع طبقات وهي كالتالي:

١ – (vilon)וילון أي حجاب.

٢ – (Rakia)רקיע أي جَلَد.

٣ – (Shhakim)שחקים أي غمام.

٤ – (Zvol)זבול أي مسكن.

٥ – (Maon)מעון أي منزل.

٦ – (Makhon)מכון أي مكان.

٧ – (Aarvot)ערבות أي سحاب.

فالطبقة الأولى (וילון أي حجاب): تكرر كل يوم أعمال الخليقة، فهي تظهر وقت شروق الشمس وتختفي وقت الغروب استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٤٠/ ٢٢ "الذي ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن"(١).

والطبقة الثانية (רקיע أي جَلَد): وفيها الشمس والقمر والكواكب والأبراج، استناداً إلى ما ورد في تكوين ١/ ١٧ "وجعلها الله في جلد (راقيع) السماء لتنير على الأرض".

والطبقة الثالثة (שחקים أي غمام): وفيها أحجار الرحى التي تطحن المنَّ من أجل الصِّدِّيقِينَ استناداً إلى ما ورد في مزامير ٧٨/ ٢٣ "فأمر السحاب (شحاقيم) من فوق وفتح مصاريع السموات وأمطر عليهم مَنًّا للأكل".

والطبقة الرابعة (זבול أي مسكن): وفيها القدس (ירושליים) وبيت المقدس (בית המקדש) والمذبح، حيث يقدم المَلَك ميخائيل قُرباناً عليه، استناداً إلى ما ورد في ملوك أول ٨/ ١٣ "إني قد بنيتُ لك بيت سكنى (ذفول) مكاناً لسُكناكَ إلى الأبد"(٢).

والطبقة الخامسة (מעון أي منزل): وفيها ملائكة الخدمة التي تُرَتِّل طوال الليل وتلزم الصمت طوال النهار تمجيداً لإسرائيل، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٤٢/ ٩ "بالنهار يوصي الرب رحمته، وبالليل تسبيحه عندي"(٣).

والطبقة السادسة (מכון أي مكان): وفيها مخازن الثلج والبرد وغرفة علوية للندى الضار وغرفة علوية لقطرات المطر وغرفة للزوبعة والعاصفة وكهف للبخار،

---

(١) لم يرد في النص العبري كلمة "فيلون" וילון ليشير بها إلى السموات، ولكن ورد كلمة "شاميم" שמיים أي: السماء، وبالتالي لا يوجد علاقة بين هذه الفقرة والحديث عن طبقات السماء.

(٢) وردت هذه الفقرة في سياق الحديث عن بناء سليمان بيتاً للرب، ليضع فيه تابوت العهد، وليس لها علاقة بطبقات السماء.

(٣) لم ترد كلمة "ماعون" في النص العبري، فالفقرة وردت في سياق تمجيد الرب ولم تتحدث عن السموات.

وجميع الغرف أبوابها من النار، استناداً إلى ما ورد في تثنية ٢٨/ ١٢ "يفتح لك الرب كَنْزَهُ الصالح السماء ليعطي مطرَ أرضِكَ"[1].

والطبقة السابعة (ערבות أي سحاب): وفيها العدل والحساب والتقوى وكنوز الحياة وكنوز السلام وكنوز البركة ونَسَمَاتُ الصِّدِّيقِينَ والأرواح والنَّسَمَاتُ التي سوف تخلق في المستقبل والطل الذي سوف يحيي الرب به الموتى.

العدل والحساب، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٨٩/ ١٥ "العدل والحق قاعدة كرسيك"، التقوى، استناداً إلى ما ورد فى إشعياء ٥٩/ ١٧ "فلبس البر كدرع"، وكنوز الحياة، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٣٦/ ١٠ "لأن عندك ينبوع الحياة"، وكنوز السلام، استناداً إلى ما ورد في قضاه ٦/ ٢٤ "ودعاه يهوه شالوم"، وكنوز البركة، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٢٤/ ٥ "يحمل بركة من عند الرب"، ونسمات الصديقين وذلك، استناداً إلى ما ورد في صموئيل أول ٢٥/ ٢٩ "لكن نفس سيدي لتكن محزومة فى حزمة الحياة مع الرب إلهك"، والأرواح والنسمات التي سوف تخلق في المستقبل، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٥٧/ ١٦ "لأن الروح يُغْشَى عليها أمامي والنَّسَمَات التي صنعتها"، والطل الذي سوف يحيي الرب به الموتى، استناداً إلى ما ورد فى مزامير ٦٨/ ١٠: "مطرًا غزيرًا نضحت يا الله ميراثك وهو معي أنت أصلحتَهُ"، (وفى هذه الطبقة أيضاً يوجد) الأوفانيم[2] والسرافيم[3] والكائنات

(١) لم ترد كلمة "ماخون" في النص العبري، ولكن ورد كلمة "شاميم" أي السماء.

(٢) الأوفانيم جمع "أوفان" وتعني العجلة أو البَكَرة، وهي تشير إلى بعض الحيوانات الخرافية ذات الأربعة أوجه، والتي ورد ذكرها في حزقيال ١/ ١٥ "فنظرت الحيوانات وإذا بكرة (أوفان) واحدة على الأرض بجانب الحيوانات بأوجهها الأربعة ".

(٣) السرافيم جمع "ساراف" وتعنى الحية التي تنفث السم كأنه نار محرقة، وقد وردت بهذا المعنى في العدد(٢١/ ٦-٨) وتثنية (٨/ ١٥) ولكنها أصبحت مثل الكائنات الجنية المجنحة، فورد في (إشعياء ٦/ ٢): السرافيم واقفة فوق العرش لكل واحد ستة أجنحة، باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه، وباثنين يطير"، وورد في (إشعياء ٦/ ٣) أنها تحرس عرش الرب وتسبحه.

المقدسة[1] وملائكة الخدمة[2] وكُرْسِيُّ العرش والملك الإله الحي المتعالى يسكن فوقهم، فى العرافوت، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٦٨/ ٥" أَعِدُّوا طريقاً للراكب في القفار (عرافوت)".

فيرى علماء التلمود أن الطبقة السابعة هي أهم طبقات السماء فهي التي يجلس فيها الرب على عرشه ليحاسب خلقه ومن حوله المخلوقات المقدسة من ملائكة وكائنات مقدسة كما أنها الطبقة التي تسكنها أرواح الأتقياء بعد الموت.

كما يرى المفسرون أن طبقات السماء تنقسم إلى سبع طبقات، ولكن تختلف بعض مسمياتها عند المفسرين، فورد في تفسير اللاويين الكبير (ויקרא רבא פרשת אמר פסקה יא) في سياق تفسيرهم للفقرة الواردة في لاويين ٢٣/ ٢٣ "في الشهر السابع في أول الشهر يكون لكم عطلة": "كل ما ورد عنه أنه السابع يعد مُفَضَّلاً بالنسبة إلى القدوس تبارك، فطبقات السماء سبعة وهي (شاميم) أي السماء، و(شمي شاميم) أي السماء العليا، و(راقيع) أي: جَلَد، و(شحاقيم) أي: غمام، و(ذفول) أي: مسكن، و(ماعون) أي: منزل، و(عرافوت) أي: سحاب: فالطبقة السابعة هي المفضلة عند القدوس تبارك، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٦٨/ ٥ "أَعِدُّوا طريقاً للراكب في القفار (عرافوت)".

على حين قدم علماء التلمود وصفاً لطبقات السماء السبعة، لم يُقَدِّم المفسرون هذا الوصف، فكل ما أشار إليه المفسرون هو أن الرب يفضل الطبقة السابعة من السماء

---

(١) الأحياء المقدسة "حيوت هقودش" هي مجموعة من الحيوانات لها أربعة أوجه كل وجه منها يشبه وجه الإنسان، ولها أربعة أجنحة، ويوجد تحت كل جناح من أجنحتها أيدي تشبه أيدي الإنسان، ورد ذكرها في حزقيال ١/ ٥: "ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها لها شبه إنسان ولكل واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة".

(٢) ملائكة الخدمة "ملأخي هشاريت" هي الملائكة التي تقوم بخدمة الرب، والتي لم يَرِد ذكرها في نص المقرا، بينما ورد في التلمود، حيث يشير باب سنهدرين ظهر صفحة ٣٨ أن الرب خلق ملائكة الخدمة قبل أن يخلق البشر.

فيرى المفسرون مثلهم مثل علماء التلمود أن الرب يقيم في هذه الطبقة، وورد في تفسير العدد الكبير (במדבר רבא פרשת במדבר פסקה ח) في سياق تفسير الفقرة الواردة في سفر العدد ٣/ ١٥ "عد بني لاوي حسب بيوت آبائهم وعشائرهم": "لماذا اختار بني لاوي؟ لأن هذا السبط هو المفضل للقدوس تبارك؛ لذلك اختاره من بين جميع الأسباط، فقال الربي ليفي: خلق القدوس تبارك سبعة أيام واختار اليوم السابع راحة له، خلق القدوس تبارك طبقات السماء واختار طبقة "عرافوت" لتكون مسكناً له، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٦٨/ ٥ "أَعِدُّوا طريقاً للراكب في القفار (عرافوت)".

وكما أشرتُ في الفصل السابق إلى[1] أنه بالإضافة إلى اعتبار السماء مسكناً لأرواح الأتقياء بعد الموت، فيرى بعض المفسرين في تفسير "تنحوما" أن هناك عالمًا آخَرَ تسكنه أرواح الأتقياء بعد الموت أطلقوا عليه "العالم الآتي"، إلا أن علماء التلمود والمفسرين في كتب التفاسير الأخرى ينظرون إلى هذا العالم على أنه عالم الثواب النهائي الذي سوف يأتي بعد انتهاء أيام المسيح أو إحياء الموتى، فقد ورد مصطلح "العالم الآتي" في مناقشات التلمود مرتبطاً بمصطلح "أيام المسيح" و"إحياء الموتى" فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צט א) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي: "قال الربي حيا بر آبا نقلاً عن الربي يوحنان: جميع الأنبياء لم يتنبؤوا إلا عن أيام المسيح ولكن بالنسبة إلى العالم الآتي فقد ورد في إشعياء ٦٤/ ٤ "لم ترَ عينٌ إلهًا غيرَكَ يصنع لمن ينتظره"، فهو يختلف عن شموئيل الذي قال: إنه لا فارق بين هذا العالم وأيام المسيح إلا عبودية المنفي".

كما اتَّفق المفسرون مع علماء التلمود على أن العالم الآتي هو عالم الثواب النهائي الذي يأتي بعد نهاية أيام المسيح وإحياء الموتى، فورد في تفسير تنا من أتباع الياهو

(١) انظر: ص رقم ١٠٢.

(תנא דבי אליהו זוטא פרק ח)[1]: "إن الرب سوف يحيي الموتى ما بين أيام المسيح والعالم الآتي وإنه بالفعل أحيا الموتى في هذا العالم على يد الصِّدِّيقِينَ أمثال إلياهو وأليشع وحزقيال، وسوف يكون للصِّدِّيقِينَ عزٌّ ومجد في العالم الآتي كما كان لهم عِزٌّ ومجد في هذا العالم مثل يهوشافاط".

بل إن المفسرين في تفسير تنحوما في موضع آخَرَ ينظرون إلى العالم الآتي على أنه عالم الثواب النهائي الذي يأتي بعد أيام المسيح، فورد في تفسير تنحوما (מדרש תנחומא פרשת עקב סימן ז) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تثنية ٨/ ١ "جميع الوصايا التي أُوصِيكم بها اليوم تحفظون": "كم تستمر أيام المسيح؟ قال علماؤنا تستمر أَلْفَيْ عامٍ، استناداً إلى ما ورد فى إشعياء ٦٣/ ٤ "لأن يوم النقمة في قلبي وسنة مفديّيّ قد أتت" وبعد أيام المسيح يأتي العالم الآتي.

أما عن العالم العلوي عند اليونان فلم يُنْظَرْ إليه على أنه عالم الموتى، فكان العالم السفلي هو عالم الموتى بالنسبة إليهم، ويعتبر هوميروس هو أول من قدم تَصَوُّرًا في الفكر اليوناني عن خلق العالم العلوي والسفلي، فيروي هوميروس قصة خلق العالم في الإلياذة قائلاً: "إن الإخوة الثلاثة زيوس وهاديس وبوسيدون ولدوا من أبوين هما كرونوس وريا، وقسمت بينهم جميع الأشياء، فأخذ كلٌّ منهم منطقته المخصصة له عن طريق القرعة، فكان البحر من نصيب بوسيدون، وكانت السماء الفسيحة والأثير من نصيب زيوس، أما الظلام الدامس فكان من نصيب هاديس"[2].

---

(١) أحد كتب التفاسير التي تحتوي على خطب ومواعظ يتخللها تفسير لبعض جُمَل المقرا، وهو ينقسم إلى جزأين، الجزء الأول يسمى "تنا دبي إلياهو زوطا" وهو يحتوي على ٣١ فصلاً، والثاني يسمى "تنا دبي الياهو ربا" ويحتوي على ١٥ فصلاً، وينسب هذا التفسير إلى النبي إلياهو، في حين يرى البعض أن كاتبه شخص مجهول، ولقد ظهرت الطبعة الأولى لهذا التفسير في فنسيا عام ١٥٤٠م. (انظر: האנצקלופדיה היהודית: אתר לימודי תרבות ורוח).

(٢) - (كروان) منيرة عبد المنعم: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص٥٧ – ٥٨.

في حين يقدم أفلاطون وصفاً للعالم العلوي من خلال أسطورة فيدون، فقد أطلق أفلاطون على هذا العالم العلوي اسم "الأرض النقية الخالصة" أو "العالم السماوي" والذي تسكنه أرواح الأتقياء بعد الموت، فيقول أفلاطون:" "فهذه الأرض تُشبِهُ أرضنا ولكن على الكمال والتمام، فألوانها أبهى من ألواننا وأكثر تنوعاً، ومنتجاتها من أشجار وزهور وفاكهة، وكذلك جبالها وأحجارها الكريمة أحسن وأكمل مما لدينا، وهي مُزَيَّنَةٌ بالذهب والفضة بكميات وفيرة وأحجام هائلة ومنتشرة في كل مكان، ويسكنها أيضاً الحيوان والإنسان، ولكن البشر هناك يتفوقون علينا في خصائصهم وبخاصة في مسائل المعرفة، ويكفي أنهم يستطيعون الكلام مع الآلهة التي تسكن في الغابات المقدسة هناك، وهم في سعادة لا تقارن بالسعادة التي نعيشها على أرضنا، أما هذه الأرض الخالصة الكاملة تقع في السماء النقية الخالصة حيث توجد النجوم، وهي التي يسميها الكثيرون باسم "الأثير"، وهذا الأثير هو مصدر الضباب والماء والهواء الذي يملأ فجوات الأرض التي نعيش عليها، وعلى الرغم من أننا نعيش في الحقيقة في فجوات الأرض إلا أنه يُخَيَّلُ إلينا أننا نعيش على السطح"[(١)].

في حين ينظر أتباع زرادشت إلى العالم العلوي على أنه عالم الموتى الذي تسكنه أرواح الأتقياء بعد الموت، وقد ورد في نصوص الأفستا في كتاب أرداه ويراف وصفاً للعالم السماوي فهو يتكون من أربع طبقات (أربع خطوات سالفة الذكر):

- الطبقة الأولى: وتحتوي على أرواح الأتقياء الذين يتألقون مثل النجوم والتي تسمى "هومات" أي مدار النجوم، فورد في كتاب أرداه ويراف: "عندما خطى أرداه ويراف الخطوة الأولى (خطوة الأفكار الطيبة) وجد نفسه داخل "هومات" مدار النجوم وشاهد أرواح الأتقياء تتألق مثل النجوم، وعندما سأل عن تلك الأرواح قال له سروش: إنها أرواح الأتقياء الذين لم يقرؤوا الجاتا في حياتهم، ولم يقدموا الصلوات لأهورامزدا لكنهم أصبحوا أتقياء من خلال الأعمال الأخرى".

(١) - (قرني) عزت: أفلاطون فيدون في خلود النفس، ص ٢٦٦-٢٧٢.

- **الطبقة الثانية من العالم السماوي**: وتحتوي على أرواح الأتقياء الذين يضيؤون مثل القمر، والتي تُسَمَّى "هوخت" أي: مدار القمر، فورد في كتاب أرداه ويراف: "عندما خطى أردا ويراف الخطوة الثانية (خطوة الكلمات الطيبة) وجد نفسه داخل "هوخت" مدار القمر وشاهد أرواح الأتقياء تضيء مثل القمر، وعندما سأل عن تلك الأرواح قال له سروش: إنها أرواح الأتقياء الذين لم يقرؤوا الجاتا في حياتهم، ولم يقدموا الصلوات لأهورامزدا لكنهم أصبحوا أتقياء من خلال الأعمال الأخرى".

- **الطبقة الثالثة من العالم السماوي**: والتي تحتوي على أرواح الأتقياء الذين يسطعون مثل الشمس وتسمى "هوفارشت" أي مدار الشمس، فورد في كتاب أرداه ويراف: "عندما خطى أردا ويراف الخطوة الثالثة (خطوة الأعمال الطيبة) وجد نفسه داخل "هوفارشت" مدار الشمس وشاهد أرواح الأتقياء تسطع مثل الشمس، وعندما سأل عن تلك الأرواح قال له سروش: إنها أرواح الأتقياء الذين لم يقرؤوا الجاتا في حياتهم، ولم يقدموا الصلوات لأهورامزدا لكنهم أصبحوا أتقياء من خلال الأعمال الأخرى".

أما الطبقة الرابعة والأخيرة من السماء: فقد جاء وصفها في خمسة فصول من العاشر وحتى الخامس عشر من كتاب أرداه ويراف، فهذه الطبقة هي مسكن أهورامزدا والملائكة والفرافاشي، وأرواح الأتقياء الخالصين، فيروي أرداه ويراف: "أنه خطى الخطوة الرابعة فوجد نفسه في "جاروثمان"، وهناك استقبلته أرواح الأتقياء، وبعدها قام مَلَك النار "أدار" ورحب به، ثم قام المَلَك "فوهمان" من فوق عرشه الذهبي وأمسك بيده وأحضره إلى أهورامزدا وإلى كبار الملائكة وإلى الفرافاشي، فقال له "فوهمان" الملك: هذا هو أهورامزدا!

ثم رأى أرواح الأتقياء الذين كانوا يقدمون الصلوات إلى أهورامزدا ويرددون الجاتا، يرتدون ملابس مرصعة بالذهب ومطرزة بالفضة. كما رأى أرواح الملوك والحكام العادلين، وأرواح النساء اللاتي يطعن أزواجهن، وأرواح المحاربين

الشهداء، جميع الأرواح تردد الشكر والمديح والبركة لأهورامزدا، كما رأى عالمًا مليئًا بالضوء والمجد والسرور والعطر، عالمًا لا يشبع منه أحد"[1].

أما في النصوص الأوجاريتية فثَمَّةَ إشارة واحدة في أسطورة "الصراع بين بعل وموت" تتحدث عن وجود عالم سماوي لكن ليس كمسكن للموتى، ولكن العالم الذي يسكنه الإله "بعل" وذلك عندما وصفت النصوص الأوجاريتية الإله بعل بأنه "راكب عرافوت "רוכב ערבות " وباللغة الأوجاريتية רכב ערפת وكلمة "عرافوت تعني "السحاب أو الغمام" في نص العهد القديم ثم تطورت في نصوص التلمود لتعني "الطبقة السابعة من السماء": " فارْتَعَدَ العظيمُ بعل، وتسلل الخوف إلى بعل راكب عرافوت"، ولعل تلك هي الإشارة الوحيدة إلى أن هناك عالم سماوي يسكنه الإله، وليس هناك علاقة بين الموتى وهذا العالم السماوي[2].

وكذلك لم ينظر البابليون إلى العالم العلوي على أنه عالم الموتى، فيتضح من النصوص البابلية أن العالم العلوي هو العالم الذي تسكنه الآلهة، فالإلهة عشتار في الأسطورة البابلية تنتقل من عالمها العلوي إلى العالم السفلي عالم الموتى الذي تَتَسَيَّدُهُ "ايرشيكيجال" ملكة العالم السفلي، ورغم ذلك تشير النصوص البابلية في أكثرَ من موضع إلى وجود علاقة بين العالم السفلي كعالم للموتى والعالم العلوي كعالم للآلهة، فإذا كانت عشتار انتقلت من العالم العلوي إلى العالم السفلي، فإن الانتقال من العالم السفلي إلى العالم العلوي كان يتم بصفة دورية عندما تقوم آلهة العالم السفلي بإرسال الرسل لإحضار الوليمة التي أعدها آلهة العالم العلوي، فورد في أحد النصوص

(1) the book of Arda Viraf:Translated by Prof. Martin Haug, of the University of Munich, revised from the MS. of a Parsi priest Hoshangji. From The Sacred Books and Early Literature of the East, Volume VII: Ancient Persia, ed. Charles F. Horne, Ph.D., copyright 1917. www.avesta.org/mp/viraf.html.
- (Waterhouse) John: Zoroastrianism, read country books, 2008, p101.

(2) (Cassuto).U: Biblical and Canaanite literatures, 219-245.

الأكادية: "في يوم ما، عندما كانوا على وشك الإعداد لوليمتهم، وجه آلهة العالم العلوي رسولاً إلى ايرشيكيجال إلهة العالم السفلي قائلين لها: نحن هنا لا نستطيع النزول حيث أنتِ، وأنتِ لا تستطيعين الصعود إلينا، أرسلي إلينا بسرعة أحدًا، ليتسلم حصتك من الوليمة! فأرسلت إليهم حاجبها نامتار"[1].

وفي نسخةٍ أحدثَ لنفس النصِّ البابلي جاء أن عمليةِ الهبوط والصعود من وإلى العالم العلوي كانت تتم عبر سلالم، فآلهة السماء يبعثون برسول إلى ايرشيكيجال ليبلغها رسالة الآلهة، وكان الرسول يهبط درجًا: "هبط "كاكا" رسول الآلهة درج السماء الطويل وعندما وصل إلى بوابة ايرشيكيجال صرخ: افتح لي الباب أيها الحارس"، كما أن ايرشيكيجال بعثت "نامتار" حاجبها الذي صعد الدرج إلى السماء: "نامتار يا حاجبي أنا أرسلك إلى أبينا آنو في السماء، تسلق الدرج إلى السماء، وكل ما يسلمك إياه آنو تنقله إليَّ بتمامه، فتسلق نامتار الدرج إلى السماء"[2].

أما في الديانة المصرية القديمة فقد مرت فكرة وجود عالم موتى علوي وآخر سفلي بعدة تطورات بداية من نصوص الدولة القديمة ووصولاً إلى الدولة الحديثة، وكان الاعتقاد في البداية في وجود حدود تفصل بين المجالات الثلاثة: السماء التي كانت مقراً للآلهة، والأرض التي كانت مقرًا للأحياء، والعالم الآخر مقر الأموات، وربما فصلت بينهم حدود تلاشت فيما بعد، فالسماء التي كانت أقدمَ بيتٍ للآلهة أصبحت فيما بعد مَقَرًّا لأرواح الأتقياء وهدفاً لرحلة الملك المُتَوَفَّى، كما أصبحت الأرض مَقَرًّا للمعبد الممثل للسماء والذي يُعبد فيه الإله، فهو يحتوي على الصورة المؤثرة لهذا الإله، وكذلك فإن العالم السفلي هو مكانٌ ثانويٌّ ومؤقتٌ لإقامة الآلهة، ونظراً إلى أن السماء والعالم السفلي هما مناطق للعالم الآخر يسيطر عليهما رع

(١) (الشواف) قاسم: ديوان الأساطير، ص ١٤٤.
- (بشور) وديع: الميثولوجيا السورية (أساطير آرام)، ص٢٨٧.
(٢) (الشواف) قاسم: ديوان الأساطير، ص ١٥٠.

وأوزوريس، فقد تم تصويرهما على أنهما منطقتان منفصلتان عن بعضهما البعض، وقد يفصلهما حدود على المُتَوَفَّى أن يَعْبُرَهَا للانتقال من منطقة إلى أخرى[1].

وتتميز نصوص الدولة القديمة أو نصوص الأهرامات وهي نصوص ملكية في المقام الأول بِغَلَبَةِ النظرة إلى العالم العلوي على أنه عالم الموتى، فمعظم النصوص تتحدث عن رحلة الملك المتوفى بصحبة إله الشمس وتَمَتُّعِهِ بحياة آمنة بصحبة الآلهة في السماء، وإن كان ظهور عالم الموتى السفلي كمكان مظلم لا تنفذ منه أشعة الشمس قد بدأت في تلك النصوص.

فتدور نصوص الأهرامات في مجموعها حول الملكَ المُتَوَفَّى الذي تعْنَى الآلهةُ بشخصه المقدس بعد موته، أما عامَّة الشعب، فكانوا وقتئذ لا يزالون يعتقدون أن موتاهم يعيشون في عالم الغرب المظلم، حيث يشاهدون الشمس كل مساء تغيب في الغرب لتبدو من جديد في الشرق عند الصباح، فذهب الظن إلى أن الموتى يهبطون في الغرب ويعيشون في عالم مظلم، لا يسطع فيه نور، وأدى ذلك إلى تسمية عالم الموتى باسم الغرب، في حين أن عظماء البلاد أي المَلِكَ وحاشيتَهُ على الأقل كان مصيرهم أسعدَ حالاً من مصير عامة الشعب، إذ كان في مقدورهم أن يسكنوا حسب رغبتهم مع إله الشمس "رع" في عالمه السماوي[2].

ولكن سَرْعَانَ ما رسم المصريون القدماء صور موتاهم الأتقياء في العالم العلوي فالميت يطير في شكل طائر إلى السماء فورد في نصوص الأهرامات: "إنه يغدو إلى السماء كالصقور، أو كريشة الأوِزِّ، إنه يندفع إلى السماء، ويُقَبِّلُ السماء كالصقر، ويقفز إلى السماء كالجرادة وهكذا يطير من بينكم أيها الناس، إنه لم يَعُدْ على الأرض، إنه في السماء إلى جانب إخوته الآلهة "حيث تمد إليه آلهة السماء يديها"، وعندما يصعد إلى السماء فإنه يصبح نجماً من نجومها، فورد في نصوص الأهرامات: "في السماء تقيمه

(1) (Machintosh) H.R: Immortality and the future, Hodder & Stoughto London p 7-11.
(٢) (أدولف) أرمان: ديانة مصر القديمة، ص ٢٣٨.

الإلهة نوت عليها نجماً لا يفنى، إنها هي التي صنعت حياته، إنها هي التي ولدته، إنه في الليل يصعد، وفي الليل يولد، وإنه يَنْتَسِبُ إلى أولئك الذين من وراء "رع" إنه يُبْحِرُ إلى الجانب الشرقي من السماء إلى المكان الذي تُولَدُ فيه الآلهةُ، والذي فيه يولد معهم، متجدِّدَةً قُواهُ عائِدًا إلى الشباب"[١].

ولقد ورد في نصوص الأهرامات عِدَّةُ طرق للصعود إلى السماء يَقْسِمُهَا بعض الباحثين إلى طريقتين، الأولى: من خلال الانتقال الطقسي، مثل استخدام الملك المُتَوَفَّى السحابَ أو أَشِعَّةَ الشمس دَرَجًا، والثانية: عن طريقِ التجسيد الطقسي، والتي تؤكد قدرة المَلِكِ على تغيير شكله وفيها يستخدم قوته الجديدة المكتَسَبَة ليصل إلى السماء، فهو قد يرفع نفسه – على سبيل المثال – باسم أحد الآلهة مثل آتوم، ويأخذ بعض صفات الآلهة ليستخدمها في الصعود، فهو قد يصعد كجراد أو عين حور أو في هيئة طائر كما ذكرتُ سالفاً، كما يرى بعض الباحثين أنه بعد وصول الملك إلى السماء عليه قبل دخول العالم الآخر العلوي أن يَعْبُرَ البوابة السماوية أوِ النهرَ السماويَّ، فورد في نصوص الأهرامات: "لقد صعدت للبوابة مشرقاً كَمَلِكٍ وعالياً للسماء"[٢].

ومتى قُبل المُتَوَفَّى وسُمِحَ له بدخول البوابة السماوية أو عبور النهر السماوي فإنه يُسمَح له عندئذ بدخول عالم الموتى العلوي. وتذكر بعض النصوص أن حارس البوابة هو من يسمح له بالدخول، وتشير بعض النصوص الأخرى إلى أن بعض الآلهة مثل الإله حور هو الذي يرشده إلى الطريق، كما أن هناك من يعلن قدوم المُتَوَفَّى لـ "رع" قبل عبوره النهر[٣].

إلى جانب التصورات التي عرضتها هنا عن عالم الموتى العلوي، ظهر تَصَوُّرٌ آخَرُ لم يَحْتَلَّ في نصوص الدولة القديمة إلا مركزاً ثانوياً، وهو ظهور عالم الموتى السفلي

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٤١.

(2) The pyramid texts: translated by Samuel mercer.

(٣) (السيد) ماجدة: العالم الآخر ومكانه في المفهوم المصري القديم، ص١٠٨.

والذي أصبح فيه أوزوريس مَلِكًا للموتى والذي سأتناوله بالتفصيل في المبحث التالي، لكن لم يتضح متى ظهر هذا التصور، ومهما يكن من أمر فإنه يرجع إلى زمن قديم جداً، ذلك لأن النصوص التي يتخذ فيها الميت شخص أوزوريس توجد بكثرة في نصوص الأهرامات، وربما كان الاعتقاد في اتخاذ الميت شخصية أوزوريس قد نشأ أول الأمر بين الملوك[1].

ويتضح مما سبق أن الحضارات الإغريقية والبابلية والكنعانية اتفقت في نظرتها إلى العالم العلوي في كونه عالمَ إقامةِ الآلهة مثل الإله زيوس في الأساطير الإغريقية والإلهة عشتار في الأساطير البابلية والإله بعل في الأساطير الكنعانية، ورفضت إقامة الموتى بجوار الآلهة في هذا العالم العلوي، في حين تعد الحضارة المصرية القديمة هي أول الحضارات التي تصورت إقامة الموتى بجوار الآلهة وبخاصَّةً الإلهَ "رع" في العالم العلوي وتبعها في ذلك الفلاسفة اليونان وأتباع زرادشت وعلماء التلمود.

ويتضح مما سبق أن علماءَ التلمود والمفسرين اتفقوا مع الفلاسفة اليونان وأتباع زرادشت والمصريين القدماء في نظرتهم إلى العالم العلوي كمَسْكنٍ لأرواح الأتقياء بعد الموت، ولكن في الوقت الذي قَسَمَ فيه علماء التلمود هذا المسكن إلى سبع طبقات، قَسَمَهُ أتباع زرادشت إلى أربع طبقات، والطبقة الأخيرة منه عند علماء التلمود تحتوي على أرواح الأتقياء والملائكة والكائنات المقدسة وكُرْسِيِّ العرش والرب، كذلك الحال عند أتباع زرادشت، ولعل الاسم الذي أطلقه علماء التلمود على الطبقة الأخيرة من السماء (عرافوت) هو نفس الاسم الذي ورد في النصوص الأوجاريتية ويشير إلى السماء التي يسكنها الإله الكنعاني "بعل".

---

(١) (أدولف) أرمان: ديانة مصر القديمة، ص٣٠٠.

المبحث الثاني

عالم الموتى السفلي

أما عن العالم السفلي فيرى علماء التلمود أن جهنم (גיהנם) المصير الذي ينتظر أرواح الآثمين بعد الموت هي نظير العالم السفلي ويتضح ذلك من خلال الأسماء التي أطلقها علماء التلمود على جهنم فورد في باب دمج الحدود (עירובין דף יט א) في سياق الحديث عن الفرق بين تنفيذ العقوبة التي يفرضها الرب والعقوبة التي يحكم بها البشر: "قال الربي يهوشع بن ليفي: يوجد سبعه أسماء لجهنم (גיהנם) وهي:

- الهاوية (שאול).
- الهلاك (אבדון).
- جُبُّ الهلاك (באר שחת).
- بئر الضجيج (בור שאון).
- طين الحمأة (טיט היון).
- ظل الموت (צלמות).
- الأرض السفلية (ארץ התחתית):

الهاوية استناداً إلى ما ورد في يونان ٢/ ٣: "صرخت من جوف الهاوية (שאול)"، والهلاك استناداً إلى ما ورد في مزامير: ٨٨/ ١٢: "هل يُحدّث في القبر برحمتك أو بحقّك في الهلاك (אבדון)"، وجب الهلاك استناداً إلى ما ورد في مزامير ٥٥/ ٢٤:"وأنت يا الله تحدِّرهم إلى جب الهلاك، وجُبُّ الضجيج وطين الحمأة، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٤٠/ ٣: "وأصعدني من جُبِّ الضجيج (בור שאון) من طين الحمأة (טיט היון)"، وظل الموت، استناداً إلى ما ورد في مزامير ١٠٧/ ١٠: "الجلوس

في الظلمة وظلال الموت (צלמות)"، أما اسم الأرض السفلية (ארץ התחתית) فهو من التراث الشفهي".

فجميع الأسماء التي أطلقها علماء التلمود على جهنم، إنما هي أسماء وردت في نصوص المقرا لتشير إلى العالم السفلي، باستثناء مصطلح "الأرض السفلية" فهو منَ استحداث علماء التلمود، كما أشار المفسرون إلى أن جهنم هي العالم السفلي الموجود في أعماق الأرض فورد في تفسير التكوين الكبير (בראשית רבא פרשת בראשית פסקה ו) في سياق تفسير الفقرة الواردة في دانيال ٢/ ٢٢: "بدأ الربي يهودا بر سيمون[1] قوله: ماذا يعني ما ورد في دانيال ٢/ ٢٢ "هو يكشف الأعماق والأسرار"؟ المقصود بالأعماق، أي: جهنم، استناداً إلى ما ورد في أمثال ١٨/٩ "ولا يعلم أن الأخيلة هناك وأن في أعماق الهاوية ضيوفها".

كما يرى علماء التلمود أن جهنم تكون أكثر عمقا لمن يرتكب بعض الآثام، فورد في باب السبت (שבת לג א) في سياق الحديث عن العقوبات التي تفرض على من ينكح نكاحًا باطلا ولا يُنَفِّذُ حُكْمًا أصدرته دارُ القضاء: "قال الربي شيلا نقلاً عن الربي حسدا[2]: من ينطق فمُهُ بالفجور فسوف تزداد جهنم عمقًا من أجله، استناداً إلى ما ورد في أمثال ٢٢/ ١٤ "هوة عميقة".

والصورة التي رسمها علماء التلمود للآثمين في جهنم تشبه الصورة التي رسمها نص المقرا للموتى في العالم السفلي، فورد في باب السبت (שבת קמט ב) في سياق الحديث عن المصير الذي لحق بـ"نبوخذنصر"[3]: "قال راف يهودا نقلاً عن راف عندما يهبط الآثم إلى جهنم فإن جميع من يهبطون إلى جهنم يقولون: هل جاء هذا الآثم ليحكمهم أم جاء ليصبح ضعيفاً مثلهم؟! استناداً إلى ما ورد في إشعياء ١٤/ ١٠

(١) ينتمي إلى الجيل الثالث والرابع من علماء الجمارا في فلسطين.

(٢) ينتمي إلى الجيل الثاني والثالث من علماء الجمارا في بابل.

(٣) ملك بابل الذي حكم في الفترة من ٦٣٠ ق.م- ٥٦٢ ق.م والذي خرّب الهيكل الأول.

"كلهم يجيبون ويقولون لكَ: أأنتَ أيضاً قد ضعُفتَ نظيرنا وصرتَ مثلنا؟!"، فيصدر صوت من السماء ويقول ما ورد في حزقيال ٣٢/ ١٩ "ممَّن نعمتَ أكثر، انزل واضطجع مع الغُلْف".

كما يرى علماء التلمود والمفسرون أن أهم ما يميز جهنم بوصفها عالماً سفلياً أنها شديدة الظلام، فورد في باب زواج الأرامل دون أبناء (יבמות קט ב) في سياق الحديث عن عقوبة من يبدي رغبته في عدم دراسة التوراة : "قال الربي شموئيل بر نحماني نقلاً عن الربي يوحنان: يجب على القاضي أن يتخيل دائماً أن جهنم مفتوحة من تحته، استناداً إلى ما ورد في نشيد الأنشاد ٣/ ٧ "كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل" المقصود من هول الليل، أي: جهنم، لأن جهنم تشبه الليل".

كما ورد في تفسير الخروج الكبير (שמות רבא פרשת בא פסקה יד)[1] في سياق تفسير الفقرة الواردة في خروج ١٠/ ٢٢ "فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلامٌ دامسٌ في كل أرض مصر": "فمن أين جاء هذا الظلام؟ قال الربي نحميا: جاء من ظلام جهنم، حيث قال الربي يهودا بر ربي: إن الظلام يُغَطِّي الآثمين في جهنم". كما ورد أيضاً في تفسير تنحوما (מדרש תנחומא פרשת נח סימן א) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تكوين ٦/ ٩ "هذه مواليد نوح": "أن كل من يهبط إلى جهنم لا يتعذب إلا بسبب الظلام".

كما يصف علماء التلمود أبواب جهنم والتي تشبه بوابات العالم السفلي في الحضارات القديمة، فورد في سياق الفصل بين العقوبة الإلهية والعقوبة البشرية في باب

---

(١) كتاب تفسير لسفر الخروج ويرجع زانز زمن تدوينه إلى القرن الحادي عشر والثاني عشر على الرغم من أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد تفسير سفر "التكوين الكبير".

(אייזענשטיין) יהודה דוד 'אוצר מדרשים' במהדורה מקוונת: כרך א| כרך ב| באתר

Hebrew Books (www.hebrewbooks.org).

دمج الحدود (עירובין דף יט א): "قال الربي أرنيا بن إليعزر: هناك ثلاثة أبواب لجهنم: باب في الصحراء، وباب في البحر، وباب في القدس، باب في الصحراء، استناداً إلى ما ورد في عدد ٣٣/ ١٦ "فهبطوا أحياء إلى الهاوية"، وباب في البحر، استناداً إلى ما ورد في يونا ٣/ ٢: "صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي"، وباب في القدس، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٩/ ٣١: "يقول الرب الذي له نار في صهيون وله تَنُّورٌ في أورشليم " حيث قال الربي يشمعئيل[1]: إن جمله "له نار في صِهْيَوْنَ "المقصود بها جهنم وأن جملة "له تَنُّورٌ في أورشليم " المقصود بها باب جهنم".

فأغلب النصوص التي وردت في التلمود وكتب التفاسير تشير إلى أن جهنم هي العالم السفلي الذي ينتظر أرواح الآثمين بعد الموت، في حين تشير نصوصٌ أخرى إلى أن جهنم هي المصير النهائي الذي ينتظر الآثمين بعد إحياء الموتى، فيرى علماء التلمود أن جهنم تشير إلى عذاب النار في الحساب النهائي للروح والجسد بعد الموت، فبعد إحياء الموتى والحساب يُهبِط كلَّ من ارتكب الآثام من بني إسرائيل وكل منِ ارتكب الآثام من الأغيار إلى جهنم ويعاقب لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً، وبعدها يَفْنَى جسدُهُ، وتحترق روحه، وتَذْرُوهُ الرياحُ تحت أقدام الأتقياء، فورد في باب رأس السنة (ראש השנה דף טז) في سياق الحديث عن يوم الدينونة النهائي بعد إحياء الموتى: "من يرتكب الآثام من بني إسرائيل، ومن يرتكب الآثام من أمم العالم سوف يهبط إلى جهنم بجسده ويعاقب لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً، وبعدها يَفْنَى جَسَدُهُ وتحترق روحه وتَذْرُوهُ الرياحُ تحت أقدام الأتقياء، استناداً إلى ما ورد في ملاخي ٢١/ ٣: "وتدوسون الأشرار، لأنهم يكونوا رماداً تحت بطون أقدامكم".

بينما يرى المفسرون في بعض كتبُ التفاسير أن جهنم تشير إلى العذاب النهائي للآثمين إذ يعذبون فيها لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً: ستة أشهر في حرارة شديدة وستة أشهر

(١) ينتمي إلى الجيل الثالث من التنائيم.

في برودة شديدة، فورد في تفسير تنحوما (תנחומא פרשת ראה סימן יג) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تثنية ١٤/ ٢٢ "تَعْشِيرًا تعشّر كل محصول زرعك": "قال حزقيا: إن عذاب الآثمين في جهنم يستمر لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً: ستة أشهر منها في حرارة شديدة وستة أشهر في برودة شديدة".

فعندما قسم المفسرون طبقات الأرض إلى سبع طبقات لم يشيروا ضمن هذه الطبقات إلى جهنم، ويتضح من ذلك أن جهنم لم تَعْنِ بالنسبة إليهمُ العالمَ السفليَّ، فقد ورد في تفسير اللاويين الكبير (ויקרא רבא פרשת אמר פסקה יא) في سياق تفسيرهم للفقرة الواردة في لاويين ٢٣/ ٢٣ "في الشهر السابع في أول الشهر يكون لكم عطلة": "كل ما ورد عنه أنه السابع يعد مفضلاً بالنسبة إلى القدوس تبارك، فطبقات الأرض سبعة وهي:

- erts(ארץ) أي وجه الأرض.
- وadamh(אדמה) أي الأديم.
- وarka(ארקא) أي: الأرض.
- وgy(גיא) أي جواء.
- وtsya(ציה) أي قفر.
- وnshya(נשיה) أي النسيان.
- وtvel(تفل תבל) أي المسكونة أو المعمورة.

فالطبقة السابعة هي المفضلة عند القدوس تبارك، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٩٦/ ١٣ "يدين المسكونة بالعدل".

أما العالم السفلي عند اليونان فقد صوره هوميروس في أعماله، وأول ملامح الصورة التي رسمها هوميروس للعالم السفلي هي الإظلام ، فالشمس الساطعة لا تصافح أشعتها وجوه الموتى سواء في صعودها إلى كبد السماء، أو حينما تهبط مرة أخرى إلى حضن الأرض، إنما يلف الموتى التعساء ظلام حالك.

فعالم الموتى السفلي، كما يصوره هوميروس، مكان كئيب مظلم لا يسر القلب أو العين، ولا يعرف المرحُ والسعادةُ إليه طريقاً، كما تصور هوميروس أيضاً أن العالم السفليَّ يقع في مكان قَصِيٍّ في أعماق الأرض، وأن هناك العديدَ من الصعاب والعقبات التي تجعل من المستحيل على غير الموتى أن يصلوا إليه، بل إن الموتى أنفسهم يصلون إليه بِشِقِّ الأنفس.

وينقسم العالم السفلي عند هوميروس إلى قسمين: القسم الأول يعاقَب فيه الذين ارتكبوا جرائم في حق الآلهة، مثل سيزيفوس وتانتالوس وتيتيوس، وهم يعانون أشد أنواع العذاب، وهم في كامل وعيهم حتى إنهم يشعرون بما ينزل بهم من عقاب، ولم يكن العالم السفلي كما يصوره هوميروس مكاناً للعقاب فقط، بل هناك إشارة إلى مكان جميل يوجد فيه الأخيار يسمى "السهل الألوسي" حيث تسير الحياة في سهولة ويسر، كما تشير إلى مكان بهيج آخر تسكنه أرواح الأبطال ويسمى "جزر المباركين" حيث تنبت أجمل الزهور[1].

كما يقدم أفلاطون صورة أخرى للعالم السفلي أو كما أطلق عليه في أسطورة فيدون "جوف الأرض" فيقول أفلاطون: "هناك من بين أغوار الأرض هوةٌ تفوق الأخريات وتخترق كل الأرض من أقصاها إلى أقصاها، وهي التي يتحدث عنها هوميروس حينما يقول: هناك بعيداً جداً، توجد أعمق هاوية تحت الأرض وهي التي يسميها هوميروس في أعماله ويسميها غيره من الشعراء باسم "طارطاروس"، وتصب جميع الأنهار في هذه الهاوية وتنبع منها، ويوجد داخل هذه الهاوية العديد من مجاري المياه، أكبرها هو ما نسميه "أوقيانوس" ويقابله "أخيرون" الذي يجري في الاتجاه المعاكس له، وكذلك تحت الأرض توجد بحيرة "أخيروسيادس" التي تصل إليها أرواح الموتى، حيث تبقى هناك فترة ما تبدو أطول بالنسبة إلى بعض الموتى

(١) (كروان) منيرة عبد المنعم: العالم الآخر في المسرح الإغريقي ص٥٧ – ٥٨.

- (Johnston) Sarah: Religion of ancient world, p 486.

وأقصر إلى البعض الآخر، ومن هناك تعود تلك الأرواح من جديد لتنضم إلى الكائنات الحية، كما يوجد في "طارطاروس" النهر الذي يسمى "بوريفليجيثون" والذي تقذِفُ حِمَمُهُ البركانيةُ أجزاءً تبلغ مواقعَ مختلفةً من الأرض، وفي الجانب المقابل لهذا النهر يوجد نهرٌ آخَرُ في منطقة رهيبة ومهجورة ملونة كلها بلون أزرقَ غامقٍ تسمى "استوجيون"[1].

أما عن العالم السفلي في الديانة الزرادشتية فتصف نصوص الأفستا نوعين من العالم السفلي، فبعد الوصف الذي ورد في كتاب أرداه ويراف للعالم العلوي، انتقل بعدها ليصف لنا العالم السفلي على غرار وصفه للعالم العلوي وذلك من الفصل السادس عشر وحتى نهاية الكتاب، فيروي أرداه ويراف:

"أن سروش اصطحبه إلى جسر جنوات مرة أخرى، وهناك رأى الرحلة التي تمر بها أرواح الآثمين بعد الموت خلال الأيام الثلاثة الأولى، وبعد الأيام الثلاثة تخطو أرواح الآثمين أربع خطوات: الخطوة الأولى "دوش هومات" أي جحيم الفكر الشرير، الخطوة الثانية "دوش هوخت" أي جحيم الكلمة الشريرة، الخطوة الثالثة "دوش هوفارشت" أي جحيم العمل الشرير، وأخيراً الخطوة الرابعة التي تؤدي إلى الجحيم، وهناك شعر ببرودة شديدة وجفاف شديد، ورائحة كريهة لم يشعر بها في دنياه، ورأى الجحيم، هُوَّةً عميقةً تنحدر إلى مكان ضيق يثير الخوف والفزع، وكل من يدخل إلى هذا المكان ويَشَمُّ الرائحة الكريهة يسقط داخل هذه الهوة العميقة، وعندما يدخلها يشعر أنه بمفرده، وعندما يقيم فيها ثلاثة أيام يشعر أنه أقام تسعة آلاف عام".

وأخيراً يروي أرداه ويراف أنه رأى هناك روح رجل تخرج من فمه أفعى، وتُمْسِكُ بأطرافه العديدُ منَ الأفاعي، وعندما سأل عن تلك الروح قال له سروش: إنها روح رجل كان يمارس المِثْلِيَّةَ الجنسية في الدنيا، ورأى هناك روح امرأة كانت

(١) (قرني) عزت: أفلاطون فيدون في خلود النفس، ص ٢٧٢.

تشرب كأساً من فضلات الرجال، وعندما سأل عن تلك الروح قال له سروش: إنها روح امرأة كانت تقترب من الماء والنار فى أثناء حيضها، ورأى هناك روح امرأة تلتهمها حيوانات الجحيم المفترسة، وعندما سأل عن تلك الروح قال له سروش: إنها روح امرأة ارتكبت جريمةَ الزنا في حياتها، ورأى هناك روح امرأة يلتف لسانها حول رقبتها وهي معلقة في الفضاء، وعندما سأل عن تلك الروح قال له سروش: إنها روح امرأة كانت تحتقر زوجها".

وقد ورد في نصوص الأفستا نوعٌ آخَرُ من العالم السفلي، فورد في الفصل الثالث والخمسين وصف لجحيم آخَرَ تملؤه النيران، يقع تحت جسر جنوات في وسط الصحراء، فيروي أرداه ويراف: "بعد ذلك قادني سروش إلى "تشاكات ديتيه" وهو جحيم يقع أسفل جسر جنوات وسط الصحراء، وهناك سمعت أنين ونداءات أهيرمان والشياطين وأرواح الآثمين، فذهبت إلى ذلك الجحيم ورأيت هوة عميقة تجمع داخلها جميع أخشاب العالم التي تشتعل فيها النيران، وهناك رأيت أرواح الآثمين يعانون من شتى أنواع العقاب من حرارة النيران المحرقة ومن الرائحة الكريهة، كما رأيت بعض الأرواح تبتلعها النيران وتلفظها، ثم تبتلعها وتلفظها، وعندما سألت عن تلك الأرواح، قال لي سروش: إنها أرواح الذين كانوا ينكرون فكرة أحياء الموتى والثواب والعقاب في الفردوس والجحيم"[1].

أما عن العالم السفلي في أرض كنعان فورد في النصوص الأوجاريتية أن العالم السفلي هو العالم الذي تقيم فيه "أشباح الموتى"، وأن الإله "موت" هو المسؤول عن هذا العالم، فالإله "موت" هو المسؤول عن الموت، فهو الذي يشتاق إلى جمع أجساد

(1) the book of Arda Viraf:Translated by Prof. Martin Haug, of the University of Munich, revised from the MS. of a Parsi priest Hoshangji. From The Sacred Books and Early Literature of the East, Volume VII: Ancient Persia, ed. Charles F. Horne, Ph.D., copyright 1917. www.avesta.org/mp/viraf.html
-,(Waterhouse) John: Zoroastrianism, p101.

الموتى فوق بعضها البعض، وابتلاعها دون أن يشعر بالشبع، فورد في أسطورة "بعل": "إن نفسي تشتاق إلى الموت، أشتاق إلى أن أجعل الأموات أكوامًا، وآكُلَهَا بكِلْتَا يَدَيَّ، وأمزِجَ دَمَهَا في كأس لأَشْرَبَهُ".

ويبدو أن "موت" هو الموت نفسه، فدَوْرُهُ لا يتوقف على إيقاف نمو النباتات فحسب، إنما يذهب إلى أبعد من ذلك، فهو المسؤول عن موت الحيوانات والبشر بل والآلهة أيضاً كما يظهر في نهاية الأسطورة.

وبالإضافة إلى دوره السابق يظهر له دور آخر، كإلهٍ للعالم السفلي، فهو يسكن في الهاوية في مدينة تسمى "همري" حيث يوجد كُرْسِيٌّ عرشه: "عندئذ يوجه (بعل) نظره إلى "موت" ابن الآلهة، وهو داخل مدينته "همري"، حيث كرسي عرشه، حيث كهوف أرضه".

ويتضح من هذا النص أن الإله "موت" والهاوية شيءٌ واحدٌ، فإن ابتلاع "موت" للموتى يعني الهبوط إلى الهاوية: "تمكنت من اصطياد بعل، وأصبح مثل الشاة في فمي، ومثل الجدي في حلقي"، ويقول في موضع آخر: "اهبط إلى الهاوية، وستصبح من الهابطين إلى الهاوية، وتسمع عويل أرواح الموتى في الهاوية". وكذلك عندما علم الإله "إيل" بموت ابنه بعل قال: "إذا كان بعل قد مات، فماذا سيكون مصير البشر، إنني سوف أهبط خلف بعل إلى الهاوية".

كما تُصَوِّر أسطورة "هبوط عنات إلى العالم السفلي" الصورةَ القاتمة التي يبدو عليها العالم السفلي، فهو عالم مظلم لا يتخلله الضوء، فتروي الأسطورة أن "موت" رغب في طلب الإلهة العذراء "عنات" وأراد نزولها إلى العالم السفلي، فحاول أن يرغم مجمع الآلهة على ذلك فقام في الليل خلسة وحمل الشمس والقمر ونقلهم إلى العالم السفلي ثم بعث برسالة إلى "إيل" يحذره فيها من أن العالم سوف يكون بلا نور إذا لم يرسل إليه "عنات"، فرفض "إيل" نزول عنات إلى العالم السفلي المظلم الكئيب،

ولكن خشية اختفاء الشمس والقمر إلى الأبد، أرسل الإله "إيل" الإلهة "عنات" إلى العالم السفلي، التي تمكنت في ثمان ليال من أن ترد الشمس والقمر عن طريق الحيلة، كما تمكنت من الحصول على حريتها[1].

كما يظهر ملمح آخر من ملامح العالم السفلي في النصوص الأوجاريتية في الأسطر الأخيرة من أسطورة "بعل" و"موت"، وذلك عندما يرسل "بعل" رسله إلى الإله "موت" في العالم السفلي الذي يقيم فيه: "ثم يوجه بعل مجموعة (من الرسل) نحو جبل ترجز"trgzz"، ونحو جبل ترمج "trmg"، فهما بمثابة سدادات الأرض، ارفعوا الجبال على الأيادي، ارفعوا التل على قمة أشجار النخيل".

فيبدو أن العالم السفلي محاطٌ بجبلين أسماؤهم غير سامية، وتمثل هذه الجبال أغطية وسدادات لهذا العالم تحول دون خروج الموتى من هذا العالم[2].

أما في بابل فقد اختلفتِ المسمياتُ التي أطلقت على العالم السفلي وكان الاسم الشائع الذي يشير إلى عالم الموتى السفلي في بابل وآشور هو "الآرالو" أو "بيت الآرالو"، الذي كان يُصَوَّرُ على أنه مكان واسع ومظلم ويبعث على الكآبة، وكان أحياناً يلقب بالأرض أو بالبيت العظيم الذي يصعب النظر إليه، فهو يقع أسفل الجبل، فهو يمثل بالأرض التي تقع في جوف الجبل ومنها يتدفق نهر يسمى "أبسو" محاط بسبعة حوائط وحارس قوي، فهذا المكان لا يذهب إليه إنسان حي، ولا يخرج منه ميت، فمن يموت يذهب إلى الآرالو بلا رجعة.

والاسم الآخر الذي يطلق على عالم الموتى والذي يحدد العلاقة بين الأرض والآرالو هو "أكور" أو "بيت جبل الموتى"، ولكنه يشير بشكل خاص إلى ذلك الجزء من الجبل المعروف باسم "خاراساج كوركورا" بمعنى "جبل جميع الأراضي" حيث

---

(1) (Cassuto). U: Biblical and Canaanite literatures 219-245.

(2) (pope) Marvine , Cult of the Dead at ugarit, p167.

ولدت الآلهة، وذلك قبل ظهور فكرة جلوس الآلهة على عروشها في السماء، فقد كان هذا الجبل مسكناً للآلهة، لذلك كان يطلق على المعبد الذي يمثل مسكن الآلهة اسم "اكور"، وكان مسكن الموتى جزءًا من هذا الجبل العظيم، لذلك فإن الموتى في هذا الجبل كانوا يقيمون تحت إشراف ورعاية الآلهة.

والاسم الثالث الذي أطلق على عالم الموتى هو "شوالو"، وربما أنها تعني "السؤال"، فـ"الشوالو" هو مكان التحقيق أو الرد على الأسئلة، ووفقاً لذلك فإن هذا الاسم يشير إلى قدرة الموتى على الرد على أسئلة الأحياء.

والاسم الرابع الذي ورد بشكل متكرر في النصوص البابلية هو "كيجالو" الذي يصف العالم الآخر أو العالم السفلي على أنه منطقة تقع في باطن الأرض، كما كان يطلق على إلهة العالم السفلي لقب "ملكة كيجالو".

كما كان يطلق على عالم الموتى اسم "ايركالا"، ولقد فسّر البابليون هذه الكلمة بأنها تعني "المدينة العظيمة"، وبعدما أصبح الإله "نيرجال" هو حاكمَ العالم السفلي أطلق على هذا العالم اسم "كوتو" نظراً إلى أنه كان من قبل راعياً وحاكماً لمدينة "كوتو"، وبالإضافة إلى الأسماء سابقة الذكر جاء في النصوص البابلية الدينية أسماء لعالم الموتى بمثابة صفات مثل: "المسكن المظلم" و"أرض اللا عودة" و"بيت الموت" و"المدينة العظيمة" و"الأرض العميقة"[1].

أما عن وصف العالم السفلي في النصوص البابلية، فمن بين بقايا الأدب البابلي أسطورة تصف هذا العالم، وهي أسطورة إلهة الخصوبة عشتار، وهبوطها إلى العالم السفلي للبحث عن زوجها الشاب، حيث تبدأ الأسطورة بوصف الأرض التي تذهب إليها عشتار: "إلى أرض اللا عودة إلى أرض الظلام، ذهبت عشتار ابنة "سين"، إلى بيت الظلام إلى مسكن "اركالا"، إلى البيت الذي لا يخرج منه من

(1) (Jastrow) Morris: The religion of Babylonian and Assyria, p324-330.

يدخله، إلى الطريق الذي لا عودة منه، إلى البيت الذي يحرم سكانه من الضوء، إلى المكان الذي يعد الغبار غذاءهم والطين طعامهم، ليس عندهم ضوء، يسكنون في الظلام، يكتسون مثل الطيور بالريش".

يتضح من خلال النص أن "اركالا" هو الاسم الذي أطلق هنا على العالم السفلي، الذي وصف على أنه مكان موحش مظلم، غير أن بعض الباحثين يرون أن الخيال البابلي لم يتسع إلى أكثر من ذلك في وصف هذا العالم، وربما يعكس ذلك وجهة النظر الشعبية التي تتفق مع المعتقدات البدائية، فالعالم السفلي ما هو إلا قبر أو كهف يوضع الميت بداخله، فبالتالي فكرة أن يكون هذا العالم مظلم هي فكرة بديهية، وربما فكرة أن الطين في هذا العالم هو غذاء للميت مستمدة من ملحمة جلجاميش، التي صورت الإنسان مخلوقًا من الطين وإلى الطين يعود[1].

ويصف الجزء التالي من أسطورة عشتار دخول عشتار إلى العالم السفلي: "عندما وصلت عشتار إلى أرض اللا عودة، تكلمت مع مراقب الباب، أيها المراقب! افتح الباب! افتح الباب حتى أَدخُلَ، إذا لم تفتح الباب وإذا رفضت دخولي، سأحطم الباب، وأَكْسِرُ المزلاج، سأحطم العتبة، وافتح البوابات بالقوة، سأوقظ الموتى ليأكلوا الأحياء، بحيث يفوق عدد الموتى عدد الأحياء".

يبدو من النص أن العالم السفلي له حراس أقوياء، ويبدو من بعض المصادر إلى أن حارس هذه البوابة يرافقه جاسوس يقوم بإبلاغ ملكة العالم السفلي "ايرشيكيجال" بجميع الأحداث التي تجري، أما الحارس فكان دوره هو منعَ الأحياء من دخول العالم السفلي، ومنع الأموات من الخروج منه.

كما يصور العالم السفلي على أنه يحتوي على سبع بوابات تمر من خلالها عشتار قبل الوصول إلى ايرشيكيجال: "ذهب المراقب وفُتح الباب، ادخلي أيتها المعشوقة،

(١) انظر: المرجع السابق ص ٣٢٤- ٣٣٢.

مرحباً بك في "كوتا"، في البيت العظيم، أرض اللا عودة ترحب بك، وقادها من البوابة الأولى ونزع التاج العظيم من فوق رأسها بجرأة، لماذا أيها المراقب تنزع عن رأسي التاج العظيم، ادخلي أيتها المعشوقة إنها قوانين "ايرشيكيجال".

وعلى البوابة الثانية ينزع أقراط الإلهة، وفي الثالثة ينزع عِقْدَهَا وهكذا في كل باب يأخذ جزءًا من لباسها والحُلِيِّ الذي على صدرها وحزامها وأساورها، وعندما تصل إلى الباب السابع ينزع اللباس الذي على خاصرتها، فتقف أمام ايرشيكيجال عارية، وفي كل مرة تسأله عشتار نفس السؤال ويجيب المراقب نفس الإجابة، وربما يشير النص السابق إلى أن الموتى يدخلون هذا العالم السفلي وهم عراة مُجَرَّدُونَ من ملابسهم[1].

أما عن العالم السفلي في **النصوص الجنائزية المصرية القديمة** فإذا كانت نصوص الأهرامات قد أوضحت كيفية الوصول إلى عالم الموتى العلوي فإن نصوص التوابيت قد أوضحت كيفية الوصول إلى عالم الموتى السفلي، كما أنها لم تتوقف عند ذلك، بل قدمت وصفاً لهذا العالم السفلي، فكان على المُتَوَفَّى أن يمر بثلاث بوابات حتى يصل إلى الهدف الذي من أجله قد قام بتلك الرحلة، فالبوابة الأولى صنعت من لهيبٍ أزرقَ يصيبُ سعيرُها كلَّ مارٍّ، ويصل ارتفاع لهيبها على كلا الجانبين إلى خمسين ذراعًا، بل تمتد أطراف لهيبها لتصل إلى عنان السماء، ومن أجل أن ينجو المُتَوَفَّى من ذلك فهو يتوجه إلى آتوم ليستنجد به من حارس تلك البوابة والتي تصفها الآلهة بأنها سوداء، ويتوجه المتوفى للإله أوزير لينقذه من حارس البوابة الثانية التي تسرق الأرواح، أما البوابة الثالثة فهي محاطة بالنيران وخلفها يوجد أربعة من الأنهار، الأول لا توجد به سوى النيران، والثاني به سخونة حارقة، والثالث به نيران "سخمت" المتوهجة، أما الرابع فهو يشرق على "نون" اللا متناهي، فهذا المكان من أشد الأماكن خطورة، فقد

---

(١) (بشور) وديع: الميثولوجيا السورية (أساطير آرام)، ص١٨٤.

يَعْبُرُهُ المُتَوَفَّى وهو غافل، فيجد نفسه محصوراً في هذا الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك الأبديِّ، فمن يضل طريقه قد يقوم "جحوتي" بترحيله إلى المحكمة التي تقوم بإدانته، حيث يقوم "شو" و"تفنوت" بالختم على مصيره، لذلك فالمتوفى يتضرع للتاسوع حتى ينقذه من ذلك المصير[1].

في حين تصف نصوص الدولة الحديثة العالم السفلي بعِدَّةِ صُوَرٍ، فهناك الصورة الإيجابية لهذا العالم، فتشير بعض النصوص الى أن المصري القديم يشتاق إليه حيث العدل: "إلى الغرب، إلى المدينة التي تقول عنها: إن قلبي يشتاق إليها"، كما تشير بعض النصوص مثل صلوات "باحري" إلى تلك الصورة المشرقة لهذا العالم: "ستحيا مرة أخرى ولن تبتعد روحك عن جسدك، وعندما تصل إلى قاعة "ماعت" سيرحب بك الإله الذي فيها، وسيسعد قلبك بحرثك لأرضك في حقل "الأيارو" ويقول لك المرء: مرحباً مرحباً في بيت الأحياء هذا الخاص بك"[2].

وهناك من النصوص ما عَبَّرَتْ عن هذا العالم بصورة سلبية، ومن الجدير بالذكر أن كتاب الموتى ذاته، والذي نقل إليه جزء كبير من نصوص التوابيت هو الذي حمل تلك الصورةَ المُعْتِمَةَ عن العالم السفلي، ومن النصوص التي تعكس ذلك، الحوار المعروف بين الإله أوزوريس والإله آتوم[3] بالفصل رقم ١٧٥ من كتاب الموتى: "قال أوزوريس: يا آتوم هل ينبغي أن أذهب إلى العالم السفلي بدون ماء، بدون هواء، إنه عميق ومظلم وأبدي، فقال أتوم: إنك حي هناك فيه بقلب سعيد، فقال أوزوريس: لا فلن يستمتع المرء (متعة جنسية فيه)، فقال أتوم: وُهِبْتَ النورانيةَ في مقابل الماء

(١) (السيد) ماجدة: العالم الآخر ومكانه في المفهوم المصري القديم، ص١٠٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٨.

(٣) إله مصري قديم يعتقد أنه خلق نفسه بنفسه، ومن ثم فهو خالق العالم، ثم قام بخلق "شو الهواء وتفنوت الرطوبة" عن طريق البصق أو المني، ويوصف بأنه خنثى (ويعتقد أن هذا أحد أسباب وصفة بالكمال)، ويقع على رأس قائمة تاسوع هليوبوليس، وهم التسعة آلهة الأوائل ومنهم أمون وموت وهاتور وأيزيس وأوزوريس. اندمج مع الإله رع وعرف باسم "أتوم رع".

والهواء والمتعة، ورضا القلب في مقابل الخبز والجعة". فيصف النص عالم الموتى الذي على أوزوريس الذهاب إليه ببعض الصفات السلبية فهو مظلم وعميق ولا يوجد به ماء أو هواء، لأنه سوف يستمتع فيه بنور الإلوهية والحياة الأبدية ورضا القلب في مقابل الطعام والشراب والمتعة الجنسية[(١)].

ومن أهم نصوص الدولة الحديثة التي وصفت العالم السفلي النصوصُ الواردةُ في كتاب الموتى وكتاب الأمي دوات[(٢)]، فتعتبر نصوص كتاب الموتى دراسةً مُفَصَّلَةً لبوابات العالم السفلي، فنجد أن الفصل ١٤٤ من كتاب الموتى يعدد بوابات العالم الآخر السفلي السبعة كل بوابة يصاحبها ثلاثة من الحراس، ويكفي المتوفى معرفة أسماء البوابات معرفة مجردة ليتمكن من العبور خلالها، وجاء في الفصل ١٤٥ من كتاب الموتى أن بواباتِ مملكة أوزير في حقل "الأيارو" ٢١ بوابة لكن يخضع المتوفى لاستجواب حاد، وتختبر معرفته بأشياء سرية، كما يخضع لطهارة معينة حتى يسمح له الحارس بالعبور، ويُعَدُّ الفصلان من أهم الفصول في كتاب الموتى[(٣)].

أما في كتاب "الإمي دوات" فينقسم العالم السفلي إلى اثْنَيْ عَشَرَ قسماً بما يوافق ساعات الليل الاثنتَيْ عَشْرَةَ وتسمى "الحقول" أو "المغاور" وهي آهلة بالآلهة

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٨.

(٢) من الكتب الجنائزية القديمة التي تعود إلى عصر الدولة الحديثة، والذي كان يكتب داخل القبر من أجل مساعدة المُتَوَفَّى على اجتياز الرحلة إلى العالم السفلي، وعلى خلاف النصوص الجنائزية الأخرى كان هذا الكتاب مخصَّصًا للفراعنة والنبلاء. فهو يصف الرحلة التفصيلية التي يقوم بها إله الشمس إلى العالم السفلي وذلك عند غروب الشمس، ثم صعوده مرة أخرى إلى العالم العلوي مع شروق الشمس، وهي نفس الرحلة التي يقوم بها الملك المتوفى بعد الموت، والغرض من هذا الكتاب هو إمداد الملك المُتَوَفَّى بأسماء الآلهة والوحوش التي يمكن أن يصادفها في رحلته حتى يتمكن من هزيمتهم. وأقدم نسخة كاملة لهذا الكتاب وجدت في قبر تحتمس الثالث في وادي الملوك.

http://www.egyptartsite.com/hall1.html

(٣) (بدج) والس: كتاب الموتى الفرعوني، ص ١٤٣ - ١٣٧ - ٢٢٨.

والأرواح والموتى ويتولى السيادة في كل حقل إلهٌ، وينتقل إله الشمس من حقل لآخر يلقي أوامره إلى الآلهة التي توجد فيها، ويوزع الحقول بينهم.

في الساعة الأولى يهبط إله الشمس إلى الأرض ويدخل عبر الباب العظيم للأفق الغربي حتى يصل إلى آلهة العالم السفلي، وتسمى الساعة الثانية "ورنس"، وهو أكبر حقول الساعات الاثنتَيْ عَشْرَةَ، حيث يبلغ طوله حوالي ٢٠٠٠ ميل، ويستخدم الإله منذ هذه الساعة مَرْكَبًا جديدة، أما حقل الساعة الثالثة ذو مساحة مماثلة ويقطن فيه أوزوريس مع حاشيته، أما الساعتان الرابعة والخامسة فتدخل مركبُ إله الشمس إلى منطقة غريبة حيث السراديب أو مغارات الغرب السرية، حيث يسكن الإله القديم للموتى في منف، وحيث يسود الظلام، ولا يرى رع من فيها، وإن كانوا يسمعون صوته حين يلقي أوامره، وهذه المنطقة صحراء رملية لا ماء فيها وتسكنها الثعابين.

وفي الساعة السادسة تجد مركب الشمس مرة أخرى مجرى من الماء، أما الساعة السابعة فيَلُفُّ أحداثَها خطرٌ كبير، وذلك لأن تنين العواصف "أبوفس"، الذي مقره في السماء يتخذ مكانه في العالم السفلي، وفي الساعة الثامنة تنادي شتى الأرواح على الإله "رع"، أما في الساعة التاسعة فينزل مجدفو مركب إله الشمس، فيستريحوا في هذا الحقل، وفي الساعة العاشرة يستقر جُعْل بجواره، وفي الساعة الحادية عشر يتم تعذيب أعداء أوزوريس، وفي الساعة الأخيرة يخرج الإله من العالم السفلي، حيث تظهر الشمس مرة أخرى في السماء[1].

يتضح مما سبق أنه كما تعددت أسماء جهنم عند علماء التلمود كذلك تعددت أسماء العالم السفلي عند البابليين، فالاسم "كيجالو" أي باطن الأرض أو الأرض التحتية الذي أطلقه البابليون على العالم السفلي هو نفس الاسم الذي أطلقه علماء

(١) (أدولف) أرمان: ديانة مصر القديمة، ص٣١٩-٣٢٠.

- (Rabinovich) yacov: the book of what's in hell , Copyright 2005 by Invisible Books , The full text of this book is available online in PDF format, p 54.

التلمود على جهنم، كما أن "شوالو" أي السؤال الذي أطلقه البابليون على هذا العالم هو نفسه "شئول" أي الهاوية والتي هي مشتقة من الجذر "شأل" بمعنى سأل والذي أطلقه علماء التلمود على جهنم، كما أن اسم "طين الحمأة" الذي أطلقه علماء التلمود على جهنم ربما يرجع أصله إلى التصور البابلي بأن الموتى لا يطعمون سوى الوحل والطين في هذا العالم.

أما عن تصور هذا العالم فيرى علماء التلمود والمفسرون وشعوب الشرق الأدنى القديم على أن هذا العالم يقع في أعماق الأرض وأن أهم ملامحه هو الإظلام وأنه يتكون من عدد من البوابات وإن اختلف عددها من حضارة لأخرى، فعلماء التلمود يعددون بوابات جهنم بثلاث بوابات، بينما يقسم المفسرون طبقات الأرض إلى سبع طبقات، في حين يرى البابليون أن العالم السفلي يتكون من سبع بوابات، أما المصريون القدماء فيَقْسِمون بوابات العالم السفلي في نصوص التوابيت إلى ثلاث بوابات، وفي نصوص الدولة الحديثة سبع بوابات وأحياناً إحدى وعشرون بوابة.

وكما تصور المفسرون في بعض كتب التفاسير أن جهنم تشير إلى العذاب النهائي للآثمين، حيث يعذَّبون فيها لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً، ستة أشهر في حرارة شديدة، وستة أشهر في برودة شديدة، كذلك تَصَوَّرَ أتباع زرادشت أن الجحيم الذي يمثل "العالم السفلي" يشعر فيه الآثمون ببرودة شديدة وجفافٍ شديد، وكما تَصَوَّرَ علماءُ التلمود أن جهنم تشير إلى عذاب النار في الحساب النهائي، كذلك تَصَوَّرَ أتباعُ زرادشت أنه يوجد جحيمٌ آخَرُ تملؤه النيران، يقع تحت جسر جنوات في وسط الصحراء.

الفصل الخامس

بعث الموتى

المبحث الأول

فكرة بعث الموتى بين النفي والإثبات

الأدلة على بعث الموتى

تمثل فكرة إحياء الموتى في سفر دانيال مفهوماً دينياً جديداً، على الرغم من وجود إشارات واضحة لفكرة الإحياء في أسفار الأنبياء السابقين، فقد ورد في إشعياء ٢٦/ ١٩: "تحيا أمواتك وتقوم الجثث. استيقظوا ترنَّمُوا يا سكان التراب. لأن طلّك طلّ أعشاب، والأرض تسقط الأَخْيلة"، كما ورد في حزقيال ٣٧/ ١٢: "هأنذا أفتح قبوركم وأُصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل"، كما ورد في إشعياء ٦٦/ ٧-٩: "قبل أن يأخذها الطَّلْق وَلَدَتْ، قبل أن يأتي عليها المخاض وَلَدَتْ ذَكَرًا، من سمع مثل هذا؟! من رأى مثل هذا؟! هل تَمْخَض بلاد في يوم واحد، أو تُولد أُمَّةٌ دَفْعَةً واحدةً، فقد مَخَضَت صِهْيَوْنُ بل وَلَدَتْ بنيها. هل أنا أُمَخِّضُ ولا أُولد، يقول الرب، وأنا المُولد هل أُغلق الرحم يقول إلهك"، غير أن معظم الباحثين رأوا أن هذه الفقرات تشير إلى إحياء الحياة القومية اليهودية وعودتها إلى مجدها في عصري داود وسليمان بمجيء المسيح المخلص الذي ينحدر من نسل داود ولا يرتبط بإحياء الموتى من قبورهم[1].

---

(١) انظر:

- (Pfeiffer)R. h.: introduction to the old testament: Harper and raw 1948 p779.
- (Grbbe) Laser L.: Messiah and Exaltation, Mohr siebeck, 2007, p165.
- (chester) Andrew: Judaic religion in second temple, routledge, 2000, p61. =

لذلك فأول ذكر لبعث الموتى من القبور هو ما ورد في سفر دانيال، حيث ورد في دانيال ١٢/ ٢ أن الموتى سوف يبعثون من قبورهم، وفيه يفرق بين الأبرار والأشرار: "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض، هؤلاء يستيقظون إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي".

ويرى معظم الباحثين، استناداً إلى الشواهد اللغوية والتاريخية والدينية أن هذا السفر لم يدون في فترة السبي أو حتى بعد فترة السبي، بل تم تدوينه في فترة تاريخية متأخرة تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وبالتحديد في عصر أنتيوخوس ابيفانس الرابع[١]، فكاتب السفر يتحدث عن عصر مملكة اليونان حتى عام ١٦٥ ق.م وكأنه شاهد عيان ثم تتوقف الرواية التاريخية بعد ذلك، وذلك ما جعل معظم الباحثين يرجحون أن تدوين السفر قد تم عام ١٦٥ ق.م[٢].

ولذلك حاول معلمو الجمارا في مناقشات التلمود والمفسرون في كتب التفاسير تأويل جمل المقرا للتأكيد على أن أسفار المقرا قالت بفكرة إحياء الموتى، واعتمدوا في تأويل جمل المقرا على عدة طرق منها محاولة تفسيرها تفسيراً ظاهرياً، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צב א) في سياق الحديث عن العالم الآتي والمحرومين منه: "عندما سأل رابا عن السند الذي يمكن الاستدلال به على أن الموتى سوف يبعثون

= - (worth) James H. Charles: Resurrection, continuum international publishing, 2006, p24.

- (Elledge) Casey Deryl: Life after death in early Judaism, Mohr siebeck, 2006, p12.

(١) ملك يوناني حكم سوريا القديمة في الفترة من ١٧٥ ق.م- ١٦٤ ق.م، وفى أثناء فترة حكمه قام اليهود بالثورة المكابية.

(٢) - (البحراوي) إبراهيم عبد الحميد: سفر دانيال دراسة تاريخية ودينية ولغوية عبرية، رسالة ماجيستير تحت إشراف د. محمد محمد القصاص جامعة عين شمس كلية الآداب، ص ٧٤.

- (هويدي) أحمد محمود: القضايا النقدية في سفر دانيال: رسالة المشرق المجلد الثالث عشر، الأعداد من الأول إلى الرابع، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٠١.

- (Hammer) Raymond J.: The book of Daniel, Cambridge university press, 1976, p4.

من قبورهم؟! فأجاب رابينا: يمكن أن نستدل على ذلك بما ورد في دانيال ١٢/ ٢ "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض، هؤلاء يستيقظون إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي"، فقال الربي آشي: يمكن أن نستدل على ذلك من خلال ما ورد في دانيال ١٢/ ١٣ "فتستريح وتقوم لقرعتك في نهاية الأيام".

فقد اعتمد اثنان من علماء التلمود هنا على التفسير الظاهري للفقرات الواردة في سفر دانيال، السفر الوحيد بين أسفار المقرا الذي قال بإحياء الموتى، والذي يعود تدوينه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، كما حاول علماء التلمود والمفسرون إثبات أن التوراة لم تغفل فكرة إحياء الموتى وذلك باللجوء إلى تأويل جمل التوراة وتحميلها معان لم تشر إليها قط، وقد تراوحت وسائل علماء التلمود والمفسرين في تأويل نصوص التوراة بين اجتهادهم العقلي في محاولة لِبَتْرِ النصِّ عن سياقه، والاستدلال اللغوي، واستخدام طرق القياس المختلفة بين جمل التوراة، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צ ב) في نفس السياق:"سأل الربى سيماي: من أين نستدل أن إحياء الموتى جاء في التوراة؟ استناداً إلى ما ورد في خروج ٦/ ٤ "وأيضاً أقمت عهدي معهم أن أعطيهم أرض كنعان" فهو لم يقل "أعطيها لكم" (أي للمخاطبين) ولكن قال "أعطيها لهم" (أي للغائبين) من هنا يتضح أن إحياء الموتى جاء في التوراة".

فأقوال الربي سيماي كما يقول راشي في شرحه تشير إلى أن المقصود بكلمة "أعطيها لهم" أي أعطي إبراهيم وإسحاق ويعقوب (آباء بني إسرائيل) الأرض التي وعدتهم إياها عندما أبعثهم من قبورهم، وليس "أعطيها لكم" أنتم يا بني إسرائيل في حياتكم، فالربي سيماي قد أخرج بهذا التفسير الفقرة من سياقها، حيث ورد بعد هذه الفقرة في خروج ٦/ ٥ "وأنا أيضاً قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدي" فتشير هذه الفقرة إلى أن الرب كان قد نسي عهده مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبمجرد سماعه أنين بني إسرائيل في مصر تذكر عهده مع

الآباء وقرر أن يحققه مع الأبناء وأن يعطيهم (أي بني إسرائيل، وليس إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كما يزعم علماء التلمود) الأرض التي وعدهم بها.

ولقد فتح الربي سيماي الباب أمام جميع معلمي الجمارا لتأويل جمل التوراة للتأكيد على أن فكرة إحياء الموتى تمثل عقيدة راسخة في مصدر التشريع الأول (المقرا) بتأكيده على أنه لا توجد جملة في العهد القديم لا تحتوي على عقيدة إحياء الموتى، ولكن كل فقرة تحتاج إلى القدرة على إمعان النظر من أجل تفسيرها وهذا لن يتأتى إلا عن طريق التأويل الدقيق[1].

ولقد سار آخرون على درب الربي سيماي ولجؤوا إلى التأويل، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צ ב) في نفس السياق: "من أين نستدل أن إحياء الموتى ورد في التوراة؟ استناداً إلى ما ورد في سفر العدد ١٨/ ٢٨ "تعطون من الأرض نصيب الرب إلى هارون الكاهن"، وهل هارون باق إلى الأبد؟! وهل دخل هارون أرض إسرائيل حتى يعطونه التروما (نصيب الرب)؟! من هنا يتضح أنه سوف يبعث من الموت وسوف تعطيه جماعة إسرائيل التروما، وهذا دليل على أن التوراة قالت بإحياء الموتى.

فيحاول معلمو الجمارا هنا أن يُدَلِّلُوا على وجود فكرة إحياء الموتى من خلال تأويل الفقرة الواردة في سفر العدد ١٨/ ٢٨ حتى وإن أخرجوها من سياق النص، فهي تتحدث عن الأمر الذي طلب الرب من موسى أن يقوله لبني إسرائيل وهو: أن يعطوا نصيب الرب من جميع عشورهم إلى هارون الكاهن عند دخولهم أرض إسرائيل. فرأى معلمو الجمارا، بما أن هارون مات قبل أن يتحقق أمر الرب فهذه إشارة إلى تنفيذ هذا الأمر بعد بَعْثِ هارون، في حين ورد في سفر العدد، حرمان هارون من دخول أرض إسرائيل، فورد في سفر العدد ٢٠/ ٢٣-٢٨ "يضم هارون

(١) انظر: باب سنهدرين ظهر صفحة ٩٠ (סנהדרין דף צ ב).

إلى قومه، لأنه لا يدخل الأرض التي أَعْطَيْتُ لبني إسرائيل، لأنكم عصيتم قولي عند ماء مريبة"، وبالتالي أغفل معلمو الجمارا هذه الفقرة، ولم يشيروا إليها لِيُدَلِّلُوا على أن المقرا نصت على بعث الموتى.

وكثيرة هي فقراتُ التوراة التي حاول معلمو الجمارا إخراجها من سياقها، في محاولة منهم للتدليل على أن التوراة قالت بإحياء الموتى، وهذا ما يشير إليه بعض الباحثين بقولهم: "إنما انشغل الحكماء بتفسير وتأويل بعض الفقرات في أسفار العهد القديم، بل وتأويل بعض الكلمات دون أيِّ اعتبار لسياق الكلام أو البيئة المحيطة به، وربما اعتمد الحكماء في ذلك على نص المشنا باب سنهدرين الفصل العاشر التشريع الثالث والذي يمنح العلماء حريةَ تأويل نصوص الأسفار الخمسة"[1].

بل ذهب معلمو الجمارا إلى أبعد من ذلك في محاولة للإشارة إلى أن جميع صيغ المستقبل الواردة في نص التوراة إنما هي إشارة إلى إحياء الموتى، وهم يتناسون بذلك دور واو القلب التي تقلب زمن المستقبل إلى الماضي، ويتناسون أيضاً سياق الكلام، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צא ב) في نفس السياق السابق: "ورد في (برايتا): أن الربي ميئير[2] يقول من أين جاء أن إحياء الموتى من التوراة؟ مما ورد في سفر الخروج ١/ ١٥ "حينئذ ينشد موسى وبنو إسرائيل نشيداً للرب" فقد ورد ينشد (في المستقبل) وليس أَنْشَدَ (في الماضي) نستدل من ذلك أن إحياء الموتى ورد في التوراة، كما قال الربي يهوشع بن ليفي: من أين جاء أن إحياء الموتى ورد في المقرا؟ استناداً إلى ما ورد في مزامير ٨٤/ ٤ "طوبى للساكنين في بيتك أبداً يُسَبِّحُونَكَ" فقد ورد يُسَبِّحُونَكَ (في المستقبل) ولم يرد سَبَّحُوكَ (في الماضي)، نستدل من ذلك أن إحياء الموتى ورد في المقرا".

(1) (Moore).g.f: Judaism in the first centuries of Christian era, Hendrickson publishers , 1997 , p 389.

(٢) ينتمي إلى الجيل الرابع من التنائيم.

في حين يرفض بعض معلمي الجمارا تلك الطريقة في تأويل النص، ويرون أن صيغ المستقبل الواردة في العهد القديم تدل على الماضي، فورد في نفس الشاهد السابق: "من أين نستدل أن المقرا قالت بإحياء الموتى؟ مما ورد في يشوع ٨/ ٣٠ "عندئذ يبنى يشوع مذبحاً للرب" فلم يرد: "بَنَى" (في الماضي) ولكن ورد: "يَبْنِى" (في المستقبل) نستدل من ذلك أن إحياء الموتى ورد في المقرا، والآن بما أنك قلت ذلك فهل هذا ينطبق على ما ورد في ملوك أول١١/ ٧ "عندئذ يبنى سليمان مرتفعة كموش رجس المؤابيين" فلقد ورد: "يَبْنِى" (في المستقبل) ويقصد: "بَنَى" (في الماضي)"، أي إن هذا يدحض ما قاله العلماء في هذا الشأن.

ولقد سار المفسرون في كتب التفاسير على نهج معلمي الجمارا في تأويل النص، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقاموا بإخراج الكلمة من سياقها، فورد في تفسير سفر التكوين الكبير (בראשית רבא פרשה כ פסקה י): "ورد في تكوين ٣/ ١٩ "لأنك تراب وإلى التراب تعود" فقال الربي شمعون بن يوحاي: هذه إشارة إلى أن إحياء الموتى تم النص عليه في التوراة، فلم يرد "لأنك تراب وإلى التراب تذهب" ولكن ورد "لأنك تراب وإلى التراب تعود". محاولين بذلك أن يُدَلِّلُوا على أن معنى العودة في هذه الفقرة هي العودة إلى الحياة بعد الموت، في حين أنها تعني في سياق الجملة الموت وليس البعث.

كما لجأ معلمو الجمارا إلى القياس، لكي يبرهنوا على وجود فكرة إحياء الموتى في المقرا، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צא ב) في سياق الحديث عن العالم الآتي وتكرر ذلك في باب الفصح (פסחים סח א) عندما تساءل بعض العلماء عن تفسير لهذا التناقض الموجود بين بعض الفقرات في المقرا: "قال رابا: ورد في سفر التثنية ٣٢/ ٣٩ "أنا أُمِيتُ وأُحْيِي" وورد في نفس الفقرة "سَحَقْتُ وإني أُشفي"، قال الرب: لأنني أُمِيتُ، فأنا أُحْيِي، ثم قال وبما أنني أُحطم، فأنا أَشْفِي، ولقد ذكر العلماء أن فقرة " أنا أُميت وأُحيي" يمكن أن تفسر على أنه يميت شخصاً ويحيي شخصاً آخر

كما هو معتاد في الدنيا ولكن من خلال الفقرة الأخرى أراد أن يعلمنا أن الابتلاء والشفاء لشخص واحد، إذن فإن فقرة "أنا أميت وأحيي" تعني أن الموت والبعث لشخص واحد، وفي ذلك إجابة على السؤال: "هل التوراة ذكرت إحياء الموتى؟!".

فعلماء التلمود والمفسرون حاولوا أن يبرهنوا على أن التوراة قالت بإحياء الموتى فلجؤوا إلى التفسير الظاهري في موضع، والتأويل في معظم المواضع، ومنهم من بالغ في هذا التأويل، وعلى الرغم من ذلك يرى معظم الباحثين أن فكرة إحياء الموتى هي فكرة دخيلة على اليهودية نتيجة تأثر مباشر بالديانة الزرادشتية[1].

نفي فكرة البعث

يرى معظم الباحثين أن فكرة إحياء الموتى تعتبر نتاج خلاف طائفي بين فرقة الفريسيين[2] والصدوقيين، فورد في كتابات يوسيفوس[3] فقرتان تشيران إلى إيمان

---

(١) انظر:

- (Masumian) Farnaz: Life after death, Kalimate press ,2002, p24.
- (Boyce) Mary: Zoroastrians, Routledge, 2002, p28.
- (Cker) Richard Longene: Life in the face of death,WMB Eerdmans, 1998, p47.
- (Harding) Mark: Early Christian life and thought in social context, Continuum international group, 2003, p319.

(٢) الفريسيون (פרושים) طائفةٌ من علماء الشريعة من الربيين، كانت لهم الكلمة العليا في توجيه بني إسرائيل، ويظهر ذلك في التلمود في باب النكاح (قدوشين) وجه صفحة ٦٦، وكانت هذه الفرقة على خلاف دائم مع فرقة الصدوقيين، ومعظم الخلافات التي وردت في التلمود بين الفريسيين والصدوقيين تتعلق بنظام الخدمة في الهيكل، وكان بينهم خلافات عقدية منها أن الصدوقيين لا يؤمنون بالبعث ولا الحساب ولا الثواب والعقاب ولا يؤمنون بالملائكة. في حين ورد مصطلح (פרושים) في باب الجانحة الفصل الثالث، التشريع الرابع للإشارة إلى جماعة كانت تعتزل الناس وأنهم سبب هلاك العالم، وقد يكون المقصود بهذه التسمية طائفة قمران "الأسينيون". (انظر: (أبو المجد) ليلى إبراهيم: كيف أصبح جبريل عدوًّا لليهود، ص ٢٢).

(٣) يوسف بن متتياهو مؤرخ يهودي عاش في الفترة من ٣٧م إلى ١٠٠م واشتهر باسم يوسيفوس، وهو ينتمي إلى أسرة المكابيين، ومن أهم مؤلفاته: מלחמות היהודים – קדמוניות היהודים – חיי יוסף – נגד אפיון.

(חננאל) מאק: כתבי יוסף בן מתתיהו ישראל. ההוצאה לאור משרד הבטחון. תשנ"ג.

الفريسيين بإحياء الموتى، فالفقرة الأولى تشير إلى أن جميع الأرواح لا تَفْنَى فأرواح الأتقياء تنسخ في جسد جديد لتحيا من جديد، أما أرواح الآثمين فتُعذب، وربما تعتبر الفقرة الثانية هي الأكثرَ وُضُوحًا واكتمالاً، حيث تشير إلى أن جميع الأرواح ستحظى بالخلود، كما أنها تثاب وتعاقب تحت الأرض وَفْقًا لما اقترفته من رذيلة أو فضيلة في الحياة، فالآثمون يحكم عليهم بالحبس الأبديِّ، أما الأتقياء فيبعثون ويعودون إلى الحياة مرة أخرى، وبسبب هذا الاعتقاد في وجود بعث لجثث الموتى، أصبح للفريسيين التأثير الأكبر على الجمهور، حيث أصبحت جميع الأمور الدينية تسير وَفْقًا لآرائهم(1).

في حين أنكر الصدوقيون فكرة إحياء الموتى إنكاراً تامًا، وأشاروا إلى أن كل من يؤمن بتلك الفكرة آثم فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צא א): "قال الصدوقيون لأحد معلِّمِي الجمارا (الأمورائيم) وهو "جبيها بن بسيسا": "ويل لك أيها الآثم، يا من تقول: إن الموتى سوف يبعثون، فإذا كان الأحياء يموتون فهل يقوم الموتى؟! فرد عليه (جبيها بن بسيسا): ويل لك أيها الآثم، يا من تقول إن الموتى لا يبعثون، فإن لم يكن هناك إحياءٌ فمن سيحيا".

وقد دار خلاف شديد بين الصدوقيين ومعلمي الجمارا (الأمورائيم) في مناقشات التلمود، حاول الصدوقيون من خلالها تفنيد ما يقوله معلمو الجمارا، بأن العهد القديم أثبت إحياء الموتى، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צ ב) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي: "سأل الصدوقيون (المينيم)(2) الربى جمليئيل: أين جاء أن الرب تبارك يحيي الموتى، فقال لهم: في أسفار التوراة وفي أسفار الأنبياء وفي أسفار المكتوبات، في التوراة في سفر التثنية ٣١/١٦ "وقال الرب لموسى

---

(1) - (Moore).g.f: Judaism in the first centuries of Christian era , 318.

(٢) انظر: هامش ص ٣.

هأنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر"، (فرد الصدوقيون): قد يقصد بذلك أن الشعب هو الذي يقوم ويفجر.

وفي أسفار الأنبياء فى سفر إشعياء ٢٦/ ١٩ "تحيا موتاك تقوم الجثث، استيقظوا تَرَنَّمُوا يا سكان التراب لأن طلك طل أعشاب، والأرض تسقط الأخيلة" (فرد الصدوقيون): قد يكون المقصود في تلك الفقرة الموتى الذين بعثهم حزقيال[1].

وفي أسفار المكتوبات فى سفر نشيد الأنشاد ٦/ ١٠ "وحنكك كأجود الخمر (فاذهب) لحبيبي السائغة المُرَقْرِقَةُ السائحة على شفاه النائمين"، (فرد الصدوقيون): قد يكون المقصود في الفقرة هو أن تتحرك شفاة النائمين فقط وليس البعث.

وعندما رفض الصدوقيون هذه الشواهد وقالوا: إنها ليست دليلاً على أن إحياء الموتى جاء في المقرا، لجأ علماء التلمود إلى بعض الأدلة العقلية لإقناع الصدوقيين بذلك، فَاستدلوا على ذلك بأن عملية خلق البشر أصعب بكثير من عملية بعثهم بعد الموت، ولقد اعتمدوا في دليلهم هذا على أحد معايير التلمود وهو

---

(١) ورد في الأصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال أن الرب جاء بحزقيال إلى غور به عظام جافة، وجعله يلتف حول هذا الغور ليشاهد تلك العظام، ثم أمره الرب بأن يخاطب تلك العظام ويطلب منها أن تقوم بأمر الرب الذي سيمدها بالأربطة ثم يكسوها لحماً ثم يغطيها بالجلد ثم يَبُثُّ فيها الروح، فتحقق ما قال ودبت الروح في العظام.

ولقد رأى المفسرون أن نبوءة "العظام اليابسة" يمكن تفسيرها على وجهين مختلفين أحدهما ظاهري يرى أن هذه النبوءة تشير إلى بعث الموتى في أيام المسيح، والآخر مجازي يرى أن هذه النبوءة تشير إلى عودة بني إسرائيل من المنفى وإقامتهم في فلسطين إلى الأبد، وأن العظام اليابسة تشير إلى حال بني إسرائيل في المنفى، وعودة الحياة إلى تلك العظام إنما هي عودتهم إلى فلسطين، في حين لم يتعرض علماء التلمود إلى تفسير تلك النبوءة بينما حاولوا التعرف على أصحاب تلك العظام اليابسة، ففريق من معلمي الجهارا قال: إنها عظام أبناء إفرايم الذين أحصوا موعد الآخرة وضلوا، وفريق آخر قال: إنها عظام أبناء آدم الذين أنكروا فكرة إحياء الموتى، وفريق ثالث قال: إنها عظام الموتى المدفونين في غور "دورا" (باب سنهدرين ظهر صفحة ٩٢).

معيار "السهل الصعب"[1] فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צא א) في نفس السياق: "سأل أحد الصدوقيين الربي آمي: هل الموتى سوف يبعثون بعدما يتحللون ويصيرون تراباً، فهل يعود التراب إلى الحياة؟ فقال له الربي (آمي): أَضْرِبُ لك مَثَلاً: مَلِكٌ من البشر قال لعبيده أن يبنوا له قصراً في مكان ليس به ماء وتراب (أي المادة التي خلق منها البشر)، فذهبوا وبَنَوُا القصر في مكان ليس به ماء وتراب، وبعد أيام انهار القصر، فقال لهم: اذهبوا وابنوا لي قصراً في مكان به ماء وتراب (يرمز إلى إحياء الموتى)، فقالوا له: لن نستطيع! فغضِب عليهم وقال لهم: في المكان الذي لم يوجد به الماء والتراب تمكنتم من بناء القصر، فالأولى أن تستطيعوا بناءه مع وجود الماء والتراب، وإذا لم تقتنع بهذا المَثَل (أيها الصدوقي) فاخرج إلى السهل، وشاهِدِ الفأر الذي هو اليوم نصفه تراب ونصفه لحم غداً يتكاثر ويتحول بأكمله إلى لحم (فالرب يكسوه اللحم)، وتظن أن الأمر استغرق وقتاً طويلاً، ثم اصعد إلى

(١) معيار السهل والصعب "קל ו חומר": هو معيار من المعايير الأساسية التي تستخدم فى استنباط أحكام من المقرا، ويدرج ضمن جميع أنواع المعايير (سواء المعايير السبعة لهليل الكبير أو سواء المعايير الثلاثة عشر للربي يشمعائيل) وهو معيار منطقي بسيط يقارن بين أمرين أحدهما صعب (مهم) والآخر سهل (بسيط)، ونتعلم من هذا المعيار أن الأمر السهل هو الذي يعد سهلاً سواء وجد صعب أو فى أمر سهل، وإن الأمر الصعب هو الذي يعد صعبًا سواء وجد في أمر سهل أو فى أمر صعب. وهذا المعيار موجود فى المقرا، ومن أمثلته ما جاء فى أرميا ١٢/ ٥:"إن جريت مع المشاة فاتْعَبوك. فكيف تسابق الخيل؟" وكذلك ما جاء في تكوين ٤٤/٨ "هو ذا الفضة التي وجدنا في أفواه عدالنا رددناها إليك من أرض كنعان، فكيف نسرق من بيت سيدك فضة أو ذهباً؟"، وقد استخدم علماء التلمود هذا المعيار كثيرًا، وأطلقوا عليه لشيوعه اسم "الحكم" أو "الأولى" ويعنى كل استنتاج يتم التوصل إليه عن طريق المنطق، ومن الممكن الاعتراض على هذا المعيار إذا ثبت أن الأمر ليس سهلاً أو صعبًا فى جميع جوانبه، ولا يستخدم فى القياس على أمر نهجه موسى فى سيناء ولم يرد صراحة فى التوراة، ولا يستخدم فى قياس أمر فى التوراة على أقوال العلماء، كما أنه لا يستخدم فى الحكم على أقوال العلماء ("שטיינזלץ" עדין: מדריך לתלמוד، דף ١٣٢).

الجبل وشاهد أنه اليوم ليس فوقه هيكل عظمي واحد، وغداً تسقط الأمطار ويمتلئ بالهياكل".

ورغم ذلك لم يقتنع الصدوقيون بفكرة إحياء الموتى؛ لذلك قَرَّرَ معلمو الجمارا أنهم لن يكون لهم نصيب في العالم الآتي، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צ ב): "ورد في (برايتا): "قال الربى إليعزر بن الربى يوسى للصدوقيين: لقد أسأتم إلى التوراة ولم تستفيدوا شيئاً عندما قلتم: إن إحياء الموتى ليس من التوراة، فلقد ورد في عدد ٣١/ ٢٥ " قطعاً تقطع تلك النفس وذنبها عليها" فإن نفسه تقطع قطعاً فى هذا العالم، ومتى يكون ذنبها عليها؟ يكون ذنبها عليها فى العالم الآتي".

ونظراً إلى العداوة التي كان يُكِنُّهَا الفريسيون للسامريين[1]، فقد وَضَعَهُمُ المفسرون في كتاب تفسير تنحوما في منزلة من ينكرون إحياء الموتى، وبالتالي تمَّ

(١) السامريون أو الكويتيم كما يطلق عليهم فى المشنا والجمارا (التلمود) شعب أو سبط، أقام بعد العودة من السبي البابلي فى القرن الخامس ق.م. فى جبل شومرون وكانت عاصمتهم (نابلس)، وهم يقيمون الآن فى شكيم وحولون، والسامريون - وفقاً للراوية السامرية- جزء من بنى إسرائيل، فهم من نسل يوسف عليه السلام، وهم المحافظون على شريعة موسى وتراث بنى إسرائيل وهم يربطون بين الاسم الذي يسمون به "شومرونيم" وكلمة "شومريم" التي تعني المحافظين أو الحراس، ويقولون: إن الأصل فى اسمهم يعنى أنهم الحراس على شريعة موسى عليه السلام. والسامريون - كما يراهم علماء المشنا والتلمود - وهى النظرة السائدة بين اليهود فى عصرنا الحاضر، وقد بَنَوْها على ما جاء في سفر الملوك الثاني الأصحاح السابع عشر، فهم ليسوا من بني إسرائيل ولكنهم سبايا جاء بهم ملك آشور إلى السامرة سنة ٧٢٢ ق.م من مدن بابل وكوتا وحماة وسفراويم، بعد أن سبى أهل السامرة إلى آشور، وهو ما يعرف فى التاريخ بالسبي الآشوري، وجاء فى سفر الملوك: إن هؤلاء السكان الذين جيء بهم إلى السامرة كانوا من عَبَدَة الأوثان؛ ولذلك أرسل الرب عليهم السباع، فأمر ملك آشور أن يؤتى لهم بكاهن من كهنة بنى إسرائيل كي يعلمهم شريعة الرب، وحتى يصرف الرب عنهم السباع (سفر ملوك ثاني ١٧/ ٢٥-٣٠). وبناءً على ما سبق فقد أطلق علماء المشنا على السامريين اسم " كوتيم " أي أهل كوت؛ لينفوا بذلك عنهم صفة بنى إسرائيل، أو الانتساب إلى بنى إسرائيل، واعتبروهم من "الجوييم" أي غير اليهود. (انظر: (أبو المجد) ليلى إبراهيم: كيف أصبح جبريل عدوًا لليهود؟ ص٥٣).

حرمانهم منَ البعث، ولكن لم يشر النص إلى أنهم أنكروا فكرة إحياء الموتى من عدمه، فورد في تفسير تنحوما (מדרש תנחומא פרשת וישב סימן ב) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تكوين ٣٧/ ٣ "وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته": "شرعنا أن من يأكل كسرة خبز من سامري فكأنما أكل لحم خنزير؟ ولا يتهود سامري في إسرائيل لأنه لن يكون له نصيب في إحياء الموتى، استناداً إلى ما ورد في عزرا ٤/ ٣" ليس لكم ولنا أن نبني بيتًا لإلهنا " كما ورد في نحميا ٢/ ٢٠: "أما أنتم فليس لكم نصيب ولا حق ولا ذكر في أورشليم".

ولم يتوقف علماء التلمود عند بعض الفرق اليهودية التي يعادونها مثل الصدوقيين والسامريين ليُصَوِّرُوها على أنها من الفرق التي أنكرت فكرة إحياء الموتى، بل أشاروا إلى أن هناك بعضَ الشخصيات التي يعادونها أيضاً، مثل عيسو الأخ الأكبر ليعقوب أنه أنكر إحياء الموتى، فورد في باب "الباب الأخير" (בבא בתרא טז ב) عندما تطرق النقاش بين علماء التلمود إلى أقسام العهد القديم أي أسفار: توراة والأنبياء والمكتوبات: "قال الربي يوحنان: إن عيسو الآثم ارتكب خمسة آثام في يوم واحد وهي: ضاجع صبية مخطوبة، قتل نفساً، أنكر وجود الخالق، أنكر إحياء الموتى، احتقر البكورية. ضاجع امرأة مخطوبة، استناداً إلى ما ورد في تكوين ٢٥/ ٢٩ "فأتى عيسو من الحقل"، وقد ورد في تثنية ٢٢/ ٢٧ "إنه في الحقل وجدها"، قتل نفساً، استناداً إلى ما ورد في إرميا ٤/ ٣١ "ويل لي لأن نفسي قد أغمى عليها بسبب القاتلين"، أنكر وجود الخالق، استناداً إلى ما ورد في خروج ١٥/ ٢ "هذا إلهي فأُمَجِّدُهُ"، أنكر إحياء الموتى، استناداً إلى ما ورد في تكوين ٢٥/ ٣٢ "هأنا ماضٍ إلى الموت"، واحتقر البكورية، استناداً إلى ما ورد في تكوين ٢٥/ ٣٤ "فاحتقر عيسو البكورية". يتضح من النص أن الآثام التي حاول علماء التلمود إلصاقها بعيسو لم يَرِدْ لها سَنَدٌ في المقرا، فالفقرات التي استند إليها العلماء ليس لها علاقة بعيسو ما عدا كونه احتقر البكورية، فورد في المقرا أنه عندما عاد عيسو من الحقل متعبًا، كان لدى

يعقوب أخيه طبيخ، فقال له عيسو: أطعمني من هذا الطبيخ، فقال له يعقوب: بعني بكوريتك في مقابل أن أطعمك منه، فقال له عيسو: إن مصيري الموت فما فائدة البكورية، فباع له عيسو بكوريته (تكوين ٢٥ / ٢٩-٣٤). فيرى علماء التلمود أن عودة عيسو من الحقل متعبًا يشير إلى أنه ضاجع امرأة مخطوبة، فحاولوا أن يربطوا بين عودته من الحقل والتشريع الوارد في تثنية ٢٢/ ٢٧ الذي يتحدث عن المرء الذي يجد امرأة مخطوبة في الحقل ويضطجع معها فعقوبته القتل، فليس هناك علاقة بين هذا التشريع وعيسو سوى تكرار كلمة "الحقل" في الموضعين، كما يرى علماء التلمود أن عيسو عندما قال: إن مصيري الموت، فهو بذلك يعتقد أن الموت هو المصير الذي لا تتبعه حياة أخرى، وبالتالي فهو لا يؤمن بإحياء الموتى، كما أخرج علماء التلمود الفقرة الواردة في إرميا ٤/ ٣١ من سياقها ليدللوا على أن عيسو قتل نفسًا فقد وردت هذه الفقرة في سياق الحديث عن صِهْيَوْنَ، فورد: "صوت ابنة صِهْيَوْنَ تزفر، تبسط يديها قائلة: ويلٌ لي لأن نفسي قد أغمي عليها بسبب القاتلين"، كما أن الفقرة التي استند إليها علماء التلمود والواردة في سفر الخروج ١٥/ ٢ وردت في سياق تمجيد موسى وبني إسرائيل للرب، وليس هناك علاقة بين هذه الفقرات وعيسو. ولقد كرر المفسرون ما أشار إليه علماء التلمود في أكثر من موضع وذلك من خلال عقد مقارنة بين يوسف الابن المحبب ليعقوب وعيسو الأخ الأكبر ليعقوب، فقالوا إن عيسو أنكر فكرة إحياء الموتى في حين اعترف يوسف بإحياء الموتى، حيث ورد في تفسير تنحوما (מדרש תנחומא פרשת כי תצא סימן י) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تكوين ٢٥/ ٣٤ "فاحتقر عيسو البكورية": "ورد في تكوين ٢٥/ ٢٨: "فأحب إسحق عيسو" لذلك انحرف عن الطريق المستقيم لأنه لم يعاقبه، وكما شرعنا أن عيسو الآثم ارتكب خمسه آثام في ذلك اليوم وهي: ضاجَعَ صبيةً مخطوبة، قَتَلَ نفساً، أَنْكَرَ إحياء الموتى، أَنْكَرَ وجود الخالق، احتقر البُكُورة، بالإضافة إلى أنه كان يتمنى موت أبيه، وأراد قتل أخيه، لقد اعترف يوسف بإحياء الموتى، استناداً إلى ما ورد في تكوين

٥٠/ ٢٤ "ولكن الله سيفتقدكم" وعيسو أَنْكَرَ إحياء الموتى، استناداً إلى ما ورد في تكوين ٢٥/ ٣٢ "هأنا ماضٍ إلى الموت"[١].

كما ورد ذلك في تفسير سفر الخروج الكبير (שמות רבא פרשה תולדות פסקה ז') في سياق تفسير الفقرة الواردة في تثنية ٢٥/ ١٨ "كيف لَقِيَكَ في الطريق وقطع من مؤخرك؟!": "ورد في تكوين ٢٥/ ٣٤ "فاحتقر عيسو البكورية" وماذا احتقر عيسو مع البكورية؟ قال الربي ليفي: (يفهم من هذه الفقرة) أنه احتقر إحياء الموتى".

كما أشار علماء التلمود إلى أن أيوب أنكر إحياء الموتى في محاولة منهم لنفي فكرة أن التوراة لم تَنُصَّ على فكرة إحياء الموتى، فورد في باب "الباب الأخير" (בבא בתרא טז א) في سياق الحديث عن أقسام العهد القديم: "ورد في أيوب ٧/ ٩ "السحاب يضمحل ويزول، هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد" فقال رابا: نستدل من هذه الفقرة أن أيوب قد أنكر إحياء الموتى".

وكما صَوَّرَ علماء التلمود والمفسرون بعض الفرق اليهودية وبعض الشخصيات اليهودية بأنها أنكرت إحياء الموتى، كذلك صَوَّرُوا الآخر (غير اليهودي) المتمثل في الرومان بأنهم أنكروا إحياء الموتى، فيتضح من مناقشات التلمود أن الرومان ليسوا على قناعة بفكرة إحياء الموتى وذلك من خلال الحوارات التي سجلتها صفحات الجمارا، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צ ב): "عندما سأل الرومان الربى يهوشع بن حنينا: في أيِّ موضع في التوراة وَرَدَ أن الرب يُحْيِي الموتى ويعلم ما سيحدث في المستقبل (الغيب)؟ قال لهم: نستدل على ذلك مما ورد في سفر التثنية ٣١/ ١٦ "وقال الرب لموسى هأنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر"، (فرد الرومان): قد يكون المقصود أن الشعب سوف يقوم ويفجر، (فقال لهم): في هذه

(١) מדרש תנחומא כי תצא פרק י: تفسير تنحوما (مدراش تنحوما) "عندما تخرج" الفصل العاشر.
שמות רבא פרשה מ פסקה ב: الخروج الكبير (شموت ربا) فصل ٤٠ فقرة ٢.

الحالة أكون قد أجبتُ على نصف السؤال ويتضح من هذه الفقرة أن الرب يعلم ما سيحدث في المستقبل".

وعندما رفض الرومان هذه الشواهدَ كما رفضها الصدوقيون وقالوا: إنها ليست دليلاً على أن إحياء الموتى جاء في المقرا، لجأ علماء التلمود إلى بعض الأدلة العقلية لإقناع الرومان بذلك، فدللوا على أن عملية خلق البشر أصعب بكثير من عملية بعثهم بعد الموت، ولقد اعتمدوا في دليلهم هذا على أحد معايير التلمود وهو معيار "السهل الصعب"، فورد في نفس الموضع في سنهدرين (סנהדרין דף צא א): "قال الإمبراطور الروماني للربي جمليئيل: ورد أن الموتى سوف يُبْعَثُونَ، فهم يتحولون إلى تراب، فهل يعود التراب إلى الحياة؟ فقالت له ابنته: دعني أُجِبْ! يوجد في مدينتنا صانعان، أحدهما يستخدم الماء في صناعته، والآخَرُ يستخدم الطين في صناعته، فأيهما الأكثر إبداعًا؟! فقال لها: من يستخدم الماء في صناعته، فقالت له: إذا كان (الرب) يخلق (الإنسان) من الماء (النطفة)، فالأَوْلَى أن يسهل عليه أن (يحييه) من الطين مرة أخرى".

فكرة البعث بين النفي والإثبات في نصوص الشرق الأدنى القديم

أما عن وجود فكرة بعث للموتى في النصوص التي خَلَّفَتْهَا الحضارة اليونانية، فيرى العديد من الباحثين أن هوميروس لم يُشِرْ في أعماله إلى فكرة البعث الجسدي أو مجرد العودة إلى الحياة مرة أخرى، فجميع الموتى كما أشرتُ سابقاً يهبطون إلى "هاديس"، أي: العالم السفلي ويقيمون فيه إلى الأبد، فلم ير هؤلاء الباحثون في أسطورة "ديونيسوس" وأسطورة "بيرسيفوني" التي تتحدث عن الإله الميت وعودته إلى الحياة مرة أخرى أية إشارةً إلى البعث الجسدي[1].

(1) - (Cker) Richard Longene: Life in the face of death , WMB Eerdmans , 1998 , p74.
- (Copan) Paul: Passionate conviction , Band H. publishing group , 2007 , p 124.

كما يرى العديد من الباحثين أن الفلاسفة اليونان بشكل عام رفضوا فكرة البعث الجسدي، نظراً إلى أنها فكرة تتعارض مع آمالهم، فكانت الفلسفة اليونانية تقوم على فكرة التحرر من قيود الجسد وذلك بالموت[1]، بل لقد أشار بعض الباحثين إلى أن الفلسفة اليونانية كان لها تأثير كبير على فرقة الصدوقيين في إنكارهم فكرة البعث الجسدي[2].

بينما تظهر فكرة بعث الموتى في النصوص التي خَلَّفَتْهَا **الديانة الزرادشتية**، فيرى بعض الباحثين أن نصوص الجاثا التي تمثل أقدم نصوص الأفستا تشير إلى وجود فكرة إحياء الموتى ،فَقَدَ ورد في يسنا: ٤٣/ ٧: "يا أيها الحكيم، يا أيها الروح المقدسة، يا خالق الثور والماء والنبات، امنحني الخلود والسلامة والقوة والقدرة مع العقل الواعي عند الحساب"، فيرى هؤلاء الباحثون أن تلك الفقرة تشير إلى بعث الموتى، بينما ينفي البعض الآخر وجود فكرة بعث الموتى في تلك النصوص، ويشيرون إلى أن أول ظهور لتلك الفكرة بشكل واضح ورد في نصوص الياشت، حيث ورد أن الموتى سوف يبعثون عندما يأتي "ساوشيانط" أي "المخَلِّص" الذي يعيد الحياة في آخر الزمان وبعدها لن يكون هناك موت إلى الأبد[3].

في حين يرى بعض الباحثين أن **النصوص الأوجاريتية** التي خَلَّفَتْهَا الحضارة الكنعانية أشارت إلى وجود بعث للموتى، وذلك من خلال أسطورة الإله بعل، إذ جاء فيها أنه مات ثم بُعث من جديد، فورد في النصوص الأوجاريتية أن الإله بعل

(1) (Ellias) Peter. F: Pauline Letters , Liturgical press , 1982 , p41 .
- (Hoekema) Anthony: The Bible and The future , WM.B Eerdmans , 1979 , p247.

(2) (Jacobs) Louis: A Jewish Theology , Behrman house INC , 1973 , p 307.

(3) (Charlesworth) James H.: Resurrection, Continuum international publishing group , 2006 , p221.
- (Bremmer) Jan. M: The rise and the fall of after life, Routledge publisher, 2002, p49.
- (Jong) Albert De: Traditions of Magi, Brill , 1997, p60.

عندما ابتلعه الإله "موت" تم الإعلان عن موت الإله بعل: "مات العظيم بعل، هلك سيد الأرض"، ثم دفنته الإلهة عنات وقامت بطقوس الحداد عليه هي والإله إيل، وبعد موته أصبحت الأرض جافَّة لأن بعل قد أخذ الأمطار معه إلى العالم السفلي، وفي نهاية الأسطورة يرى الإله إيل المطر يسقط من السماء، فيعلن أن "بعل العظيم حي، سيد الأرض موجود" وأخيراً يعتلي الإله بعل عرشه في السماء، كما يرى هؤلاء الباحثون أن هذه الأسطورةَ كان لها تأثيرٌ في ظهور فكرة إحياء الموتى في نصوص المقرا وبالأخص في سفر إشعياء (٢٦/ ٢٩)، وفي سفر دانيال[1]: ٢/ ١٢.

بينما ينفي فريق آخَرُ من الباحثين فكرة موت وبعث الإله بعل، فهم يرون أن جملة "بعل العظيم حي" لا تشير من قريب أو بعيد إلى أن الإله بعل قد بُعِثَ، فالإله بعل قدِ اختفى أو هبط إلى العالم السفلي، ثم ظهر أو صعد من جديد إلى العالم العلوي، وبالتالي ينفي هؤلاء الباحثون وجود فكرة البعث في النصوص الأوجاريتية[2].

أما عن وجود فكرة بعثٍ للموتى في النصوص البابلية والآشورية فيرى بعض الباحثين أن الصفات التي وصف بها الإله مردوك بأنه "يعيد الموتى إلى الحياة" إنما هي إشارة واضحة إلى وجود فكرة بعث للموتى في هذه النصوص[3]، في حين ينفي العديد من الباحثين وجود فكرة بعث للموتى في النصوص التي خَلَّفَتْهَا الحضارة البابلية والآشورية، فهم يرون أنه لا يجوز أن تُضَلِّلَنَا الصفات التي منحت إلى الإله

---

(1) -(Mason) Rex, (Bart) John, (Reimer) David James: After the exile, Mercer university press, 1996, p 235.

- (Charlesworth) James H.: Resurrection , p22٠.

- (day) John: Yahweh and gods and goddesses of Canaan, Continuum international, 2002 , p117.

(٢) – المرجع السابق ص 117.

- (Smith) Mark: the Ugaritic Baal cycle:, Brill publisher ,1994 , p71.

(3) (Unal) Ali and (Gulen) Fethullah: the resurrection and after life, Tughra books, 2006, p136.

"مردوك" و"جولا" و"نينيب"، بوصفهم "من يعيدون الموتى إلى الحياة"، ونعتقد أن هذه إشارة إلى أن الموتى يعودون إلى الحياة ويخرجون من "الآرالو"، فهذه الصفات منحت لهؤلاء الآلهة بغرض محاولة التخلص من الأمراض، أو بغرض مناشدة تلك الآلهة للتخلص من الشياطين والأرواح الشريرة، فكان كلٌّ منَ الإلهين "جولا" و"نينيب" يُنظَر إليهما على أنهما آلهة الشفاء، كما كان ينظر إلى "مردوك" وكذلك "نينيب" على أنهما آلهة شمسية، يمثلان فصل الربيع الذي يمثل إحياء للطبيعة، وهذا من وجهة نظرهم دليل على أنه لا يمكن لأي إله أن يعيد الموتى إلى الحياة(1).

فنصوص بلاد الرافدين لم تتحدث عن بعث جسدي، إنما تحدثت عن خلود للروح، حيث أشرتُ في الفصل الأول من هذه الدراسة(2) إلى أن البابليين اعتقدوا أن البشر خُلِقُوا من الطين الذي نَفَخَ فيه الإله "نَفَسَ الحياة" كما ورد في النصوص البابلية والآشورية التي تروي كيفية خلق البشر: "منحوا البشر نفس الحياة". أو من الطين الممزوج بدم إله تمَّتِ التضحية به من أجل هذه الغاية، فورد في النصوص البابلية والآشورية التي تروي تاريخ البشرية من الخليقة وحتى الطوفان: "وبفضل دم الإله أضيفت "نفسٌ" إلى البشر بحيث تُثبِتُ أنهم أحياءُ دوماً بعد موتهم وهذه "النفس" كانت حاضرة هنا لحفظهم من النسيان"(3).

في حين تشير النصوص الجنائزيةُ المصريةُ القديمة إلى وجود فكرة بعث جسدي للموتى، حيث تعكس أسطورة ولادة أوزوريس وموته وبعثه تلك الفكرةَ، ففي الجزء الخاص بقتله وعودته إلى الحياة تشير الأسطورة إلى أنه على الرغم من أن "ست" قد قطع جسد أوزوريس إلى ٤٢ جزءًا، وقام بإلقائها في جميع أنحاء البلاد،

---

(1) (Jastrow) Morris: The religion of Babylonian and Assyria, ginn and combing, volume 2, 1893, p333.

(٢) انظر ص ٢٣.

(٣) انظر الفصل الأول ص ٢٢.

بحيث يصعب إعادة الحياة إليه مرة أخرى، فقد جمعت إيزيس أجزاءه مرَّةً أخرى ثم أعادت بسحرها روحه إلى جسده، فعاد إلى الحياة مرة أخرى[1].

ويرى العديد من الباحثين أن المصري القديم اعتقد أن الإنسان الميت سوف يلقى نفس المصير الذي لَقِيَهُ أوزوريس، فكما أن أوزوريس أُخِذَ من الحياة بدون رغبته ثم عاد إلى الحياة مرة أخرى كذلك الإنسان سيعود إلى الحياة مرة أخرى ويتضح ذلك من خلال نصوص الأهرامات فورد في بَرْدِيَّةِ أوناس[2]: "قلبك لك يا أوزوريس، قَدَمُكَ لكَ يا أوزوريس، ذراعاك لك يا أوزوريس، كما أن قلبُ أوناس له، وقدم أوناس له، وذراع أوناس له".

يتضح من خلال النص السابق أن قلبَ وقدمي وذراعَ أوزوريس قد انفصلت عنه عند موته، وأنها رُدَّتْ إليه مرة أخرى عند البعث، كذلك الموتى سوف تُبعث أجسادهم كما بعث أوزوريس، فورد في نصوص الأهرامات: "انهض أيها الملك إنك قد رُدَّتْ إليك رَأْسُكَ، وَرُدَّتْ إليك عظامُكَ، ورُدَّ إليك لحمُكَ، انهض أيها الملك، لأنك لن تموت"، كما ورد أيضاً في نصوص الأهرامات: "كما أن أوزوريس يحيا كذلك (الملك) سيحيا، وكما أن أوزوريس لن يموت كذلك (الملك) لن يموت، كما أن أوزوريس لم يهلك كذلك (الملك) لن يهلك"[3].

وكثيرة هي النصوص التي تتحدث عن البعث الجسدي وعودة الروح إلى الجسد مرة أخرى، فورد في نصوص الأهرامات ٢٠٦: "كل أجزائك تعود مرة أخرى إلى

(١) (السواح) فراس: مغامرة العقل الأولى (دراسة في الأسطورة - سوريا وبلاد الرافدين) دار علاء الدين، سوريا، ١٩٩٦ ص٣٦٤.

(٢) آخر ملوك الأسرة الخامسة (٢٣٧٥ ق.م - ٢٣٤٥ ق.م).

(3) (Budge) Wallis: Osiris or the Egyptian religion of resurrection, Kessinger publishing, 2003, p69.

- (Budge) Wallis: The Egyptian Book of dead, Forgotten Books, 2008, p48.

جسدك، روحك وقوتك يعودان إليك، مثل أوزوريس، روحك داخلك وقوتك خلفك"[1].

ويتضح مما سبق أن الباحثين لم يختلفوا فيما بينهم حول وجود فكرة بعث جسدي للموتى في نصوص الديانة الزرادشتية والديانة المصرية القديمة، لكن طبيعة هذا البعث في الديانة المصرية تختلف عنه في الديانة الزرادشتية، كما سيتضح في المبحث التالي من هذه الدراسة[2]، على حين اختلف الباحثون حول وجود تلك الفكرة في النصوص الأوجاريتية، والنصوص البابلية والآشورية، والنصوص التي خَلَّفَتْهَا الحضارة اليونانية، لكن يمكن القول: إن فكرة بعث الإله أو عودته إلى الحياة مثل عودة الإله بعل إلى الحياة في الحضارة الكنعانية، أو عودة الإله مردوك إلى الحياة في الحضارة البابلية، أو عودة الإله ديونيسوس في الحضارة اليونانية إلى الحياة، لا تعني بالضرورة اعتقاد شعوب تلك الحضارات في وجود بعث جسدي للموتى، على العكس من الحضارة المصرية القديمة التي كانت عودة الإله أوزوريس إلى الحياة أي بعثه الجسدي، أثرت بشكل كبير على معتقدات المصري القديم، فالمصري القديم اعتقد أن الإنسان الميت سوف يلقى نفس المصير الذي لَقِيَهُ أوزوريس، وبالتالي فقد اعتقد المصريون القدماء وأتباع زرادشت في وجود بعث للموتى ولكن اختلفت طبيعة هذا البعث عند كلٍّ منهما، لذلك سوف أتناول طبيعة هذا البعث في المبحث التالي من هذا الفصل بنوع من التفصيل.

---

(1) (Adams) Ernest Austin, The Development of Biblical views on the General Resurrection of the dead, p٣٣.

(٢) - انظر ص ١٧٥.

المبحث الثاني

طبيعة البعث

يرى علماء التلمود أن بعث الموتى إنما هو بعثٌ جسدي، فالمقصود بالبعث هو اتحاد الروح بالجسد مرة أخرى، وهي الفكرة التي دار الجدال حولها بين الصدوقيين والفريسيين حيث لم يقبلها العقل الصدوقي، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צא ב) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي: "عندما سأل أنتيونينوس (إمبراطور روما) رابي: هل يمكن للجسد والروح (النسمة) أن يتهربا من الحساب، فيقول الجسد: إن الروح هي التي أخطأت، فمنذ أن انفصلَتْ عنى وهأنا مُلْقَى في القبر مثل الحجر الأصم، وتقول الروح: إن الجسد هو الذي أخطأ، فمنذ أنِ انفصل عني وهأنا أُرَفْرِفُ في الهواء مثل الطير؟!

فقال له: سوف أضربُ لك مَثَلاً، ليوضح لك هذا الأمر بِمَلِكٍ من البشر يمتلك حديقة جميلة كان بها ثمار جميلة، فَعَيَّنَ عليها حارِسَيْنِ أحدهما أعرج، والآخر أعمى، فقال الأعرج للأعمى: إنني أرى ثمارًا طيبة في الحديقة، فتعالَ واحملني على ظهرك فنأتي بها ونأكلها، فاعتلى الأعرج ظهر الأعمى وجلب الثمار وأكلاها، وبعد أيام جاء صاحب الحديقة وقال لهما: أين الثمار التي كانت هنا؟ فقال له الأعرج ليس لي أقدام لأتحرك بها، وقال الأعمى: ليس لي عينانِ لأرى بهما، فماذا فعل الملك؟ وضع الأعرج على ظهر الأعمى وحاسبهما سوياً، كذلك فإن الرب يأتي بالروح ويدخلها في الجسد عند إحياء الموتى ويحاسبهما سوياً، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٥٠/ ٤: "يدعو السموات من فوق والأرض إلى مداينة شعبه "فالمقصود "يدعو السموات من فوق" يقصد بذلك الروح، أما "والأرض إلى مداينة شعبه" فيقصد بذلك الجسد".

فيرى علماء التلمود أن البعث عبارة عن اتِّحاد الروح التي يحفظها الرب في السماء بالجسد الملقى في القبر، كما ذهب علماء التلمود والمفسرون إلى أبعد من ذلك فهم يرون أن الموتى سوف يبعثون بأرديتهم التي دفنوا بها أي كما كانوا في الدنيا، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צ ב) في نفس السياق: "عندما سألت الملكة كليوباترا الربى ميئير: أنا سمعت وعرفت أن الموتى سوف يبعثون، فهل سيُبعَثُون بملابس أو عراةً؟ فقال لها: هذا الأمر يشبه الحنطة فعندما تدفن (في الأرض عند الزراعة) تدفن عارية وعندما تخرج أي تنبت فتكتسي، فالأولى بذلك الأتقياء الذين يدفنون بملابسهم أصلاً".

كما ورد في تفسير تنحوما (מדרש תנחומא، אמור، סימן ב) في سياق تفسير الفقرة الواردة في لاويين ٢١/ ١ "وقال الرب لموسى كلم الكهنة بني هارون وقل لهم: لا يتنجسْ أحدٌ منكم لميِّتٍ في قومه"، "فقال مشرع نقلاً عن الربي ناتان: إن الكفن الذي ينزل به الميت إلى القبر، سوف يصعد به في المستقبل، عند إحياء الموتى، استناداً إلى ما ورد في أيوب ٣٨/ ١٤ "تتحول كطين الخاتم وتقف كأنها لابسة". ويتضح أن المفسرين أخرجوا الفقرة الواردة في سفر أيوب من سياقها فقد وردت هذه الفقرة في سياق حديث الرب إلى أيوب عن خلقه الأرض وإرسائه قواعدَها، فورد في الفقرة السابقة لها: "ليمسك (الرب) بأكناف الأرض فينفض الأشرار منها"، ثم ورد بعدها "تتحول (الأرض) كطين الخاتم وتقف كأنها لابسة"، أي: إنها تتبدل وتصبح أرضًا عامرةً بعد أن يُخرِجَ الربُّ الأشرارَ منها، فهذه الفقرة لا تحمل أيَّة إشارة إلى دفن الميت وبعثه.

ويرى بعض الباحثين أن علماء التلمود قد تأثروا في ربطهم بين إحياء الموتى وإنبات القمح، بالأسطورة الكنعانية "عودة بعل إلى الحياة"، فيقول هؤلاء الباحثون: "إن عودة الإله بعل إلى الحياة صَاحَبَها عودةُ الخصوبة والإنبات إلى الأرض، تلك الفكرة التي أوردها معلمو الجمارا وهم يطبقون معيار الأخذ بالأَوْلَى، فالأَوْلَى بالميت

الذي يدفن بالكفن أن يصعد به، فإن كانت حبة القمح التي تدفن عاريةً عند زراعتها عندما تنبت وتخرج من باطن الأرض تكتسي بالقش[1].

بل لقد ربط علماء التلمود والمفسرون بين إنزال المطر وبعث الموتى، فورد في باب الصوم (תענית דף ב ב)، وتكرر ذلك في تفسير التثنية الكبير (דברים רבא פרשה ז פסקה ו)[2]: "هناك تفسير آخر لجملة "يفتح الرب لك" حيث قال العلماء: إن معجزة نزول المطر تناظر معجزة بعث الموتى، ومن أين نستدل على ذلك؟ مما ورد في هوشع ٦/٣ "يأتي إلينا بالمطر كمطر متأخر يسقي الأرض" حيث وردت هذه الفقرة بعد فقرة "يحيينا بعد يومين، وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه" وبهذا ربط بين موعد إنزال المطر وبعث الموتى. وهناك قول آخر: إن معجزة إنزال المطر تناظر معجزة بعث الموتى، كيف؟ فقد ورد الفعل (פתח) "فتح" في كليهما، كما وردت كلمة (יד) يد في كليهما، كما ورد الفعل (שר) ترنم أو غنى في كليهما، فورد عن البعث في حزقيال ٣٧/ ١٣: "فتعلمون أني أنا الرب عند فتحي قُبُورَكُم وإصعادي إياكم من قبوركم يا شعبي" كما ورد عن نزول المطر "يفتح الرب لك" كما ورد عن البعث في حزقيال ٣٧/ ١: "وكانت عليَّ يد الرب" كما ورد عن نزول المطر في مزامير ١٤٥/ ١٦ " تفتح يدك فتُشبعُ كلَّ حيٍّ رضًا" كما ورد عن البعث في إشعياء ٤٢/ ١١: "لتَتَرَنَّمْ سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا" كما ورد عن نزول المطر في مزامير ٦٥/ ١٤: "تهتف وأيضاً تغني".

ويرى بعض الباحثين أن فكرة اقتران بعث الموتى بإنزال المطر إنما هي فكرةٌ وَرِثَهَا علماء التلمود من الأسطورة البابلية "عودة الإله مردوك إلى الحياة"، فيقول هؤلاء الباحثون: "إن فكرة اقتران بعث الإله مردوك بنزول المطر، هي فكرة انتقلت إلى التلمود وكتب التفاسير، فكان موت الإله مردوك يُعَبَّرُ عنه بمظاهر الحزن

(1) - (pope) Marvine, Cult of the Dead at ugarit , p166.

(٢) انظر هامش ص ٣٢.

والأسى واليأس، وكان يصاحب موته توقف جميع مظاهر الحياة، وَعَبَّرُوا عن بعثه وعودته إلى الحياة بالسعادة وإقامة الاحتفالات في رأس السنة، فكان يصاحب بعثه عودة دلائل الحياة مرة أخرى إذ ينزل المطر"[1].

كما أشار علماء التلمود إلى أن المرء يبعث بنفس الحالة التي مات عليها، فمن يموت بعاهة فسوف يُبعث بهذه العاهة، وبعد أن يبعث الموتى بعاهاتهم سوف يبرؤون، فيُبْعَثُ الأعرجُ أعرجَ، ويُبْعَثُ الأعمى أعمى، ثم يُبرِئُهم الرب ويَشفيهم، ويتضح ذلك مما ورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צא ב) في سياق التساؤل الذي أثاره الربي شمعون بن لقيش بخصوص التعارض بين فقرتين في المقرا، الأولى: "بينهم الأعمى والأعرج والحبلى والماخض معاً" (إرميا٣١/ ٨)، والثانية: "حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأخرس، لأنه قد انفجرت في البَرِّيَّةِ مياهٌ وأنهارٌ في القفر" (إشعياء٣٥/ ٦)، فكيف ذلك؟ معنى ذلك أنهم يقومون من موتهم بعاهاتهم ثم يبرؤون منها.

وقد أثار دهشةَ بعض الباحثين أن يبدأ البعث بعَظْمَةٍ صغيرة في جسد الميت تكون بمثابة النواة، كما جاء في مناقشات التلمود: سأل هادريان الربي يهوشع بن حنينا: من أيِّ جزء يحيي الرب الإنسان مثل الزهرة في المستقبل؟ فأجابه الربي يهوشع من عظمة توجد في آخر العمود الفقري، فهي لا تتحلل بالماء ولا تحرق بالنار، ولا تذوب في مطحنة، فإنهم يضعون تلك العظمة على السندان ويطرقون عليها بالمطرقة، فينشق السندان وتتحطم المطرقة، ولا يحدث شيء لهذه العظمة[2].

أما عن طبيعة البعث في الديانة الزرادشتية فكانت أكثر وضوحاً عنه في التلمود وكتب التفاسير، فتصف نصوص البندهيش بنوع من التفصيل طبيعة بعث الموتى، إذ ورد في الفصل الثلاثين من البندهيش: "أن زرادشت سأل أهورامزدا: "من أيِّ

---

(١) (الشواف) قاسم: ديوان الأساطير، ص ٢٠٤.

(2)- (Moore).g.f: Judaism in the first centuries of Christian era , p 385.

جزء يتشكل الجسد مرة أخرى بعد أن حملته الرياح والمياه؟ كيف يحدث إحياء الموتى؟ فأجاب أهورامزدا: لقد خلقتُ السماء من الياقوت بلا عَمَدٍ، وخَلَقْتُ الأرض التي حملت الحياة المادية، وخَلَقْتُ الشمس والقمر والنجوم تجري في السماء، وخَلَقْتُ شتى أنواع النباتات، وخَلَقْتُ الأجنة في بطون أمهاتها، وخَلَقْتُ ينابيع المياه، وخَلَقْتُ السحب التي تحمل الأمطار، فإن كل ما خَلَقْتُهُ أكثرُ صعوبةً من إحياء الموتى، ومما يسهل عليَّ إحياء الموتى أن الأجساد موجودة بالفعل، لاحظ أن الشيء غير الموجود يُخلق، فما بالك بما كان موجودًا أصلاً، ففي ذلك الوقت سوف تُسترد العظام من أرواح الأرض، وتُسترد الدماء من المياه ويسترد الشعر من النباتات وتسترد الحياة من النار. وسوف تنهض عظام "جايومارد"[١] أولاً ثم عظام مشيا وعظام مشيان[٢] ثم عظام سائر البشر، وفي العام السابع والخمسين من فترة "سوشيانط"، أي: المخلِّص سوف يتم تهيئة جثث الموتى، وسوف يبعث جميع البشر، الآثِم والتقيِّ، جميع المخلوقات البشرية سوف ينهضون جميعًا من البقعة التي انفصلت فيها أرواحهم.

وبعد ذلك عندما تتحد الكائنات الحية المادية بأجسامها وأشكالها فإنها تقف مجموعة واحدة، وسوف ينقسم ضوء الشمس إلى نصفين، نصف من أجل "جايومارد" ونصف مخصص لسائر الخلق، حتى تتعرف كل روح وجسد على الأب والأم والزوجة وذوي القربى[٣].

---

(١) جايومارد (gayomard) هو الإنسان الأول في الديانة الزرادشتية، ويتكون اسمه في اللغة الفارسية من مقطعين، الأول (gay) بمعنى حياة والثاني (maretan) بمعنى هالك.

(٢) مشيا ومشيان (mashye-mshyane) أول زوجين خلقهم أهورامزدا من مني جايومارد.

(3) Bundhishn: Translated by E. W. West, from *Sacred Books of the East,* volume 5, Oxford University Press, 1897.

- (Nigosian) Solomon Alexander: Zoroastrian faith:, M.Q.U.P, 1993 , p62.
- (Harding) Mark: Early Christian life and thought in social context, Continuum international publishing group, 2003 , p319.

ورغم وضوح فكرة إحياء الموتى في النصوص البهلوية[١] وبخاصة في نصوص البندهيش، فهناك بعض الباحثين الذين يرون أن هذه النصوص تعود إلى القرن الثامن الميلادي، وأنها لم تتبلور إلا في القرن الثاني عشر الميلادي وبناء على ذلك فإن فكرة إحياء الموتى تعتبر من الأفكار المتأخرة في الزرادشتية[٢]، غير أن البعض الآخر من الباحثين يرى أن فكرة البعث وردت في نصوص الجاتا أقدم نصوص الأفستا (القرن التاسع قبل الميلاد) وفي نصوص الأفستا المختلفة مثل نصوص الياشت.

أما عن طبيعة البعث في الديانة المصرية القديمة فورد في بردية "بيبي" وصفٌ تفصيليٌّ عن كيفية بعث أوزوريس: "الإلهة "نوت" تأتي إليك، إنها تنفخ فيك (؟) إنها تخاطبك بكلمات القوة، إنها ترد إليك رأسك، إنها ترد إليك عظامك، إنها تجمع لحمك، إنها تضع قلبك في جسدك، أنت سيد النطق، أنت الذي تعطي الأوامر"، كما ورد في نفس النص أن ما فُعِلَ بأوزوريس سوف يُفعَل بالملك بيبي فورد في بردية "بيبي": "الملك بيبي ردت إليه عظامه، وتكتسي باللحم، إنه يجلس في بيته، فجسده لن يتعفن ولن يَهْلِكَ"، فيرى بعض الباحثين أن هذا النص يشير إلى تحلل جسد أوزوريس وإلى تفرق عظامه وإلى انفصال رأسه عن جسده، وأنه عند بعثه اتحدت من جديد، وبعد ذلك منح القدرة على الكلام ومن ثم استطاع أن يعطي الأمر لأتباعه كما كان يفعل في حياته[٣].

(١) النصوص البهلوية هي النصوص الدينية المدونة باللغة الفارسية الوسطى التي تعود إلى فترة الإمبراطورية الساسانية (٢٠٥ق.م- ٦٢٢م) ومنها نصوص البندهيش، وكتاب أرداه ويراف، ونصوص دنكراد.

(Boyce) Mary (Editor) ,Textual Sources for study of Zoroastrianism, p1-8).

(2) (Adams) Ernest Austin, The Development of Biblical views on the General Resurrection of the dead, p8٥.

(3) (Budge) Wallis: Osiris or the Egyptian religion of resurrection, Kessinger publishing , 2003 , p70.

كما يرى العديد من الباحثين أن البعث في الديانة المصرية القديمة لم يقتصر على بعث الجسد فقط، بل بعث لجميع العناصر المكونة للطبيعة البشرية سواء العناصر الروحية التي أشرت إليها في الفصل الأول من هذه الدراسة وهي "كا ka" أي القوة الفاعلة و"با ba " أي الروح الخاصة و"خوkhu " أي النورانية الشفافة و"خايبت khaibit" أي الظل و"سخم sekhem" أي القوة المتحكمة، أو العناصر الجسدية المتمثلة في "خات khat" أي الجسد المادي و"سعحو sahu" أي الجسد الفعال.

فالجسد المادي أو المومياء "الخات" يجب أن يحفظ ويُحَنَّطَ، فورد في أحد النصوص المكتوبة على لفيفة من الكتان كانت تغطى بها مومياء تحتمس الثالث: "مرحباً بك يا أبي أوزوريس، لقد أتيت وجسدي مُحَنَّطٌ، حتى لا يتحلل جسدي، فقد أصبحت كاملاً تعالَ وبُثَّ الروح فيَّ، لك الولاء يا أبي أوزوريس، إن لحمك لن يَهْلكَ ولن تأكله الديدان، وكذلك أنا أمتلك لحمي إلى الأبد، فأنا لن أهلك ولن يتحلل جسدي"[1].

أما الجسد الفعال "السعحو" فهو الذي يتحد بالروح ويصعد إلى السماء ليقيم مع الآلهة، فهو يقيم مع "السعحو" الخاصة بالآلهة وكذلك مع الأرواح التي تقيم في السماء، فورد في نصوص الأهرامات: "انهض يا تيتي، لتقيم مع آلهة السماء، فسوف تستقبل السعحو الخاصة بك، فهي تقيم بين الآلهة"، كما ورد في طبعة متأخرة من كتاب الموتى[2] إن الروح يقال لها "أيتها الروح، ادخلي إلى "السعحو" الخاصة بك"، كما تخلط نصوص الأهرامات أحياناً بين الجسد المادي "الخات" والجسد الروحي "السعحو" فورد في نصوص الأهرامات: "مرحباً بك يا أوزوريس، أنت تحمل اسمك، وجسدك (الخات) ثابت، والسعحو الخاصة بك تنمو"[3].

---

(1) (Budge) Wallis: The Egyptian Book of dead, Forgotten Books, 2008, p٥٢.

(٢) (بدج) والس: كتاب الموتى الفرعوني، ص ٥٣.

(٣) انظر المرجع السابق ص 53.

فيتضح مما سبق أن المصري القديم آمن بالبعث الجسدي، وبالبعث الروحي، فكان يرجو "الكا" أي القوة الفعالة أن ترتبط بالجسد المادي فورد في بردية "أوناس": "أنه يسعد بالكا الخاصة به، في المسكن العظيم، حيث تأتي إليه الكا الخاصة به"، كما أن "البا" كانت تقيم في السماء داخل الجسد الروحي، كما كان يعتقد أنها تتردد على القبر لتحرك الجسد المادي مرة أخرى، أما "الخايبت"، أي: الظل فكان وثيق الارتباط بـ"البا" بعد الموت فورد في كتاب الموتى: "ليتني أشاهد روحي "البا" ليتني أشاهد ظلي "الخايبت"، أما "الخو" أي النورانية الشفافة التي تشبه المومياء تماماً فكان يرجى منها أن تصعد إلى السماء، وذلك بمجرد تلاوة بعض التعاويذ على جسد الميت، فورد في بردية "أوناس": "يا أوناس انهض مع الخو الخاصة بك"، أما "السخم" أي القوة المتحكمة فكانت ترتبط دائماً بـ"الخو"، فورد في نصوص الأهرامات: "إن السخم الخاصة بك تأتي إلى الخو الخاصة بك"[(١)].

ويشير بعض الباحثين أن العناصر الروحية المتمثلة في البا والكا والخايبت والسعحو والخو كان يُعتقد في فترات مبكرة أنها تحيا بعد موت الإنسان بشكل مستقل عن بعضها البعض، ولكن مع ظهور فكرة البعث الجسدي تَأَثُّرًا بأسطورة أوزوريس فكانوا يعتقدون أن هذه العناصر تتحد بالجسد؛ ولذلك كان من الضروري الحفاظ على الجسد سليمًا دون أن يتحلل [(٢)].

(١) انظر المرجع السابق ص 58-54.

(٢) انظر المرجع السابق ص 59.

المبحث الثالث

موعد البعث، إرهاصاته ومكانه

يرى المفسرون أن التاريخ اليهودي ينقسم إلى خمس مراحل، وفي المرحلة الخامسة سوف يُبعث الموتى من قبورهم ليشاركوا في أيام المسيح ولن يعودوا إلى التراب مرة أخرى حيث ورد في تفسير "تنا دفي إلياهو ربا" الفصل الثالث (תנא דבי אליהו רבא פרק ג)[1]: "ينقسم هذا العالم إلى خمس مراحل:

المرحلة الأولي: من خلق العالم وحتى جيل الطوفان.

المرحلة الثانية: من جيل الطوفان حتى جيل منشية[2].

المرحلة الثالثة: من جيل منشية حتى بناء الهيكل الثاني.

المرحلة الرابعة: من بناء الهيكل الثاني حتى خرابه وحتى أيام المسيح.

المرحلة الخامسة: من أيام المسيح وحتى تدمير العالم وفراغه من البشر وصعود الرب وحده في هذا اليوم، وجميع الصديقين سوف يبعثون من أجل أيام المسيح ولن

---

(١) انظر هامش ص ١٢٧.

(٢) منشيّ بن حزقيا ملك يهودا، حَكَمَ بين ٦٩٧ ق.م-٦٤١ ق.م، واعتلى كرسي الحكم في سن الثانية عشر من عمره، وحكم يهودا لمدة ٥٥ عاماً في القدس، وقد وردت سيرته الذاتية في ملوك ثاني الأصحاح ٢١ وأخبار أيام ثاني الأصحاح ٣٣ ولم تشر هذه الأصحاحات إلى سياسته في الحكم ولكن أشارت إلى الآثام التي ارتكبها، حيث أدخل العباداتِ الوثنيةَ إلى الهيكل، فورد في سفر الملوك أنه بسبب آثامه خُرِّب الهيكل وحدث السبي، لكن ورد في أخبار أيام أنه تاب ورجع إلى الرب؛ لذلك اختلف علماء التلمود حول مشاركته في العالم الآتي فيرى بعض علماء التلمود أن منشيّ ليس له نصيب في العالم الآتي استناداً إلى ما ورد في ملوك ثاني ٢١/ ٢-٣ "وعمل الشر في عيني الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل، كما عمل آحاب ملك إسرائيل" وبما أن آحاب ليس له نصيب في العالم الآتي كذلك منشيّ ليس له نصيب في العالم الآتي، بينما يرى البعض الآخر أن منشيّ له نصيب في العالم الآتي لأنه تاب.

يعودوا إلى التراب مره أخرى، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٤/ ٣: "ويكون من يظل في صِهْيَوْنَ ويبقى من يكون في القدس"، فالقدوس تبارك يقول إن المقصود هو الحياة في القدس، فإلى أين يذهب الصِّدِّيقُون؟ في هذا الوقت سيستقبل الرب الصِّدِّيقِينَ أمامه ويقفون كما يقف الأبناء أمام آبائهم والعبيد أمام سادتهم والتلاميذ أمام معلميهم، استناداً إلى ما ورد في زكريا ١٤/ ٣ "ها هو يومُ الربِّ، يخرج فيه الرب ويحارب الأغيار، ويقف على جبل الزيتون في القدس من الشرق وينشق الجبل إلى نصفين".

أما عن إرهاصات قدوم المسيح المخلِّص فيرى معلمو الجمارا في باب سنهدرين (סנהדרין דף צז ב) أن المسيح ابن داود سوف يأتي بعد دورة مُؤَلَّفَةٍ من سبع سنوات، في السنة الأولى لن يسقط المطر، وفي السنة الثانية تظهر بوادر الجفاف، وفي السنة الثالثة ينتشر الجوع الشديد ويموت الرجال والنساء والأطفال ويَعُمُّ الجهل بين دارسي الشريعة، وفي السنة الرابعة يحدث شِبَعٌ نِسْبِيٌّ، وفي السنة الخامسة يسود الشِّبَعُ والسعادة وتعود التوراة إلى دارسي الشريعة، وفي السنة السادسة تظهر شائعات حول حدوث حروب، وفي السنة السابعة تنشب الحروب، وبغد انتهاء السنة السابعة يأتي المسيح ابن داود.

كما حدد معلمو الجمارا في نفس السياق السمات العامة والأحداث التي يمر بها الجيل الذي سيأتي فيه المسيح ابن داود ففي هذا الجيل:

- سوف تتوالى الكوارث، فبمجرد انتهاء كارثة تحل كارثة أخرى.
- سوف ينعدم الاحترام وتزداد الوقاحة، فلن يخجل الابن من أبيه، وتقف البنت في مواجهة أمها والعروس ضد حماتها.
- سوف ترتكب الفواحش في بيوت الاجتماعات.
- سوف ينتشر الكذب ويتلاشى الصدق.
- سوف يتضاءل عدد دارسي الشريعة وينتشر الجهل بينهم.

- سوف تخرب الجليل.

وعندما يأتي المسيح المخلِّصُ سوف يموت البشر جميعاً، كما ورد في باب زواج الأرامل دون أبناء (יבמות דף סב א) عندما تطرق النقاش بين علماء التلمود حول فريضة التناسل (פריה ורביה)[1]: "قال الربي آسي[2]: لن يأتي ابن داود إلا إذا تلاشت جميع الأرواح (النسمات) من الأجساد، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٥٧/ ١٦: "لأن الروح يخشى عليها أمامي والنَّسَمات التي صنعتها".

وقد اختلف معلمو الجمارا حول المدة التي سيقضيها المسيح والتي وَفْقًا لآرائهم سوف يتبعها فترة "العالم الآتي"، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צט א) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي: "ورد في (برايتا) أن الربي إليعزر يقول: إن أيام المسيح أربعون عاماً، في حين يرى الربي إليعزر بن عزريا إنها سبعون عاماً، ويقول الربي دوسا[3] إنها أربعمائة عام، ويقول رابي إنها ٣٦٥ عاماً كأيام السنة الشمسية، وأخيراً يرى أباهو أنها سبعة آلاف عام".

وفي اليوم الثالث من قدوم المسيح سوف يُبعَث الموتى، فيشير المفسرون في تفسير سفر التكوين الكبير (בראשית רבא פרשה נו פסקה א) إلى أن بعث الموتى سيكون مع مَقْدَمِ المسيح المخلِّص، إنه يحدث في اليوم الثالث من أيام المسيح: "لقد ورد اليوم الثالث في عدة مواضع في المقرا: فورد في تكوين ٢٢/ ٤: "وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه"، كما ورد في هوشع ٦/ ٢ "يحيينا بعد يومين وفي اليوم الثالث

(١) يرى علماء التلمود أنها الفريضة الأولى التي أوصى بها الرب آدم، ودللوا على ذلك من خلال ورد في سفر التكوين ١/ ٢٨ "وباركهم الرب وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملؤوا الأرض"، وقد اختلف علماء التلمود بشأنها، فيرى أتباع شماي أن فريضة التناسل تتحقق إذا أنجب المرء ذكرين، في حين يرى أتباع هليل أن هذه الفريضة تتحقق إذا أنجب المرء ذكراً وأنثى.

(٢) ينتمي إلى الجيل الثالث من علماء الجمارا في فلسطين.

(٣) ينتمي إلى الجيل الأول من التنائيم.

يقيمنا"، كما ورد في تكوين ٤٢/ ١٨: "ثم قال لهم يوسف في اليوم الثالث: افعلوا هذا واحْيَوْا"، كما ورد في يونان ٢/ ١: "فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال"، كما ورد في سفر أستير ٥/ ١: "وفي اليوم الثالث لبست أستير ثياباً ملكية"، أما عن اليوم الثالث لإحياء الموتى فقد ورد في هوشع ٦/ ٢ "يحيينا بعد يومين وفي اليوم الثالث يقيمنا".

ويرى المفسرون في تفسير سفر التكوين الكبير (בראשית רבא פרשה בראשית פסקה ה) أن البعث لبني إسرائيل فقط، فورد في سياق تفسير الفقرة الواردة في تكوين ٢/ ٥ "لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض": "قال الربي حيا بر أبا: إن معجزة نزول المطر أعظم من معجزة إحياء الموتى، لأن البعث للإنسان فقط بينما نزول المطر فهو بعث للإنسان والبهيمة بالإضافة إلى الأرض، ولأن إحياء الموتى لبني إسرائيل فقط، أما نزول المطر لبني إسرائيل وعبدة الكواكب".

فمن خلال ما سبق يتضح أن إحياء الموتى سوف يحدث في اليوم الثالث من قدوم المسيح، ويرى بعض الباحثين أن البعث يحدث لأتقياء بني إسرائيل فقط، حيث يعودون إلى أرض إسرائيل من أجل الاستمتاع بنِعَمِ الأرض في تلك الفترة، ففكرة إحياء الموتى لا ترتبط بمبدأ العدالة والحساب الأخروي أو الثواب والعقاب الأخروي بل ترتبط بالفكر المسيحاني، فإحياء الموتى سوف يحدث في أيام المسيح، والموتى في أرض إسرائيل سوف يتم إحياؤهم أولاً؛ لذلك يريد اليهود أن يُدْفَنُوا في أرض أرض إسرائيل، استناداً إلى ما ورد في مزامير ١١٦/ ٩: "اسلك قدام الرب في أرض الأحياء"، أما من يدفن خارج أرض إسرائيل فيتدحرج جسده تحت الأرض إلى أن يصل إلى حدود أرض إسرائيل وهناك يتحد جسده بروحه، استناداً إلى ما ورد في حزقيال ٣٧/ ١٤: "وَأَجعلُ روحي فيكم، فَتَحْيَوْنَ وأجعلكم في أرضكم، فتعلمون أني أنا الرب، تكلمت وأفعل، يقول الرب"، في حين يرى البعض الآخر من

الباحثين أن مصطلح "إحياء الموتى" يستخدم للإشارة إلى البعث الشامل والذي يتبعه الحساب النهائي أو الثواب والعقاب النهائي[1].

وقد اختلف علماء التلمود والمفسرون حول من يبعث الموتى من القبور، فأحيانًا يشير علماء التلمود إلى أن المسيح المخلص هو الذي يوقظ الموتى من قبورهم، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צט א) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي: "هناك ستة أشخاص تم تسميتهم قبل مولدهم وهم: إسحق، وإسماعيل، وموسى، ويوشياهو، وسليمان، والمسيح، من أين جاء أن المسيح سمي قبل مولده؟ استناداً إلى ما ورد في مزامير٧٢/ ١٧: "قدام الشمس يمتد (ינון) اسمه" ولماذا سمي ينون؟ لأنه في المستقبل سوف يوقظ الراقدون في التراب".

بينما يرى المفسرون أن الرب وحده هو الذي سوف يحيي الموتى، فورد في تفسير سفر التكوين الكبير (בראשית רבא פרשה ז פסקה ו): "ورد في سفر التثنية ٢٨/ ١٢: "إن الرب يفتح لك خزائنه الطيبة "فماذا يفتح؟، قال الرباني يوناثان: ثلاثة أشياء يفتحها الرب، وفي يده مفاتيحها ولا أحد من البشر يمكنه أن يتحكم فيها هذه هي: ١- مفتاح إحياء الموتى ٢- مفتاح العقم ٣- مفتاح المطر، ومن أين جاء أن الرب يمتلك مفتاح إحياء الموتى؟ استناداً إلى ما جاء في حزقيال٣٧/ ١٣: "وتعرفون أنني الرب إلهكم عندما أفتح قبوركم".

كما يرى المفسرون أن الصِّدِّيقِينَ والأتقياء سوف يشاركون في إحياء الموتى ومنهم النبي إلياهو، ولعل السبب وراء ارتباط مجيء إلياهو بمجيء المسيح هو الذي أعطى له الحق في أن يشارك في إحياء الموتى، فقد ارتبط مجيؤه في أيام المسيح بإحياء

---

(١) انظر:

- **Moore.g.f: Judaism in the first centuries of Christian era, Hendrickson publishers, 1997, p 380.**
- **Jacob Neusner: understanding Rabbinic Judaism from Talmudic to modern times, KTAV publishing house, 1974, p42.**

الموتى، فورد في تفسير سفر التكوين الكبير (בראשית רבא פרשה נ פסקה ב): "قال الربى شموئيل بر نحماني نقلاً عن الربى يوناثان: إن إحياء الموتى سيقوم به الصديقون، استناداً إلى ما ورد في زكريا ٨/ ٤: "هكذا قال رب الجنود سيجلس بعد الشيوخ والشيخات في أسواق أورشليم كل إنسان منهم عصاه بيده من كثرة الأيام" حيث ورد في ملوك ثاني ٤/ ٢٩: "وضع عكازي على وجه الصبي".

كما ورد أيضاً في تفسير سفر التكوين الكبير (בראשית רבא פרשה נ פסקה ב): "قال الربي حننئيل نقلاً عن راف[1]: إن إحياء الموتى سيتم عن طريق الصِّدِّيقِينَ، حيث ورد في إشعياء ٥/ ١٧ "وترعى الخرفان حيثما تساق"، كما ورد في موضع آخَرَ في ميخا ٧/ ١٤ "لترعى في باشان وجلعاد كأيام القدم"، فالمقصود بـ "باشان" هو أليشع، القادم من باشان، استناداً إلى ما ورد في أخبار أيام أول ٥/ ١٢ "ويعناي وشافاط في باشان"، وورد في ملوك ثاني ٣/ ١١: "هنا أليشع بن شافاط كان يصب ماء على يدي إلياهو"، والمقصود بـ"جلعاد" هو إلياهو، لما ورد في ملوك أول ١٧/ ١ "وقال إيليا التشبي من مستوطني جلعاد... إلخ".

كما ربط علماء التلمود بين النبي إلياهو وبعث الموتى، لكنهم لم يشيروا إلى أن إلياهو سوف يشارك في إحياء الموتى، فورد في باب "عفودا زارا" أي العبادات الأجنبية (עבודה זרה דף כ ב) وتكرر ذلك في تفسير سفر نشيد الأنشاد الكبير (שיר השירים רבא פרשה א פסקה ט)[2]: "يقول الربي بنحاس بن يائير: إن

(١) ينتمي إلى الجيل الأول من علماء الجمارا في بابل.

(٢) تفسير سفر نشيد الأنشاد، يرى الباحثون أن هذا التفسير وردت العديد من أقواله في التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي، وكتب التفاسير التي تنسب إلى التنائيم مثل السفرا والسفري والمخيلتا، أما عن زمن تدوينه فيصعب تحديده بالضبط.

(אייזענשטיין) יהודה דוד 'אוצר מדרשים' במהדורה מקוונת: כרך א', כרך ב', באתר

Hebrew Books (*www.hebrewbooks.org*).

الإسراع يؤدي إلى النقاء، والنقاء يؤدي إلى الطهارة، والطهارة تؤدي إلى القداسة، والقداسة تؤدي إلى التواضع، والتواضع يؤدي إلى الخشية من الوقوع في الخطيئة، والخشية من الوقوع في الخطيئة تؤدي إلى التقوى، والتقوى تؤدي إلى روح القدس، وروح القدس تؤدي إلى إحياء الموتى، وإحياء الموتى يؤدي إلى مجيء النبي إلياهو طيب الله ذكره".

أما عن إحياء الموتى في **الديانة الزرادشتية** والإرهاصات التي تصاحب إحياء الموتى، فإن تاريخ البشرية في النصوص الدينية الزرادشتية ينقسم إلى ثلاث مراحل، فلقد خلق أهورامزدا العالم في أكمل صورة ممكنة واستمر على هذه الحالة ردحاً من الزمن كان الشيطان خلالها نائماً، وهذه هي المرحلة الأولى مرحلة الخلق التي يسود فيها الخير، وفي المرحلة الثانية يهاجم الشيطان الخلق فيمتزج الخير بالشر، وفي المرحلة الثالثة تبدأ عملية الفصل بين الخير والشر، وتنتهي بدحر الشيطان وعودة العالم إلى ما كان عليه في البداية[1].

في حين تشير بعض المصادر إلى أن التاريخ تم تقسيمه إلى أربع مراحل كل مرحلة تشتمل على ثلاثة آلاف عام وفي الألف الأخير من المرحلة الأخيرة سيظهر مُخَلِّص العالم المدعو "ساوشيانط" الذي سيقود المعركة الأخيرة بين قوى النور وقوى الظلام، وسوف يولد المخلص من عذراء تحمل به عندما تنزل للاستحمام في بحيرة "كابا سافيا" حيث تتسرب إلى رحمها بذور زرادشت التي يحفظها عدد كبير من الملائكة انتظارًا لهذا اليوم الموعود[2].

فيرى بعض الباحثين أن زرادشت عندما علم أن النهاية آتية لا محالة وأنه لن يحضر تلك النهاية، فأوصى في نصوصه أنه "سيأتي رجل أفضل من كل الرجال"

---

(١) (السواح) فراس: الديانة الزرادشتية وميلاد الشيطان.

(2) (Smart) Ninian: World's religion:, Cambridge university press, 1998, p226.

(الياشت ٤٣/٣) يسمى "ساوشيانط" التي تعني حرفياً "من يجلب النفع" ليقود المعركة الأخيرة ضد قوى الشر[١].

كما يشير بعض الباحثين إلى أنه سوف يصاحب المخلِّص "ساوشيانط" خَمْسَةَ عَشَرَ رجلاً وخَمْسَ عَشْرَةَ امرأة لمساعدته، وأن أيامه سوف تستمر لمدة سبعة وخمسين عاماً وبعدها يبعث جميع الموتى، فبعد الصراع النهائي بين قوى الخير: "أهورامزدا" وقوى الشر: "أهيرمان"، وبعد انتصار قوى الخير على قوى الشر سيبعث جميع الموتى[٢].

فترتبط نهاية التاريخ ارتباطاً وثيقاً بإحياء الموتى، فمع ظهور المُخَلِّص تَحُلُّ الأيام الأخيرة، وتلفظ الأرض ما بها من عظام الموتى، ويفرغ الجحيم والسماء من سكانهما ليعودوا إلى الحشر العظيم، حيث يلتقي من مات من آلاف السنين بمن بقي حياً إلى ذلك اليوم ثم يبدأ الحساب النهائي[٣].

وتصف النصوص البهلوية بإسهاب التفاصيلَ المتعلقة بهذه النهاية الدراماتيكية للدورة الكونية، ففي السنوات الثلاث الأخيرة، سوف يمتنع البشر عن أكل اللحم وعن شرب اللبن والنباتات، وسوف يشربون الماء فقط، حيث ورد في "البندهيش" الفصل الثلاثون: "ورد عن البعث والوجود المستقبلي أنه عندما نَبَتَ من الأرض مشيا ومشيان، كانا يتغذيان في البداية على الماء ثم على النبات ثم على الحليب ثم على اللحم، كذلك البشر عندما يحين وقت نهايتهم، فإنهم سوف يتوقفون عن أكل اللحم ثم الحليب ثم النبات وعند النهاية فإنهم يتغذون على الماء، لذا - على نفس النمط -

---

(1) (Boyce) Mary: Zoroastrians, p28.

(2) (Jackson) A. V. Williams: Zoroastrian studies:, Kessinger publishing, 2003, 151.

- (Masumian) Farnaz: Life after death, Kalimate press, 2002, p24.

(٣) (السواح) فراس: الديانة الزرادشتية وميلاد الشيطان.

فإنه مع قدوم "ساوشيانط" أي المخلِّصِ سوف تقل شهيتهم، ثم يمتنعون عن أكل اللحم وشرب الحليب، ثم النباتات، ويتغذون على الماء فقط، وقبل مجيء ساوشيانط بعشر سنوات يظلون بدون غذاء ولن يموتوا، وبعد مجيء ساوشيانط سوف يبعثون، وبعد ذلك سيكون الشيطان "آذو" مكرهاً على افتراس الشياطين ويقوم بقتل ثورٍ يعد بمثابة قربان يقدمه "أهيرمان"، يناظر الثور "هازايوس" القربان الذي يقدمه كل من "ساوشيانط" و"أهورمزدا"، ومن خلال الشراب المحضر من الشحم والنخاع الشوكي لهذا الثور والمخلوط بشراب "هاوما" البيضاء سيصبح البشر المبعوثون خالدين إلى الأبد[1].

يتضح مما سبق أن تأثر علماء التلمود والمفسرين بفكرة إحياء الموتى في الديانة الزرادشتية لم يكن تَأَثُّرًا غير مباشر، ولكنه تَأَثُّرٌ مباشر ليس فقط بالفكرة ولكن بتفاصيلها، فكما قسم أتباع زرادشت تاريخ البشرية في النصوص الدينية الزرادشتية إلى ثلاث مراحل أو أربع مراحل في بعض المصادر، كذلك قسم المفسرون اليهود التاريخ اليهودي إلى خمس مراحل، وربما يرجع ذلك إلى تطلع أتباع زرادشت وعلماء التلمود والمفسرون إلى استعجال النهاية ومجيء المسيح المخلِّص الذي سيأتي من نسل زرادشت أو من نسل داود، فكما ارتبطت فكرة البعث في الديانة الزرادشتية بقدوم المخلص "ساوشيانط" الذي سيأتي في المرحلة الأخيرة من التاريخ حيث يأتي من نسل زرادشت، كذلك ارتبطت فكرة البعث في التلمود وكتب التفاسير بقدوم المسيح الذي سيأتي في المرحلة الأخيرة من نسل داود، وكما أن المخلص الزرادشتي سوف يشترك في إحياء الموتى من القبور، كذلك المسيح اليهودي سوف يشترك في إحياء الموتى من القبور.

(١) (إسماعيل) نوري: الديانة الزرادشتية مزديسنا، ص ٥٠-٥١.

ولكن اختلف الهدف من بعث الموتى في التلمود وكتب التفاسير عنه في الديانة الزرادشتية، فكان الهدف من بعث الموتى في التلمود وكتب التفاسير هو مجرد اشتراك بني إسرائيل في أيام المسيح دون غيرهم من الأمم، فلم تكن فكرة بعث الموتى من القبور مرتبطة بفكرة الحساب، الثواب والعقاب النهائي، في حين كان بعث الموتى في الديانة الزرادشتية بعثاً لجميع البشر من أجل الحساب والثواب والعقاب النهائي، وهذا ما سأتناوله بالتفصيل في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

الفصل السادس

الحساب النهائي والثواب والعقاب

المبحث الأول

الحساب النهائي

أتناول في هذا الفصل فكرة الحساب والثواب والعقاب الذي يَتْبَعُ بعث الموتى، وسوف تقتصر الدراسة في هذا الفصل على التلمود وكتب التفاسير في ضوء الديانة الزرادشتية فقط، فالديانة الزرادشتية هي الديانة الوحيدة بين الديانات القديمة التي قالت بوجود حساب بعد البعث، فقد ميزت بين نوعين من الحساب، وهذا ما قاله بعض الباحثين: "إن الديانة الزرادشتية هي الديانة الأولى بين جميع الديانات القديمة التي أشارت إلى وجود نوعين من الحساب والثواب والعقاب، حساب للروح بعد الموت وحساب آخر للروح والجسد معاً بعد البعث"(1).

ولقد أشار علماء التلمود والمفسرون إلى وجود حساب نهائي للروح والجسد معاً، وقد ربطوا هذا الحساب بإحياء الموتى، ويتضح ذلك من الرواية التي أشرتُ إليها في الفصل السابق(2) والتي وردت في باب سنهدرين (סנהדרין דף צא ב) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي، وذلك عندما سأل إمبراطور روما أحد علماء التلمود عن المصير الذي تلقاه الروح والمصير الذي يلقاه الجسد عند إحياء الموتى، فأجابه قائلاً: إن الرب يأتي بالروح من السماء ويَبُثُّها في الجسد الذي يأتي به

---

(1) (Masumian) Farnaz: Life after death, Kalimate press, 2002, p18.

(2) انظر الفصل الخامس ص ١٧٢.

من الأرض ويحاسبهما سوياً، وَدَلَّلَ على ذلك من خلال تأويل الفقرة الواردة في سفر المزامير ٥٠ / ٤ "يدعو السموات من فوق والأرض إلى مداينة شعبه" حيث أخرج الفقرة من سياقها، فهذه الفقرة تتحدث عن حساب الربِّ لبني إسرائيل في هذا العالم على ما اقترفوه من آثام، ولم تشر إلى الحساب بعد إحياء الموتى. ولقد تكررت هذه الرواية في تفسير سفر اللاويين الكبير (ויקרא רבא פרשת ויקרא פסקה ד)[1] في سياق تفسير الفقرة الواردة في لاويين ٤/ ٢ "كلم بني إسرائيل قائلاً، إذا أخطأت نَفْسٌ سَهْوًا... إلخ"، فقد أضاف المفسرون في هذا التفسير إلى جانب الرواية السابقة روايةً أخرى لم ترد في مناقشات التلمود وتشير إلى نفس الفكرة السابقة: "شرع الربي حيا: إن الأمر شبيه بأحد الكهنة الذي تزوج من امرأتين إحداهما ابنة إسرائيلي والأخرى ابنة كاهن، وذات مرة أرسل إليهن عجينة "التروما"، وعندما تنجست العجينة، قال لهما الكاهن: من التي نجست العجينة؟ فقالت له ابنة الإسرائيلي: إنها ابنة الكاهن، وقالت له ابنة الكاهن: إنها ابنة الإسرائيلي، فماذا فعل الكاهن؟ وضع ابنة الإسرائيلي بجوار ابنة الكاهن وحاسبهما سوياً، فقالت له ابنة الكاهن: يا سيدي الكاهن! لماذا وضعت ابنة الإسرائيلي بجواري وحاسبتها معي على الرغم من أننا ارتكبنا نفس الخطأ، فقال لها: إنها ابنة إسرائيلي ولم تتعلم من بيت أبيها، لكنك ابنة كاهن وتعلمتِ من بيت أبيكِ، كذلك النفس والجسد يُحاسَبانِ سوياً، فماذا يفعل القُدُّوسُ تبارك؟ إنه يأتي بالجسد والنَّسَمَة ليحاسبهما سوياً، فتقول النَّسَمَةُ: يا ربَّ العالمين، كلانا ارتكب نفس الخطأ، فلماذا تحاسبنا سوياً، فقال لها: إن الجسد مصدره من العالم السفلي حيث المكان الذي ترتكب فيه الآثام، بينما النسمة مصدرها العالم العلوي حيث المكان الذي لا تُرتَكَبُ فيه الآثام؛ لذلك أتيت بالجسد والنسمة لأحاسبهما سوياً".

(١) انظر هامش ص ٩.

نستنتج من ذلك أن علماء التلمود والمفسرين يؤمنون بوجود حساب للروح والجسد معاً، وذلك بعد بعث الموتى من القبور، ويفهم ذلك ضِمنًا من خلال الحجة التي يحاول بها الجسد أن يدافع عن نفسه بأنه كان طوال تلك الفترة في القبر، وعند حدوث إحياءِ الموتى فإن الروح تتحد بالجسد وعند ذلك يبدأ الحساب.

كما أشار علماء التلمود والمفسرون إلى وجود يوم للحساب النهائي، ينقسم فيه البشر إلى ثلاث فئات، أتقياء وآثمين، ومن تتساوى حسناتهم وسيئاتهم، فورد في باب رأس السنة (ראש השנה דף טז ב) في سياق الحديث عن اليوم الذي يزن فيه الرب أعمال البشر في بداية كل عام[1]: "ورد في (برايتا): قال أتباع شماي يوجد ثلاث منازل في يوم الدينونة، منزلة الأتقياء الخالصين، ومنزلة الآثمين الخالصين، ومنزلة الفئة الوسطى، فالأتقياء البررة يحكم عليهم بالحياة الأبدية، أما الآثمون الأشرار فيحكم عليهم بعقاب جهنم، استناداً إلى ما ورد في دانيال١٢/ ٢ "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي"، أما الفئة التي تتساوى حسناتها بسيئاتها فتهبط إلى جهنم لتتطهر من آثامها ثم تصعد، استناداً إلى ما ورد في ذكريا ١٣/ ٩: "وأدخِلِ الثُّلُثَ في النار وأُمَحِّصُهُم، كتَمحيصِ الفضة، وامتحنهم امتحانَ الذهب. هو يدعو باسمي وأنا أجيبه" وعنهم قالت حنة ما ورد في صموئيل أول ٢/ ٦: "الرب يميت ويحيي يُهبط إلى الهاوية ويُصعد".

ويرى بعض الباحثين أن أتباع هليل وأتباع شماي اتفقوا فيما بينهم في القرن الأول الميلادي حول المصير الذي ينتظر الأتقياء والآثمين في يوم الدينونة، ولكن اختلفوا حول المصير الذي ينتظر أولئك الذين هم وسط بين الآثمين والأتقياء،

(١) يعد يوم رأس السنة هو اليوم الذي يزن فيه الرب أعمال البشر ويحاسبهم على ما قدموه من أعمال في السنة الماضية، واستند علماء التلمود – ليدللوا على ذلك – إلى ما ورد في مزامير ٨١/ ٤: "انفخوا في رأس الشهر عند الهلال ليوم عيدنا، لأن هذه فريضة لإسرائيل حكم لإله يعقوب" (ראש השנה ח. א).

والذين أطلقت عليهم الفئة الوسطى، والتي تمثل الغالبية العظمى، فأتباع شماي يعتبروهم فئة وسطى بين الخير والشر؛ لذلك يرون أنهم سيهبطون إلى جهنم ويغوصون فيها ثم يصعدون ويتعافون، فالنار بالنسبة إليهم تُعتبَر مكانًا للتطهير، في حين يرى أتباعُ هليل الأكثرُ تساهُلاً، أن الرب سوف يعفو عنهم ولن يرسلهم إلى جهنم"[1].

ولم يتعرض علماء التلمود إلى وصف هذا اليوم ولكنهم ربطوا بينه وبين الثواب النهائي والذي أطلقوا عليه اسم "العالم الآتي"، فورد في باب "عفودا زارا" أي العبادات الأجنبية (עבודה זרה ה א) في سياق الحديث عن تحريم البيع والشراء مع الآخر (غير اليهودي)، كما تكرر ذلك في باب المرأة الجانحة (סוטה ג ב) في سياق الحديث عن ضرورة تحذير الرجل لزوجته التي يشك في سلوكها: "قال الربي شموئيل بر نحماني نقلاً عن الربي يوحنان: إن الحسنة تسبق صاحبها إلى العالم الآتي استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٥٨/ ١٨ "التقوى تسير أمامك ومجد الرب خلفك"، أما السيئة فإنها تلتصق بصاحبها وتسبقه إلى يوم الدينونة، استناداً إلى ما ورد في تكوين ٣٩/ ١٠ "إنه لم يسمع لها، أن يضطجع بجانبها، ليكون معها"، فجملة "أن يضطجع بجانبها" تعني يضطجع في هذا العالم، وجملة "ليكون معها" أي يلقى نفس مصيرها في العالم الآتي". فقد أوَّلَ علماء التلمود الفقرة الواردة في تكوين، حيث أخرجوا الفقرة من سياقها، فقد وردت هذه الفقرة في سياق الحديث عن يوسف - وهو يمثل نموذج الأتقياء - واشتهاء امرأة سيده له، وليس لها علاقة بفكرة التصاق السيئة بصاحبها في يوم الحساب أو العالم الآتي.

ويتضح من النص أن علماء التلمود ربطوا بين يوم الحساب والعالم الآتي، ظَنًّا منهم أن يوم الدينونة يحدث في العالم الآتي، وحذا المفسرون حذوهم، فورد في تفسير الخروج الكبير « שמות רבא פרשת בשלח פסקה כג » في سياق تفسير الفقرة

(1) - Moore.g.f: Judaism in the first centuries of Christian era, p318.

الواردة في خروج ١٥/ ١ "حينئذ رنم موسى": "فهذه الفقرة تشير إلى ما ورد في مزامير ٥٩/ ١٧ "أما أنا فَأُغَنِّي بقوتك، وأُرَنِّمُ في الصبح برحمتك". فالمقصود بجملة "أما أنا فَأُغَنِّي بقوتك" أي في العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ١٢/ ٢ "هو ذا الله خلاصي فأطمئن"، والمقصود بجملة "وأُرَنِّمُ في الصبح برحمتك" أي في صباح يوم الدينونة، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٢١/ ١٢ "قال الحارس أتى صباح وأيضاً ليل"". وهنا أيضاً لجأ المفسرون إلى تأويل النص وتفسيره تفسيراً رمزيًا فيرى المفسرون أن كلمة "الصبح" في سفر المزامير ٥٩/ ١٧ ترمز إلى صباح يوم الحساب.

ولقد أطلق المفسرون في تفسير تنحوما على ذلك اليوم اسم يوم الدينونة العظيم "יום הדין הגדול"، فورد في تفسير تنحوما (פרשת פקודי סימן ג) في سياق تفسير الفقرة الواردة في خروج ٣٨/ ٢١ "هذا هو المحسوب للمسكن" والتي تتحدث عن مقاييس بيت المقدس: "لقد أظهر الرب لإلياهو أربعة عوالم، استناداً إلى ما ورد في ملوك أول ١٩/ ١١-١٢ "فقال اخرج وقف على الجبل أمام الرب. وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال، وكُسِرَتِ الصخور أمام الرب، ولم يكن الرب في الريح، وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب في الزلزلة، وبعدَ الزلزلة نار ولم يكن الرب في النار. وبعد النار صوت منخفض خفيف". فجاء في التفسير أن الأربعة عوالم هي: "ريح عظيمة وشديدة" يقصد بها هذا العالم الذي يشبه الريح العابرة، "وبعد الريح زلزلة" ويقصد بها يوم الموت الذي يشبه الزلزلة التي تهز جسد الإنسان بأكمله، "وبعد الزلزلة نار" المقصود بها عذاب جهنم الملتهبة بالنار، "وبعد النار صوت منخفض خفيف" المقصود به يوم الدينونة العظيم الذي يتبع عذاب جهنم، استناداً إلى ما ورد في يوئيل ٢/ ١١ "لأن يوم الرب عظيم ومَخُوفٌ جداً فمن يطيقه"، وفي هذا اليوم لن يبقى سوى القدوس تبارك بمفرده في هذا العالم، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٢/ ١١ "ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم".

فيتضح من النص أن الرب في يوم الحساب سوف يظل بمفرده في هذا العالم، وربما يعد ذلك إشارةً إلى أن يوم الحساب يصاحبه بعث للموتى، فقد أشرت في الفصل السابق من هذه الدراسة إلى أنه عندما يأتي المسيح المخلِّص سوف يموت البشر جميعًا وفي اليوم الثالث من قدومه سوف يبعث الموتى.

بينما ينفي بعض المفسرين فكرة وجود عدالة إلهية أو وجود حساب لبني إسرائيل على ما اقترفوه من آثام، فيقدم هؤلاء المفسرون في تفسير سفر نشيد الأنشاد الكبير «שיר השירים רבא פרשה ב פסקה א» مشهداً من مشاهد العنصرية يخلو من أي نوع من أنواع العدالة الإلهية، وبالتالي ينفي هؤلاء المفسرون وجود فكرة حساب لبني إسرائيل، على العكس مما أشار إليه علماء التلمود والمفسرون السابقون، فعلى الرغم من اقتراف بني إسرائيل الآثام والكبائر، فإنهم لن يهبطوا إلى جهنم التي أعدها الرب للأمم الأخرى: "في العالم الآتي سوف يأتي حكام الأمم الأخرى لتوجيه الاتهام إلى بني إسرائيل أمام الرب ويقولون يا رب العالمين، إن هؤلاء قاموا بعباده الأوثان، وهؤلاء قاموا بعبادة الأوثان، وإن هؤلاء قاموا بغشيان المحارم، وهؤلاء قاموا بغشيان المحارم، إن هؤلاء سفكوا الدماء، وهؤلاء سفكوا الدماء، فلماذا يهبط هؤلاء إلى جهنم وهؤلاء لا يهبطون؟! فأجابهم الرب قائلاً: إن جميع الشعوب هبطت إلى جهنم مع آلهتها فقد ورد في ميخا: ٤/ ٥: "لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه، ونحن نسلك باسم الرب إلهنا إلى الدهر والأبد". فيتضح من النص أن المفسرين ينفون فكرة وجود عدالة إلهية، فرغم اقتراف بني إسرائيل الكبائر والمحرمات، فإنهم لن يهبطوا إلى جهنم، في حين تهبط الأمم الأخرى إلى جهنم بادعاء أنهم يهبطون مع آلهتهم.

أما عن الحساب في الديانة الزرادشتية فورد في نصوص "البندهيش": "أنه في يوم الحساب بعد أن ينهض جميع البشر، الآثِمُ والتَّقِيُّ، جميع المخلوقات البشرية سوف ينهضون من البقعة التي انفصلت حياتهم فيها، وبعدها يقف الجميع في

جماعات "ساوفاستارن" (الحساب الأخروي) وكل شخص يرى أعماله الطيبة وأعماله الشريرة وسوف يكون الآثم واضحًا مثل الخروف الأبيض بين الخرفان السوداء في هذه الجماعات، وسوف يفرزون الأتقياء من الآثمين فيلقى بالأتقياء في السماء ويرد الآثمين إلى الجحيم، وعلى مدار ثلاثة أيام سَيَلْقَى الآثمون العقاب الجسدي في الجحيم وبعد الأيام الثلاثة ينعمون بالسعادة السماوية؛ لأنه ورد أنه عندما يفترق الأتقياء عن الآثمين فإن دموع كل شخص تنهمر منه إلى أن تصل إلى سيقانه، وذلك بعد أن يفترق الأب عن بنيه، والأخ عن أخيه، والصديق عن صديقه، فيبكي التقي على الآثم، ويبكي الآثم على نفسه"[1].

بينما يرى العديد من الباحثين أنه بعد بعث الموتى سوف يأتي يوم الحساب النهائي وفيه ينقسم البشر إلى أتقياء وآثمين سواء من عاش منهم حتى هذه المرحلة أو من تم حسابه بعد الموت ثم بُعث وبعدها سوف يسلط الملائكة ناراً على الأرض تذيب المعادن التي في الجبال وتتدفق في نهر من النيران فوق الأرض وعلى الجميع عبور هذا النهر، وكما ورد في نصوص "البندهيش": "أن هذا النهر يكون بالنسبة إلى الأتقياء مثل الحليب الساخن، وبالنسبة إلى الآثمين مثل المعدن المنصهر الذي يكوي اللحم"، حيث يتطهر الآثمون من آثامهم لمدة ثلاثة أيام، وبعد عملية التطهير سوف يصب النهر في الجحيم فوق "أنجرامينو" إله الشر وبعدها يتلاشى الإثم إلى الأبد[2]، في حين يرى البعض الآخر من الباحثين أن الآثمين سوف ينجرفون في تيار النهر الذي يفنيهم، ويمحى أثرهم بعد عذاب أليم[3].

---

(1) Bundhishn: Translated by E. W. West, from *Sacred Books of the East,* volume 5, Oxford University Press, 1897.

(2) (Boyce) Mary: Zoroastrians, p28.

(Masumian) Farnaz: Life after death, Kalimate press ,2002, p24.

(إسماعيل) نوري: الديانة الزرادشتية مزديسنا، ص ٥٠-٥١.

(٣) (السواح) فراس: الديانة الزرادشتية وميلاد الشيطان، مجلة الأوان، ٢٠٠٧م.

يتضح من خلال ما سبق أن علماء التلمود قد تأثروا تَأَثُّرًا مباشراً بفكرة التطهير في الديانة الزرادشتية، فكما أن الآثمين في الديانة الزرادشتية سوف يتطهرون من آثامهم في المعادن المنصهرة التي تذوب في نهر يصب في الجحيم ثم يصعدون مرة أخرى ليلقوا نفس المصير الذي يلقاه الأتقياء، كذلك الفئة التي تتساوى حسناتها بسيئاتها في التلمود وكتب التفاسير سوف تهبط إلى جهنم لتتطهر من آثامها ثم تصعد مرة أخرى لتلقى المصير الذي يلقاه الأتقياء، فلقد ربط علماء التلمود بين هذا التطهير وبعض المعادن مثل الفضة والذهب وذلك من خلال استدلالهم بالفقرة الواردة في زكريا[1] ١٩/٣ "وأدخلِ الثُّلُثَ في النار وَمَحِّصْهُم كتمحيص الفضة، وامتحنهم امتحانَ الذهب، وهو يدعو باسمي وأنا أجيبه".

(١) اختلف الباحثون حول تأريخ سفر زكريا، فيرى بعض الباحثين أن سفر زكريا ينسب إلى النبي زكريا بن برخيا، وهؤلاء يسمون بأصحاب النظرية التقليدية، وينظرون إلى السفر بأصحاحاته الأربعة عشر على أنه يشكل وحدة واحدة، وأن زكريا بن برخيا قام بكتابته بعد العودة من السبي مباشرة، ومن هؤلاء الباحثين كوهلر وجورج ربينسون، في حين يرى أغلب الباحثين أن سفر زكريا ينقسم إلى قسمين الأول من الأصحاحات ١-٨، والقسم الثاني من الأصحاحات ٩-١٤ ولقد إنقسم الباحثون حول زمن تدوين القسم الثاني، فيرى فريق منهم أنه يعود إلى فترة ما قبل السبي ومنهم هاموند وفان أورتنبرج، ويرى فريق آخر أن هذا القسم يعود إلى فترة ما بعد السبي ومنهم جورج سميث وبفيفر، واعتقد فريق ثالث أن هذا القسم أيضاً لا يمثل وحدة واحدة بل ينقسم داخلياً إلى قسمين من الأصحاحات ٩-١١ ومن الأصحاحات ١٢-١٤ ومنهم شموئيل دافيدسون ودوهم. (انظر: (ناظم سلوى: سفر زكريا دراسة تاريخية لغوية، رسالة ماجستير تحت إشراف د. نازك عبد الفتاح، جامعة عين شمس كلية الآداب، ١٩٧٤م، ص ١٠٤-١٠٥-١٠٦).

المبحث الثاني

الثواب النهائي

أشرت في فصل "عالم الموتى" إلى وجود تضارب بين المصطلحات التي تشير إلى الثواب والعقاب، فعلى سبيل المثال يشير مصطلح "العالم الآتي" إلى الثواب الذي ينتظر الإنسان بعد الموت، وقال معلمو الجمارا والمفسرون في سبب تسميته "العالم الآتي"، ليس لأنه غير موجود الآن، ولكن لأننا نعيش اليوم في هذا العالم؛ لذلك وصف العالم الآخر بأنه ما سيأتي، وهو العالم الذي تحيا فيه أرواح الأتقياء بعد أن يخرج الإنسان من هذا العالم، ويشير هذا المصطلح في مواضع أخرى إلى الثواب الذي ينتظر الموتى بعد بعثهم من القبور وهذه النظرة هي السائدة في أغلب مناقشات التلمود.

فيرى بعض الباحثين أن "العالم الآتي" - كما صوره علماء التلمود - يشير إلى الثواب الذي ينتظر بني إسرائيل بعد إحياء الموتى وبعد الحساب النهائي، فهو يمثل مرحلة ثالثة من مراحل الفكر الأُخرويّ، وحجتهم في ذلك أن فكرة إحياء الموتى من القبور وردت في التلمود في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي[1]، وبالتالي يحاول هؤلاء الباحثون الربط بين فكرة إحياء الموتى، والحساب والثواب والعقاب النهائي، فالرب سوف يحيي الموتى في ثالث يوم من أيام المسيح وبعد ذلك يبدأ العالم الآتي، غير أن العالم الآتي يتفق في صفاته مع أيام المسيح مما أدى إلى الخلط بينهما، فوصف وطبيعة هذا العالم كما صوره علماء التلمود والمفسرون لا يختلف كثيراً عن الوصف الذي قدموه عن أيام المسيح، إذ يتناول الأتقياء وجبة عظيمة من الحيتان الطازجة في أيام المسيح، وتقسيم الأرض الزراعية على بني إسرائيل في أيام المسيح،

(1) - (Neuser) Jacob: Judaism in late antiquity , Brill publisher , 1995 , p 268.

ولأرض أرض إسرائيل النصيب الأوفر منها في أيام المسيح، جميعها أفكار تشير بشكل واضح في أسفار المقرا إلى العصر الذهبي (أيام المسيح)، ولكن معلمي الجمارا والمفسرين أخذوا يصورون خصائص ومزايا العالم الآتي، من خلال التصوير الذي قدمه الأنبياء في أسفارهم عن أيام المسيح.

وقد تنبه علماء التلمود إلى هذا الخلط وحاولوا أن يفصلوا بين أيام المسيح والعالم الآتي ويظهروا أن المصطلحَيْنِ يمثلان حقبتين مختلفتين، فورد في باب الذبائح (זבחים קיח ב) في سياق الحديث عن القرابين: "حدث خلاف بين علماء المشنا (التنائيم) حول تفسير الفقرة الواردة في تثنية ٣٣/ ١٢ التي وردت عن دعاء موسى لبنيامين قبل أن يموت موسى "يَستُرُهُ طول النهار وبين مَنْكِبَيْهِ يسكن"، ففسروا تلك الجملة تفسيراً بعيداً وقالوا إن "يستره" تشير إلى الهيكل الأول، وجملة "طول النهار" تشير إلى الهيكل الثاني، وجملة "بين منكبيه يسكن" تشير إلى أيام المسيح، بينما يقول رابي: إن الفعل "يستره" يفسر على أنه إشارة إلى هذا العالم، وجملة "طول النهار" إشارة إلى أيام المسيح، وجملة "بين مَنْكِبَيْهِ يسكن" إشارة إلى العالم الآتي.

كما ورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צא ב) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي، وتكرر ذلك في باب الفصح (פסחים סח א) عندما أورد علماء التلمود تناقضاً بين عدد من جمل المقرا: "أورد الربي "حسدا" تناقضاً بين فقرتين في العهد القديم، الأولى "ويخجل القمر وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك في جبل صِهْيَوْنَ وفي أورشليم وقدام شيوخه مجد" (إشعياء ٢٤/ ٢٣)، والثانية "ويكون نور القمر كنور الشمس ونور الشمس يكون سبعة أضعاف كنور سبعة أيام في يوم يجبر الرب كسر شعبه ويشفي رضَّ ضربه" (إشعياء ٣٠/ ٢٦)، لا تناقُض بين الجملتين فالجملة الأولى تشير إلى أيام المسيح والجملة الثانيه تشير إلى العالم الآتي".

وكما حاول علماء التلمود أن يَفْصِلُوا بين العالم الآتي وأيام المسيح كذلك فعل المفسرون، فورد في تفسير الربي إلياهو الصغير (תנא דבי אליהו זוטא פרק לא):

"إن الرب سوف يحيي الموتى بين أيام المسيح والعالم الآتي وإنه قد أحيا الموتى في هذا العالم على يد الصديقين، أمثال إلياهو وإليشع وحزقيال، وسوف يكون للصِّدِّيقِينَ عِزٌّ ومَجْدٌ في العالم الآتي كما كان لهم عِزٌّ ومَجْدٌ في هذا العالم مثل يهوشافاط".

كما ورد في تفسير تنحوما (פרשת עקב סימן ז) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تثنية ٨/ ١ "جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها لكي تَحْيَوْا وتَكْثُرُوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لكم": "قال علماؤنا: إن أيام المسيح سوف تستمر أَلْفَيْ عام، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٦٣/ ٤ "لأن يوم النقمة في قلبي وسنة مَفْدِيِّيَ قد أتت" وبعد أيام المسيح سيأتي العالم الآتي وفيه يظهر الرب بجلاله ومجده وتظهر ذراعه، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٥٢/ ١٠ "قد شَمَّرَ الرب عن ذراع قُدسه أمام عيون كل الأمم، فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا" وبعدها يرى بنو إسرائيل الرب، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٥٢/ ٨ "يُبصرون عَيْنًا لعين عند رجوع الرب إلى صِهْيَوْنَ". فهنا يحاول المفسرون الفصل بين أيام المسيح والعالم الآتي للإشارة إلى حقبتين مختلفتين على الرغم من أن جميع فقرات المقرا التي استند إليها المفسرون في التفسير السابق تشير إلى حقبة واحدة وهي حقبة أيام المسيح.

ولقد سجل التلمود اختلاف العلماء حول الفرق بين العالم الآتي وأيام المسيح، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צט א) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي، وتكرر ذلك في باب السبت (שבת סג א) في سياق تحريم خروج المرء يوم السبت بآلات الحرب: "قال الربي حيا بر آبا نقلاً عن الربي يوحنان: إن جميع الأنبياء لم يتنبؤوا إلا عن أيام المسيح ولكن بالنسبة إلى العالم الآتي فقد ورد في إشعياء ٦٤/ ٤ "لم تَرَ عيني إلهًا غيرَكَ يصنع لمن ينتظره"، فهو يختلف عن شموئيل الذي قال: إنه لا فارق بين هذا العالم وأيام المسيح إلا عبودية المنفي"، أي: إن بني إسرائيل سوف يتحررون من المنفى في أيام المسيح.

وعلى الرغم من أن علماء التلمود والمفسرين حاولوا الفصل بين أيام المسيح والعالم الآتي، إلا أن بعض المفسرين خلطوا بين كلا المصطلحين، فورد في تفسير سفر الجامعة الكبير (קוהלת רבא פרשה א פסקה ז): "ورد في الجامعة ٧/ ١" إلى المكان الذي جرت منه الأنهار إلى هناك تذهب راجعة" وهذا يعني أنه إلى المكان الذي يحتشد فيه الموتى فإنهم يعودون إلى العالم الآتي ويُنْشِدُونَ نشيداً عن أيام المسيح؟ وما هو سبب هذا التفسير؟ لأنه ورد في إشعياء ٢٤/ ١٦: "من أطراف الأرض سمعنا ترنيمة" كما ورد في إشعياء٢٦/ ١٩: "تحيا أمواتك وتقوم الجثث استيقظوا ترنموا يا سكان التراب لأن طلك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة".

العالم الآتي خُلق لبني إسرائيل

أشار علماء التلمود والمفسرون أن العالم الآتي خُلق لبني إسرائيل، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צ א) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي: "جميع بنى إسرائيل لهم نصيب في العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٦٠/ ٢١: "وجميع شعبك أبرار إلى الأبد يرثون الأرض غصن غرسي لكي أتمجد".

كما ورد في باب القرابين (מנחות נג ב) في سياق الحديث عن قربان الشكر (لاويين ٧/ ١٢): "قال الربي يهوشع بن ليفي: لماذا يشبه بني إسرائيل شجرة الزيتون؟ لأن شجرة الزيتون لا تفقد أوراقها صيفاً ولا شتاءً، كذلك بنو إسرائيل لا يُفقدون لا في هذا العالم ولا في العالم الآتي".

ولقد أشار المفسرون إلى العالم الآتي خلق في الأساس من أجل بني إسرائيل وذلك في تفسير سفر الخروج الكبير (שמות רבא פרשה א פסקה א) في سياق تفسير الفقرة الواردة في خروج ١/ ١ "وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر"، كما تكرر ذلك في مناقشات التلمود وبالتحديد في باب الأدعية (ברכות ה ב) في سياق الحديث عن قراءة "اسمع": " ورد في (برايتا) أن الربي شمعون بن يوحاي

قال: لقد منح القدوس تبارك بني إسرائيل ثلاث عطايا وجميعها لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال الآلام وهي: التوراة وأرض إسرائيل والحياة في العالم الآتي، التوراة استناداً إلى ما ورد في مزامير ٩٤/ ١٢ "طوبى للرجل الذي تؤدبه يا رب وتعلمه من شريعتك"، وأرض إسرائيل، استناداً إلى ما ورد في تثنية ٨/ ٥ "فاعلم في قلبك أنه كما يؤدب الإنسان ابنه يؤدبك الرب" وورد في الفقرة التي تليها "لأن الرب إلهك آت بك إلى أرض"، والحياة في العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد في أمثال ٦/ ٢٣ "لأن الوصية مصباح والشريعة نور وتوبيخات الأدب طريق الحياة".

أما عن اشتراك غير اليهود في العالم الآتي فقد اختلف علماء التلمود فيما بينهم حول هذا الأمر، فيرى الربي إليعزر بن هيركانوس أنه لا نصيب لغير اليهود في العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٩/ ١٧ " الأشرار يرجعون إلى الهاوية، وكل الأمم الناسين الله" ففسروا أن من يرجع إلى الهاوية هم الآثمون من بني إسرائيل، والناسون اللهَ هم الأغيار، في حين يرى الربي يهوشع بن حنينا أن أتقياء الأمم الأخرى لهم نصيب في العالم الآتي، ذلك لأن أتقياء الأمم الأخرى يعترفون بوصايا الرب.

كما اختلف الربي يهوشع أيضاً مع الرباني جمليئيل حول اشتراك الأغيار في العالم الآتي، فيرى الأخير أن الأغيار لا نصيب لهم في العالم الآتي، في حين يرى الربي يهوشع أن الأغيار لهم نصيب في العالم الآتي، ولكن ما اتفق عليه الجميع أن آثمي الأمم الأخرى ليس لهم نصيب في العالم الآتي[1].

وورد في باب الصوم (תענית כט א) أن غير اليهود سوف يشاركون بني إسرائيل في العالم الآتي ولكن ذلك يحدث بناء على رغبة بني إسرائيل: "ورد في (برايتا): أنه عندما دُمِّرَ الهيكل، حكم على الرباني جمليئيل بالموت، فأتى الضابط الروماني إلى المدرسة الدينية (بيت المدراش) ليقبض عليه، فعندما سمع الرباني

(١) باب سنهدرين، ظهر صفحة ١١٠ (סנהדרין קי ב).

جمليئيل ذلك اختبأ، لكن الضابط تتبعه حتى قبض عليه، فقال له الضابط: إذا خلصتك من هذا الحكم هل تأتي بي إلى العالم الآتي؟ فقال له الرباني جمليئيل: نعم! فقال له الضابط: أقسم لي بذلك، فأقسم له الرباني جمليئيل، فصعد الضابط على السطح وألقى بنفسه من فوقه فمات. ومن عادة الرومان أنه إذا مات أحد منهم عند تنفيذ أمر، فيلغى هذا الأمر (يقول راشي في تعليقه الموجود في نفس الصفحة: لأن هذا الموت يشير إلى أن هذا الأمر ظالم)، عندئذ صدر صوت من السماء يقول: إن هذا الضابط الروماني له نصيب في العالم الآتي".

ولقد تكررت نفس النظرة العنصرية في كتب التفاسير، والتي ترى أن العالم الآتي خُلق لبني إسرائيل، وأنهم اسْتَغَلُّوا ذلك في تسخير غير اليهود لخدمتهم، في مقابل أن يسمحوا لهم بالحياة في العالم الآتي، فورد في كتاب تفسير "فصول الربي إليعزر" (פרקי דרבי אליעזר פרק לב)[1]: "سأل عماليق أبيه أليفاز التيماني[2]: يا أبي من سيرث هذا العالم والعالم الآتي، فقال أليفاز التيماني لعماليق: يرث بنو إسرائيل هذا العالم والعالم الآتي، فلتخرج وتحفر لهم الآبار وتعد الطرقات من أجلهم وإذا فعلت ذلك سوف يكون لك نصيب معهم في العالم الآتي".

بينما ينفي بعض المفسرين اشتراك غير اليهود في العالم الآتي، فيرى المفسرون أن عبدة الأوثان ليس لهم نصيب في العالم الآتي لذلك مباح لهم التمتع بجميع متع الحياة،

---

(١) كتاب تفسير ينسب إلى إليعزر بن هيركانوس، ويحتوي على اثنين وخمسين فصلاً، ولغته موجزة ومختصرة مثل لغة المشنا، ويرى أغلب الباحثين أن زمن تأليفه يعود إلى القرن الثامن الميلادي، وأنه تم تأليفه في أحد البلدان الإسلامية (مصر أو المغرب).

(אייזענשטיין) יהודה דוד 'אוצר מדרשים' במהדורה מקוונת ، כרך ב', באתר

Hebrew Books (*www.hebrewbooks.org)*.

(٢) عماليق بن أليفاز التيماني ابن عيسو (أخو يعقوب)، الذي ولد من جارية تسمى تمناع (تكوين ٣٦/ ١٢)، والذي جاء من نسله شعب عماليق، أول الشعوب التي حاربت بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر (خروج ١٧/ ٨).

فورد في تفسير سفر اللاويين الكبير (ויקרא רבא פרשה שמיני פסקה ב) في سياق تفسير الفقرة الواردة في لاويين ٩/ ١ "وفي اليوم الثامن دعا موسى هارون وشيوخ إسرائيل": "قال الربي تنحوما بن حنيلاي: إن الأمر شبيه بالطبيب الذي قام بزيارة اثنين من المرضى، أحدهما يمكن شفاؤه، أما الآخر فميؤوس من شفائه، فقال للمريض الذي يمكن شفاؤه: تأكل هذا ولا تأكل ذلك أما المريض الآخر الميؤوس من شفائه فقال: كل ما يريده أعطوه له. كذلك الأمر بالنسبة إلى عبدة الأوثان الذين ليس لهم نصيب في العالم الآتي فقد فسروا ما ورد في تكوين ٩/ ٣ "كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع" تفسيراً بعيداً وأنه يعني غير اليهود فهم كالعشب الأخضر الذي لا يبعث بعد الموت ولا يحيا إلا مرة واحدة، ولكن بني إسرائيل لهم نصيب في العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد عنهم في تثنية ١٤/ ٤: "هذه هي البهائم التي تأكلونها".

كما ورد في تفسير سفر الجامعة الكبير (קוהלת רבא פרשה א פסקה ט) : قال علماؤنا: إنه في المستقبل الآتي سوف يعلن الرب قائلاً: من لم يأكل لحم خنزير في حياته يأتي لكي يأخذ أجره، وكثير من أمم العالم الأخرى لم يأكل لحم خنزير في حياتهم فيأتون ليَحْصُلُوا على أجرهم، عند ذلك يقول الرب: هل تريدون أن تحصلوا على أجر في هذا العالم والعالم الآتي؟ ألم تكتفوا بالأكل في عالمكم (هذا العالم) هل تريدون أن تأكلوا في عالم أبنائي أيضاً؟ وفي ذلك الوقت يعلن الرب مرة أخرى قائلاً: كل من لم يأكل لحم جيفة أو فريسة أو زواحف أو دبيب يأتي ويأخذ أجره (وقتها لن يجد أحداً من أمم العالم لم يأكل هذه الأشياء). فبهذا التفسير يحاول هؤلاء المفسرون تضييقَ الخناق على غير اليهود، للإشارة إلى عدم مشاركتهم في العالم الآتي.

الحرمان من العالم الآتي

على الرغم من أن علماء التلمود يرون أن جميع بني إسرائيل سوف يَحْظَوْنَ بالحياة في العالم الآتي، فإنهم يستثنون بعض الأشخاص، بل ويستثنون بعض

الأجيال، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין קד צ א) في سياق الحديث عن المحزومين من العالم الآتي: "ثلاثة ملوك وأربعة من العامة (הדיוטות) ليس لهم نصيب فى العالم الآتي، الثلاثة الملوك هم: يربعام[1] وآحاب[2] ومنشيّ، فقال الربى يهودا: إن منشيَّ له نصيب فى العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد فى أخبار أيام ثاني ٣٣/ ١٣ "وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده إلى أورشليم إلى مملكته"،

---

(١) يربعام بن نباط أحد ملوك إسرائيل الذي حكم بعد انقسام مملكة سليمان (٩٢٨ ق.م-٩٠٧ ق.م)، ووَفْقًا لما ورد في سفر ملوك أول ١١/ ٢٦ يعتبر يربعام واحداً مَن أبناء سبط أفرايم من مدينة صردة، والذي تمرد على مملكة سليمان بسبب النبوءة التي تنبئها من أجله "أخيا الشيلوني" بأنه سوف يصبح ملكاً على إسرائيل، الأمر الذي جعله يهرب إلى مصر خوفاً من سليمان ويظل هناك حتى موت سليمان، لكن بعد انقسام المملكة عاد مرة أخرى ليصبح ملكاً على مملكة إسرائيل، ولقد ورد في سفر ملوك أول، الأصحاح الثاني عشر بعض الأعمال التي قام بها بعدما أصبح ملكاً ومنها: أقام مراكز عبادة جديدة في دان وفي بيت إيل حتى لا يذهب بنو إسرائيل إلى مراكز العبادة في أورشليم، حيث وضع فيهما عجلين من الذهب – عين كهنة من جميع الأسباط وليس من سبط اللاويين فقط - استحدث بعض الأعياد بديلة للأعياد التي كان يحتفلون بها في يهودا؛ لذلك يرى علماء التلمود في الشرح (الجمارا) أن سبب حرمان يربعام من العالم الآتي أنه ذل بني إسرائيل وزرع المكيدة بينهم وبين ربهم؛ لذلك حُرم من العالم الآتي استناداً إلى ما ورد في ملوك أول ١٣/ ٣٤ "وكان في هذا الأمر خطيئة بيت يربعام وخراب ودمار من على وجه الأرض" المقصود خراب في هذا العالم ودمار في العالم الآتي.

(٢) أحاب بن عمري أحد ملوك إسرائيل الذي حكم لمدة ٢٢ عاماً من ٨٧٤- ٨٥٢ ق.م وورد عنه في ملوك أول ١٩/ ٢٩ أنه فى أثناء فترة حكمه كان يحافظ على العلاقات بين مملكة إسرائيل ومملكة يهودا، لدرجة أنه زوج ابنته إلى ملك يهودا، كما توسعت مملكة إسرائيل في فترة حكمه وتفوقت على مملكة يهودا، لكن من الآثام التي ارتكبها: أن أقام مذبحاً للإله الكنعاني بعل - عبد الإله بعل وسجد له – تزوج من امرأة كنعانية تسمى إيزابيل؛ لذلك يرى علماء التلمود في الشرح (الجمارا) أن سبب حرمان آحاب من العالم الآتي أنه نشر عبادة الأوثان بين بني إسرائيل، وكان يسجد لها؛ لذلك حرم من العالم الآتي استناداً إلى ما ورد في ملوك أول ٢١/ ٢١" أقطع لآحاب كل بائل بحائط ومحجوز ومطلق في إسرائيل" المقصود محجوز في هذا العالم ومطلق في العالم الآتي.

فقال له العلماء: أعاده إلى ملكه وليس إلى الحياة في العالم الآتي، أما عامة الشعب الأربعة فهم: بلعام[1] ودوئيج[2] وأحيتوفيل[3] وجيحزى[4]".

كما أشار علماء التلمود إلى أن هناك أجيالاً كاملةً لن تحظى بالحياة في العالم الآتي وهم:

- جيل الطوفان[5] ليس له نصيب فى العالم الآتي ولن يحاسب، استناداً إلى ما ورد فى تكوين ٦/ ٣ "فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد"، فسر العلماء هذه

(١) بلعام بن بعور الآرامي ورد عنه في سفر العدد الأصحاح ٢٢-٢٤ أنه نبي الأغيار الذي أرسله بالاق ملك موآب ليلعن بني إسرائيل لكن الرب حول اللعنة في فمه إلى بركة، لكن ورد في سفر العدد ٣٢/ ١٦ أنه بعد فشل محاولته في لعنة بني إسرائيل نصح بلعام الموآبين نصيحة تمكنهم من الانتصار على بني إسرائيل، كما ورد في سفر العدد ٣١/ ٨ وفي سفر يشوع ١٣/ ٢٢ أن بني إسرائيل قتلوا بلعام في ساحة المعركة بينهم وبين أهل مدين، أما بالنسبة إلى حرمانه من العالم الآتي فقد اختلف علماء التلمود حول السبب وراء حرمان بلعام من الحياة في العالم الآتي، فهناك من يرى أنه كان يعمل بالسحر، وهناك من يرى أنه ضاجع جحشه .

(٢) دوئيج الأدومي ورد عنه في سفر صموئيل أول ٢١/ ٨ أنه عبد من عبيد شاؤول فكان رئيساً لرعاة غنمه، وهو الذي حرض الملك شاؤول على أخيمالك، الأمر الذي دفع شاؤول أن يأمر دوئيج بقتل الكهنة في مدينة نوب، فذهب وقتل جميع سكان مدينة نوب من رجال ونساء وأطفال ورُضَّع كما قتل ٨٥ كاهنًا .

(٣) أجيتوفيل الجيلوني نسبة إلى مدينة جيلا ورد عنه في سفر أخبار أيام أول ٢٧/ ٣٣ أنه مستشار الملك داود، لكن ورد في صموئيل ثاني ١٦/ ٢١-٢٢ أنه أصبح مستشاراً لأبشالوم الذي تمرد على داود أبيه، لكن بعد صد هذا التمرد انتحر أحيتوفيل في مدينته ودفن في قبر أبيه (صموئيل ثاني ١٧/ ٢٣) .

(٤) جيحزي غلام اليشع الذي ورد عنه في سفر ملوك ثاني الأصحاح الرابع والخامس أنه كان يرافق إليشع عندما كان يقوم بمعجزاته، فورد أنه بعدما شفى إليشع الملك الآرامي نعمان من البرص رفض أن يأخذ مقابل هذا العمل، لكن جيحزي غلامه ذهب إلى الملك نعمان دون علم سيده ليحصل على هذا المقابل، وعندما علم إليشع بذلك لعنه هو ونسله، فأصابه البرص .

(٥) جيل نوح الذي ورد عنه في المقرا أنه فعل الشر أمام عيني الرب لدرجة أن الرب ندم على أنه خلق البشر؛ لذلك أمر الرب نوحاً أن يصنع الفلك لأنه سيعاقب هذا الجيل بالطوفان (انظر سفر التكوين الأصحاح السادس) .

الفقرة أنها تعني أنه لن يقوم إلى الحساب ولن تبث فيه الروح (ليكون مع الصديقين فى العالم الآتي).

- الجيل الذي بنى برج بابل[1] ليس له نصيب فى العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد فى تكوين ١١/ ٨ "فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض" وورد فى الفقرة التالية "ومن هناك بددهم الرب"، فجملة "فبددهم الرب" تعني فى هذا العالم، وجملة "ومن هناك بددهم" تعني فى العالم الآتي .

- أهل سدوم[2] ليس لهم نصيب فى العالم الآتي ، استناداً إلى ما ورد فى تكوين ١٣/ ١٣ " وكان أهل سدوم أشرارًا وخُطَاةً لدى الرب "، " أشرارًا " فى هذا العالم "وخُطَاةً لدى الرب" في العالم الآتي. لكنهم سوف يحاسبون، فقال الربى نحميا: كلاهما (جيل الطوفان وأهل سدوم)، لن يحاسبا، حيث ورد فى مزامير ١/ ٥ "لذلك لا تقوم الأشرار في الدين ولا الخطاة في جماعة الأبرار"، فجملة "لا تقوم الأشرار في الدين" المقصود جيل الطوفان، وجملة "ولا الخطاة في جماعة الأبرار"

(١) الجيل الذي جاء بعد جيل نوح، والذي أطلق عليه جيل البلبلة، حيث ورد في سفر التكوين، الأصحاح الحادي عشر: أن هذا الجيل كان في أرض بابل (شنعار) قام ببناء برج رأسه في السماء، وعندما شاهد الرب ذلك البرج بلبل ألسنة البشر (انظر سفر التكوين الأصحاح الحادي عشر).

(٢) سدوم هي إحدى المدن التي تقع في دائرة الأردن، ولقد ورد ذكر سدوم في المقرا للمرة الأولى في سفر التكوين الأصحاح الثالث عشر عندما انفصل لوط عن إبراهيم وأقام في دائرة الأردن في مدينة سدوم، التي ورد عن أهلها في تكوين ١٣/ ١٣ "وكان أهل سدوم أشرارًا وخطاة لدى الرب"، لكن لم يشر السفر إلى سبب وصفهم بالخطاة والأشرار؛ لذلك أرسل الرب مَلَكَيْنِ إلى لوط ليأمراه بالابتعاد عن هذه المدينة، وعندما علم أهل سدوم بذلك ذهبوا إلى بيت لوط وقالوا له ما ورد في تكوين ١٩/ ٥ "أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة؟ أخرجهما إلينا لنعرفهما"، وفي تفسير هذه الفقرة في تفسير التكوين الكبير (פרשת וירא פסקה מא) ورد أن أهل سدوم كانوا يرغبون في مضاجعة الرجلين وذلك استناداً إلى ما ورد في تكوين ١٩/ ٨ "لم تعرفا رجلاً؟!".

المقصود أهل سدوم ، فقال له الحكماء : لن يقوم الخُطَاةُ مع الأبرار ، ولكنهم سيقومون مع الآثمين.

– جيل التيه في البرية[1] ليس له نصيب فى العالم الآتي، ولن يحاسبوا، استناداً إلى ما ورد فى سفر العدد ١٤/ ٣٥ "فى هذا القفر يَفْنَوْنَ وهناك يموتون" وذلك وَفْقًا لرأي الربى عقيفا، أما الربى إليعزر فاستند إلى ما ورد فى مزامير ٥٠/ ٥ "اجمعوا لي أتقيائي القاطعين عهدي على ذبيحة".

– جماعة قورح بن يصهار[2] لن تصعد من الهاوية فى المستقبل، استناداً إلى ما ورد فى عدد ١٦ / ٣٣ " فنزلوا وكل من كان لهم من أحياء إلى الهاوية، وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة"، ففسروا فقرة "وانطبقت عليهم الأرض" أي فى هذا العالم، وفسروا فقرة " فبادوا من بين الجماعة " أي فى العالم الآتي، ذلك

---

(١) لم يرد هذا المصطلح في نصوص المقرا، ولكنه ورد في التلمود وكتب التفاسير، ليشير إلى جيل التيه الذي خرج مع موسى من مصر متجهاً إلى أرض كنعان، والذي كتب عليه الموت في الصحراء بسبب آثامه ولم يدخل أرض كنعان، وتتمثل آثام هذا الجيل في رفضهم دخول أرض كنعان خوفاً من الشعوب التي كانت تقيم فيها قائلين ما ورد في عدد ١٤/ ٢ "وتذمر على موسى وعلى هارون جميعُ بني إسرائيل، وقال لهما كل الجماعة: ليتنا مِتنا في أرض مصر! أو: ليتنا متنا في هذا القفر!" ثم ورد بعدها "فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر"، لذلك كان مصيرهم الموت في الصحراء كما ورد في سفر العدد ١٤/ ٢٩ "في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً الذين تذمروا عليَّ".

(٢) ورد في سفر العدد الأصحاح السادس عشر إنها الجماعة التي تمردت على موسى وهارون وكان على رأسهم قورح بن يصهار بن قهت بن لاوي وكان معه ٢٥٠ من رؤساء بني إسرائيل من بينهم داتان وأبيرام من سبط رؤبين حيث اعترضوا على قيادة موسى وهارون لهم قائلين ما ورد في سفر العدد ١٦/ ٣ "فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما: كفاكما أن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب، فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب"؛ لذلك كان مصيرهم أن الأرض انشقت وابتلعتهم، كما ورد في عدد ١٦/ ٣٢ "وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكلَّ ما كان لقورح مع كل الأموال".

وَفْقًا لرأي الربى عقيفا، أما الربى إليعزر يقول: لقد ورد عنهم فى صموئيل أول ٢/ ٦ "أن الرب يحيي ويميت، يهبط إلى الهاوية ويصعد". فيرى الربي إليعزر أن هذه الجماعة لها نصيب في العالم الآتي، لكنَّ الفِقْرَةَ التي استند إليها الربي إليعزر والواردة في سفر صموئيل أول لم تتحدث عن جماعة قورح بن يصهار ولكنها تتحدث عما قالته حنة في صفات الرب عندما حملت بالنبي صموئيل، فالربي إليعزر أخرج الفقرة من سياقها ليُدَلِّلَ على أن جماعة قورح بن يصهار لها نصيب في العالم الآتي، وهذا ما لم يذكره نص المقرا.

- الأسباط العشرة[1] (التي سباها ملك آشور) لن يعودوا (إلى الحياة) فيما سيأتي، استناداً إلى ما ورد فى تثنية ٢٩/ ٢٨ "واستأصَلَهُمُ الرب من أرضهم بغضب وسخط عظيم، وألقاهم فى أرض أخرى كما فى هذا اليوم" وبما أن هذا اليوم يذهب ولن يعود، كذلك هم يذهبون ولن يعودوا، ذلك وفقاً لرأي الربى عقيفا، أما الربى إليعزر يقول: بما أن اليوم يظلم فى المساء ويشرق فى الصباح، كذلك الأسباط العشرة يظلمون فى هذا العالم ويشرقون فى العالم الآتي (فهو يرى أن الأسباط العشرة لهم نصيب في العالم الآتي).

---

(١) الأسباط العشرة التي انشقت عن سبطي يهوذا وبنيامين في فترة انقسام المملكة، حيث أقامت تلك الأسباط في مملكة إسرائيل تحت حكم يربعام بن نباط فورد في سفر ملوك أول ١٢/ ٣١ أن النبي أخيا الشيلوني قسم رداءه إلى اثنتي عَشْرة قطعة، وأعطى إلى يربعام بن نباط عشر قطع قائلاً له "خذ لنفسك عشر قطع، لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل هأنذا أُمَزِّق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط"، كما ورد قبلها في ملوك أول ١٢/ ٢١ "ولما جاء رحبعام (ملك يهودا) إلى أورشليم جمع كل بيت يهوذا وسبط بنيامين ليحاربوا بيت إسرائيل". ولقد حدث السبي الآشوري للأسباط العشرة عام ٧٣٣ قبل الميلاد، وانتهى هذا السبي عام ٧٢٢ قبل الميلاد على يد سرجون الثاني، فقد ورد في ملوك ثاني ١٥/ ٢٩ "في أيام فقح ملك إسرائيل جاء تجلت بلاسر ملك آشور وأخذ عيون وآبل ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالي وسباهم إلى آشور" كما ورد في ملوك ثاني ١٧/ ٧ "وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبى إسرائيل إلى آشور".

– سكان المدينة الضال أهلها[1] ليس لهم نصيب فى العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد فى تثنيه ١٣/ ١٣: "قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتهم قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها".

– من أشاعوا الرعب في قلوب بني إسرائيل (מרגלים)[2] ليس لهم نصيب فى العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد فى سفر العدد ١٤/ ٣٧ "فمات الرجال الذين أشاعوا المذمة الرديئة على الأرض بالوباء أمام الرب" فإنهم يموتون فى هذا العالم ويلحق بهم الوباء فى العالم الآتي.

كما أشار علماء التلمود في العديد من المواضع إلى أن هناك بعضَ الأعمال تؤدِّي إلى الحرمان من العالم الآتي، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין צ ב) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي، وتكرر ذلك في باب العبادات الأجنبية

(١) في التشريع اليهودي "المدينةُ الضالُّ أهلُها" هي المدينة التي ضل أهلها واتجهوا لعبادة الأوثان بتأثير المضلين والمغوين وقد وردت أحكام المدينةِ الضالِّ أهلُها في تثنية ١٣/ ١٣-١٩. وإذا تبين لدار القضاء (سنهدرين) أنه توجد مدينة ضل أهلها في إحدى المدن اليهودية يخرج جميع اليهود لمحاربتهم، وإذا شهد الشهود بأن معظم أهل المدينة قد عبدوا الأوثان فإنهم يُقتَلون بحد السيف وحتى الأطفال والنساء ثم تُحرَّقُ جميع أسلابها بالنار ويُحرم إعادة بناء المدينة، فورد في تثنية ١٣ / ١٥-١٦ "فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلا إلى الأبد لا تبنى بعد".

(٢) الرجال الذين جمعهم موسى من الأسباط الاثني عشر ليتجسسوا على أرض كنعان بعد خروج بني إسرائيل من مصر وإقامتهم في الصحراء، وكان من بينهم يشوع بن نون وكالب بن يفنة، وبعد عودة هؤلاء الرجال من أرض كنعان بثوا الرعب في صدور جيل التيه، كما ورد في عدد ١٣/ ٣٢ "فأشاعوا مذمة الأرض التي تجسسوها في بني إسرائيل قائلين: الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها، وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة" الأمر الذي جعل جيل التيه يرفض دخول أرض كنعان – كما أشرت سابقاً إلى ذلك – كان مصير من بثوا الرعب الموت كما ورد في عدد ١٤/ ٣٧ "فمات الرجال الذين أشاعوا المذمة الرديئة على الأرض بالوباء أمام الرب"، ما عدا يشوع بن نون، وكالب بن يفنة.

(עבודה זרה יח א) في سياق الحديث عن فضل دراسة التوراة: "من يقوم بالأعمال الآتية يحرم من العالم الآتي: من يقول: إنه لم يَرِدْ في التوراة إحياء الموتى، ومن يقول: إن التوراة لم يُوحَ بها من السماء، والأبيقوري[1]، ويقول الربى عقيفا: وكذلك من يقرأ الأسفار الخارجية[2] ومن يعمل بالسحر[3] ويقول في سحره ما ورد في خروج ١٥/ ٢٦: "فقال إن كنت تسمع لصوت الرب إلهك، وتصنع الحق في عينيه، وتصغي إلى وصاياه، وتحفظ جميع فرائضه، فمرض ما مما وضعته على المصريين لا أضع عليك، فإني أنا الرب شافيك"، ويقول آبا شاؤول: وكذلك من ينطق اسم الرب صراحة".

ونجد في شرح هذا التشريع (الجمارا) أن علماء التلمود حاولوا نفي وجود علاقة بين مصطلح "أبيقوروس" والفيلسوف اليوناني أبيقور (٣٤٢-٢٧٠ ق.م)، فأشاروا إلى أن هذا المصطلح مشتق من الجذر العبري "ب-ق-ر" بمعنى كفر وهرطق، كما اختلف المشرِّعون (التنائيم) حول تفسير هذا المصطلح، فيرى راف والربي حنينا أن هذا المصطلح يشير إلى كل من يحتقر دارس الشريعة، بينما يرى الربي يوحنان والربي يهوشع بن ليفي أن هذا المصطلح يشير إلى من يحتقر صاحبه أمام دارس الشريعة.

كما اختلف الباحثون فيما بينهم حول مفهوم هذا المصطلح في نص التلمود، فيرى بعضهم أن علماء التلمود استخدموا هذا المصطلح لا بغرض الإشارة إلى أتباع مذهب الفيلسوف اليوناني أبيقور، لكن ليشيروا بشكل عام إلى كل من ينكر تعاليم علماء التلمود، سواء من اليهود أو غير اليهود، ولقد اعتمدوا في تأييد وجهة نظرهم على شرح علماء التلمود السابق وعلى نصٍّ آخَرَ من نصوص التلمود ورد في باب

---

(١) انظر هامش ص ١٧.

(٢) يرى علماء التلمود في الشرح (الجمارا) أن المقصود بالأسفار الخارجية: الكتب التي تنسب إلى الصدوقيين (انظر هامش ص ٣).

(٣) يرى علماء التلمود في الشرح (الجمارا) أن بعض الشرّاح يحرمون العمل بالسحر في يوم السبت فقط، بينما يحرم البعض الآخر ذلك تحريماً تاماً.

سنهدرين (סנהדרין לח ב)[1]، ويرى البعض الآخرُ من الباحثين أن هذا المصطلح يشير إلى كل من ينتمي إلى فرقة الصدوقيين، وقدِ اعتمدوا في تأييد وجهة نظرهم على تفسير يوسيفوس لسفر دانيال، فأشار يوسيفوس في تفسيره إلى أن أغلب المعتقدات والأفكار التي كان يتبناها كل من أطلق عليه علماء التلمود مصطلح "أبيقوروس" كانت تنطبق على الصدوقيين[2].

ولقد أضاف علماء التلمود والمفسرون أعمالاً أخرى تؤدي إلى الحرمان من العالم الآتي بالإضافة إلى الأعمال السابقة، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין צט א) في سياق شرح التشريع السابق، كما ورد في تفسير سفر الجامعة الكبير (קוהלת רבא פרשה ג פסקה יח): "قال الربي إليعزر المودعي[3]: من يدنس المقدسات، ومن يحتقر الأعياد، ومن ينقض عهد إبراهيم أبينا، ومن يفسر التوراة مخالفاً للشريعة، ومن يَشِينُ صاحبه عَلَنًا حتى وإن كان دارساً للشريعة وصاحبَ أعمال طيبة: فليس له نصيبٌ في العالم الآتي".

وكما أشار علماء التلمود والمفسرون في النصوص السابقة إلى الأعمال التي تَحْرِمُ صاحبها من دخول العالم الآتي، فقد أشاروا إلى أن هناك بعضَ الأعمال التي تجعل صاحبها يحظى بالحياة في العالم الآتي، فورد في باب الفصح (פסחים קיג א): "قال الربي يوحنان: ثلاثة سوف يرثون العالم الآتي وهم: من يقيم في أرض إسرائيل، من

(١) حيث ورد في باب سنهدرين (סנהדרין לח ב) "قال الربي إليعزر: اجتهد في دراسة الشريعة وتعلم كيف ترد على "الأبيقوروي"، فقال الربي يوحنان: إن هذا يتعلق بـ"الأبيقوري" من غير اليهود، أما "الأبيقوري" من بني إسرائيل فإن كفره أعظم والمناقشة معه لا تجدي".

(Danby) Herbert: Tractate Sanhedrin Mishnah and Tosefta:, forgotten Books, 1933, p146.

(2) - (Elledge) Casey Deryl: life after death, Mohr Siebeck, 2006, p115.

- (Schiffman) Lawrence H: Who was a Jew, KTAV publishing house,1985, p44-45.

(٣) ينتمي إلى الجيل الثالث من التنائيم.

يربي أبناءه على دراسة الشريعة، من يتلو دعاء (الهفدالا)[1] على كأس عصير العنب يوم السبت".

بينما ورد في رواية أخرى عن الربي يوحنان أن مجرد السير في أرض أرض إسرائيل يؤدي إلى الحياة في العالم الآتي، فورد في باب وثيقة الزواج (כתובות קיא א) في سياق الحديث عن فضل أرض أرض إسرائيل: "ماذا يعني ما ورد في إشعياء ٤٢/ ٥ "الساكنين فيها روحاً"؟ إنها تشير إلى ما رواه الربي إرميا عن الربي يوحنان: أن كل من يسير أربعة أذرع في أرض إسرائيل سوف يحظى بالحياة في العالم الآتي".

لكن في رواية ثالثة عن الربي يوحنان يشير علماء التلمود إلى أعمال أخرى تختلف عن الأعمال الواردة في الروايتين السابقتين، فورد في باب السبت (שבת קכז א): "قال الربي يهودا بر شيلا نقلاً عن الربي آسي نقلاً عن الربي يوحنان: ستة أشياء إذا فعلها المرء في هذا العالم يحظى بالحياة في العالم الآتي وهي: إكرام الضيف، زيارة المرضى، الخشوع في الصلاة، الذهاب مبكراً إلى المدارس الدينية، تربية الأبناء على دراسة الشريعة، المحافظة على حقوق صاحبه. ليس الأمر كذلك! فلقد شرعنا: ثلاثة أشياء إذا فعلها المرء في هذا العالم يحظى بالحياة في العالم الآتي وهي: احترام الوالدين، الصدقات، إفشاء السلام، ودراسة الشريعة تفوقهم جميعاً".

نعيم الأتقياء في العالم الآتي:

رسم علماء التلمود والمفسرون أكثر من صورة للأتقياء في العالم الآتي، أولها أن الأتقياء سوف يتمتعون بالخلود، فلن يتعرض الأتقياء للموت في العالم الآتي، ويستشهد المفسرون على ذلك بالفقرة الواردة في إشعياء ٢٥/ ٨ "يبلع الموت إلى

---

(١) تعني كلمة "هفدالا" (فرقان أو فصل بين الأشياء) وهي عبارة عن مجموعة من الأدعية تتلى على كأس عصير العنب المختمر في مساء السبت والعيد ومن هذه الأدعية: "مباركٌ الذي يفرق بين الدنيوي والمقدس، بين النور والظلمة، وبين شعب إسرائيل وبقية الشعوب، وبين اليوم السابع وأيام الخليقة الستة".
"الشامي" رشاد عبد الله، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ٢٠٠٢ ص، ٦٩.

الأبد"، فورد في تفسير مراثي أرميا الكبير (איכה רבא פרשה א פסקה מא)[1]: "في الدنيا تتنجسون بسبب الميت الذي ليس له أقارب لكن في العالم الآتي لن تتنجسوا بسبب ميت، لأنه لن يكون هناك موت في الأساس وَفْقًا لما ورد في إشعياء ٢٥/٨ "يبلع الموت إلى الأبد". كما تكرر ذلك في تفسير التثنية الكبير (דברים רבא פרשה ב פסקה ל)[2]: "في العالم الآتي سوف أَنزِعُ غريزة الشرِّ منكم ولن يكون هناك موت في العالم، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٢٥/٨ "يبلع الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع من على كل الوجوه، وينزع عار شعبه عن كل الأرض، لأن الرب قد تكلم".

وقد رسم علماء التلمود والمفسرون أكثر من صورة عن حياة الأتقياء في العالم الآتي، فأحياناً يشيرون إلى أن الأتقياء يدرسون الشريعة في العالم الآتي، فورد في باب سنهدرين (סנהדרין דף צב ב) في سياق الحديث عن المحرومين من العالم الآتي: "قال الربي ششت[3]: إن من يُعلِّم التوراة في هذا العالم يحظى بتعليمها في العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد في أمثال ١١/ ٢٥ " المُرْوِي أيضاً يُرْوَى".

كما أشار المفسرون إلى ذلك في تفسير الجامعة الكبير (קוהלת רבא פרשה א פסקה יא): "قال الربي زيرا[4]: كم من صديق ودارس شريعة كانوا في منزلة الأنبياء، مثل يهودا بن الربي حزقيا، فقد ورد عنهم في سفر الجامعة ١/ ١١ "ليس ذكر للأولين،

---

(١) تفسير لسفر مراثي أرميا اختلف الباحثون حول زمن تحريره، فهناك باحثون يرجعونه إلى القرن الرابع الميلادي، وهناك من يرجعه إلى القرن السادس الميلادي، وهناك من يرجعه إلى القرن السابع الميلادي. (אייזענשטיין) יהודה דווד 'אוצר מדרשים' במהדורה מקוונת[כרך ב]באתר. Hebrew Books (*www.hebrewbooks.org*).

(٢) انظر هامش ص ٣٢.

(٣) ينتمي إلى الجيل الثاني والثالث من علماء الجمارا في بابل.

(٤) ينتمي إلى الجيل الخامس من علماء الجمارا في بابل.

والآخرون أيضاً الذين سيكونون لا يكون لهم ذِكر عند الذين يكونون بعدهم"، فإن القدوس تبارك سوف يخصص له جماعة من الصديقين ليُدَرِّسَ لهم الشريعة في المدارس الدينية في العالم الآتي، فقد ورد في إشعياء ٢٤/ ٢٣ "ويخجل القمر وتخزي الشمس لأن رب الجنود قد ملك في جبل صِهْيَوْنَ وفي أورشليم وقدام شيوخه مجد".

ويظهر شيء من التناقض بين الصور التي رسمها علماء التلمود للأتقياء في العالم الآتي، فيرى المعلم البابلي راف أنه في العالم الآتي لن يكون هناك طعام أو شراب أو زواج أو مشقة، لكن الأتقياء يجلسون رؤوسهم مُزَيَّنَة يتمتعون بنور الإلوهية، استناداً إلى ما ورد في خروج ٢٤/ ١١ "فرؤوا الله وأكلوا وشربوا"، واتفق معه بعض المفسرين، فورد في تفسير "أفوت دي ربي ناتان"[1] تلك النظرة، حيث ورد أن هذا العالم سيكون مثل يوم السبت وفيه يتمتع المرء بالراحة وعدم المشقة، ولن يكون فيه طعام وشراب، غير أن الأتقياء يجلسون وعلى رؤوسهم الأكاليل ويتمتعون بنور الإلوهية، لما ورد في خروج ٢٤/ ١١ "فرؤوا الله وأكلوا وشربوا" مثل الملائكة، وقد عقدت المدارس الحديثة مقارنة بين تلك النظرة ورد المسيح ابن مريم على الصدوقيين، فعندما سأله أحد الصدوقيين عن الزوجة التي مات زوجها وتزوجت من أخيه، فعند إحياء الموتى لمن تعود تلك الزوجة، هل لزوجها الأول أم الثاني، فقال له المسيح ابن مريم: إنها لن تكون زوجة لأحد، لأنه لن يكون هناك زواج بل سنخلق في السماء مثل الملائكة[2].

---

(١) أفوت دي ربي ناتان هي عبارة عن ملحقات (توسفتا) لباب "الآباء" أحد أبواب المشنا، ينسب إلى الربي ناتان معلم المشنا الذي عاش في الجيل السابق لجيل يهودا هناسي، وهو عبارة عن عمل تجميعي لأقوال علماء التلمود، وينقسم إلى قسمين: الأول: أقوال الأمورائيم، أي: معلمو الجمارا، والقسم الثاني: أقوال متأخرة تعود إلى جيل النساخ "סבוראים" نهاية القرن الخامس الميلادي.

(אייזענשטיין) יהודה דוד 'אוצר מדרשים' במהדורה מקוונת[כרך ב] באתר.

Hebrew Books (*www.hebrewbooks.org*).

(2) Moore.g.f: Judaism in the first centuries of Christian era, p392.

لكن المعلم البابلي راف يرى في رواية أخرى نقلت عنه أن الرب في العالم الآتي سوف يُعِدُّ للأتقياء وجبة من الحيتان، فورد في باب (בבא בתרא עד ב) "الباب الأخير": "قال راف يهودا نقلاً عن راف: لقد خلق القدوس تبارك كل شيء في عالمه، خلق منه الذكر والأنثى، فخلق الحيتان ذكراً وأنثى وزوجهما، لكن عندما تكاثروا كادوا يحطمون العالم، فماذا فعل القدوس تبارك؟ أنه خصى الذكر وحفظ الأنثى في الملح لتكون طعاماً للأتقياء في العالم الآتي، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٢٧/ ٢ "ويقتل التنين الذي في البحر".

ويتفق المفسرون مع الصورة الثانية التي رسمها المعلم البابلي راف للأتقياء، ويرون أنه في العالم الآتي سوف يصنع الرب وجبةً لعباده الأتقياء، فورد في تفسير سفر الجامعة الكبير (קוהלת רבא פרשה א פסקה יא): "قال الربي برخيا نقلاً عن الربي يسحق: إن الرب سوف يصنع لعباده الصديقين وجبة احتفالية في العالم الآتي ومن لم يأكل جثه حيوان ميت في هذا العالم فسوف يحظى برؤية هذا الحيوان في العالم الآتي، فقد ورد في لاويين ٢٤/ ٧" وأما شحم الميتة وشحم المفترس فيستعمل لكل عمل، لكن أكلاً لا تأكلوه".

بينما يختلف المفسرون مع علماء التلمود ويشيرون أكثر من مرة إلى أن الأتقياء في العالم الآتي سوف يأكلون من عمل أيديهم، فورد في تفسير سفر الجامعة الكبير (קוהלת רבא פרשה א פסקה ד): "قال الربي شمعون بن يوسي بن لقوينا: حسب ما هو متبع في هذا العالم أن الإنسان يبني ويأتي شخص آخر ليستخدم هذا البناء وأن الإنسان يغرس غرساً ويأتي غيرُهم ليأكل ولكن في العالم الآتي لن يبنوا وغيرُهم يسكن، لن يغرسوا وآخَرُ يأكل لأنه ورد في إشعياء ٦٥/ ٢٢: "لأنه كأيَّامِ شجرةٍ أيامُ شعبي ويستعمل مُخْتَاري عمل أيديهم"، وورد أيضاً في موضع آخَرَ من هذا التفسير (קוהלת רבא פרשה ב פסקה א): "قال الربي يونا نقلاً عن الربي سيمون بر زابيد: إن الراحة (שלווה) التي يَنْعَمُ بها الإنسان في هذا العالم لا تساوي شيئاً إذا ما قيست

بالراحة التي سينعم بها في العالم الآتي، لأن الإنسان في هذا العالم يموت ويرث شخص آخَرُ هذه الراحة، ولكن ورد عن العالم الآتي "لن يَبْنُوا وآخَرُ يسكن".

كما يظهر تناقضٌ آخَرُ بين الصور التي رسمها علماء التلمود للأتقياء في العالم الآتي، ففي الوقت الذي صور فيه علماء التلمود الأتقياء في العالم الآتي وهم يَتَمَتَّعُونَ بنور الألوهِيَّة، يرى علماء التلمود في موضع آخَرَ أن الأتقياء في العالم الآتي سوف يضحكون مع الرب في العالم الآتي، فورد في باب السبت (שבת ל ב) في سياق تفسير علماء التلمود لعدد من فقرات سفر الجامعة: "هناك تناقض بين فقرتين من فقرات سفر الجامعة: الفقرة الأولى "الحزن خير من الضحك" (الجامعة ٧/ ٣) والفقرة الثانية "للضحك قلت مجنون" (الجامعة ٢/ ٢)! لا تناقض بينهما، فالفقرة الأولى "الحزن خير من الضحك" تعني أن الحزن الذي يُحْزِنُهُ الرب في هذا العالم على الأتقياء خير من الضحك الذي يضحكه على الآثمين في هذا العالم، والفقرة الثانية "للضحك قلت مجنون" تعني أن القدوس تبارك يضحك مع الأتقياء في العالم الآتي".

يتضح مما سبق أنه يوجد عدد من التناقضات في تصوير التلمود وكتب التفاسير لعالم الثواب النهائي، وتتمثل في خَلْطِ علماء التلمود والمفسرين بين أيام المسيح والعالم الآتي، فأحياناً يشير علماء التلمود والمفسرون إلى أنهما حقبتان مختلفتان، وأحياناً أخرى يشيرون إلى أنهما حقبة واحدة، كما تتمثل في اختلاف علماء التلمود والمفسرين حول مشاركة الآخر "غير اليهودي" في العالم الآتي من عدمه، وكذلك اختلافهم حول المحرومين من العالم الآتي وكذلك حول الأعمال التي تؤدي إلى الحرمان من العالم الآتي، كما تتمثل هذه التناقضات أيضاً في الصورة التي رسمها علماء التلمود والمفسرون للأتقياء في العالم الآتي، فأحياناً يشيرون إلى أن الأتقياء لن يتعرضوا لمشقةٍ فيه، وأحياناً أخرى يشيرون إلى أن كل واحد منهم سيأكل من عمل يده.

أما عن عالم الثواب النهائي في الديانة الزرادشتية فيرى بعض الباحثين أنه بعد أن ينتهي الحريق الذي ملأ العالم، سوف تتلاشى الجبال وستكون الأرض المسطحة هي

عالم فردوسي نهائي، وبعد تجدد هذا العالم فإن البشر الناجين من خطر الخطيئة سيبعثون إلى الأبد ويتمتعون بالسعادة الجسدية والروحية، ثم يقدم أهورامزدا وستة من الملائكة قرباناً من الثور، ومن خلال هذا القربان لن يتعرض الأتقياء إلى الموت، وفي هذا العالم سوف يتمتع البشر بمملكة الرب على الأرض ولن يتعرضوا لمرض ولن يكون هناك مشقة أو فساد، كما ورد في النصوص البهلوية "إن أهورامزدا والملائكة وجميع البشر سوف يعيشون سوياً في هذا العالم الذي يشبه الحديقة في فصل الربيع التي بها أشجار وزهور متنوعة، وسوف يكون هذا العالمُ من صُنْعِ أهورامزدا"[1]، وربما يتفق علماء التلمود والمفسرون مع أتباع زرادشت في وصف هذا العالم بأنه عالم الخلود الذي لن يتعرض فيه الأتقياء إلى موت أو مرض أو مشقة أو فساد، كما يتفقون أيضاً حول أن الرب سوف يحيا مع البشر في هذا العالم.

(١)-(Boyce) Mary: Zoroastrians, p29.

- (إسماعيل) نوري: الديانة الزرادشتية مزديسنا، ص ٥٠-٥١.

المبحث الثالث

العقاب النهائي

تشير معظم الآراء التي وردت في التلمود وكتب التفاسير إلى أن جهنم هي العالم السفلي الذي ينتظر أرواح الآثمين بعد الموت، في حين تشير آراء أخرى إلى أن جهنم هي المصير النهائي الذي ينتظر الآثمين بعد إحياء الموتى، فيرى علماء التلمود أن جهنم تشير إلى عذاب النار في الحساب النهائي للروح والجسد بعد الموت، فبعد إحياء الموتى ومع الحساب النهائي يهبط كلُّ مَنِ ارتكب الآثام من بني إسرائيل وكل من ارتكب الآثام من الأغيار إلى جهنم ويعاقب لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً وبعدها يفنى جسده وتحترق روحه ثم تنقل الرياح الرماد وتضعها تحت أقدام الأتقياء، فورد في باب رأس السنة (ראש השנה דף יז א) في سياق الحديث عن يوم الدينونة النهائي بعد إحياء الموتى: "مرتكب الآثام من بني إسرائيل بجسده ومرتكب الآثام من أمم العالم بجسده يهبط إلى جهنم ويعاقب لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً وبعدها يفنى جسده وتحترق روحه ثم تنقل الرياح الرماد وتضعها تحت أقدام الأتقياء، استناداً إلى ما ورد في ملاخي ٣/ ٢١: "وتدوسون الأشرار لأنهم يكونوا رماداً تحت بطون أقدامكم يوم أفعل هذا قال رب الجنود"، أما المينيم (الصدوقيون) والوَاشُونَ (מסורות) المُرْتَدُّونَ (משומדים) والأَبِيقُورِيُّونَ، الذين يَكفُرُونَ بالتوراة ويَكفُرُونَ بإحياء الموتى، والذين انشقوا عن الجماعة، والذين بثوا الرعب في الأرض العامرة، والذين ضلوا وأضلوا الكثيرين، أمثال يربعام بن نباط وأعوانه: سوف يهبطون إلى جهنم ويعاقبون فيها على مر الأجيال، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٦٦/ ٢٤: "ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عَصَوْا عليَّ، لأن دُودَهُم لا يموت ونارَهُم لا تطفأ"، فإن جهنم سوف تَفْنَى وهم لن يَفْنَوْا، استناداً إلى ما ورد في مزامير٤٩/ ١٥: "وصورتهم تبلي، الهاوية مسكن لهم".

كما أشار المفسرون في كتب التفاسير إلى نفس الفكرة، فورد في تفسير سفر مراثي إرميا الكبير (איכה רבא פרשה א פסקה טז): " ورد في مراثي إرميا ١/ ١٢: "أما إليكم" حيث قالت جماعة إسرائيل إلى أمم العالم: لن يَحُلَّ بكم ما نزل بي، ولن تصلوا إلى ما وصلت إليه، كما ورد بعدها "يا جميع عابري الطريق" بمعنى يا من سلكتم طريق الشريعة. وورد بعدها: "تطلعوا وانظروا" واستناداً إليها شرعنا أن الحكم على جيل الطوفان استمر ١٢ شَهْرًا، والحكم على المصريين استمر ١٢ شَهْرًا، والحكم على أيوب استمر ١٢ شَهْرًا، والحكم على جوج ومأجوج استمر ١٢ شَهْرًا، والحكم على الآثمين في جهنم يستمر ١٢ شهراً".

كما يرى المفسرون أن جهنم تشير إلى العذاب النهائي للآثمين حيث يعذبون فيها لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً، ستة أشهر في حرارة شديدة وستة أشهر في برودة شديدة، فورد في تفسير تنحوما (תנחומא פרשת ראה סימן יג) في سياق تفسير الفقرة الواردة في سفر الأمثال ٣١/ ٢١: "لا تخشى على بيتها من الثلج لأن كل أهل بيتها لابسون حُلَلاً": "قال حزقيا: إن عذاب الآثمين في جهنم يستمر لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً ستة أشهر منها في حرارة شديدة، وستة أشهر في برودة شديدة".

ويرى المفسرون أن جهنم ليست فقط للأغيار (غير اليهود) ولكنها للآثمين من بني إسرائيل أيضاً، فورد في تفسير سفر التكوين الكبير(פרשת וירא פסקה ח) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تكوين ١٨/ ١ "وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار": "قال الربي ليفي: في المستقبل الآتي[1] سيجلس إبراهيم على باب جهنم ولن يسمح بدخول أيِّ شخص مختونٍ من بني إسرائيل، لكنَّ الآثمين الذين ارتكبوا آثامًا أوبقتهم سينقل القدوس تبارك غُرْلَةَ الأطفال الذين ماتوا قبل الختان إلى هؤلاء الآثمين، وبعدها يدخلهم إلى جهنم".

(١) هو مصطلح مرادف للعالم الآتي، فأحياناً يستبدل المفسرون مصطلح "العالم الآتي" الذي ورد في التلمود، بمصطلح المستقبل الآتي أو العكس.

أما عن وصف جهنم باعتبارها تشير إلى العقاب النهائي للآثمين بعد إحياء الموتى، فيرى علماء التلمود والمفسرون أن نار جهنم خلقت في مساء يوم السبت وذلك قبل أن يخلق العالم، فورد في باب الفصح (פסחים נד ב) في سياق الحديث عن الأشياء التي خلقت في مساء يوم السبت، كما تكرر ذلك في باب النذور (נדרים לט ב) في سياق الحديث عن فضل زيارة المرضى، وورد أيضاً في تفسير تنحوما (פרשת נשא סימן יא) في سياق تفسير الفقرة الواردة في عدد ٧/ ١ "ويوم فرغ موسى من إقامة المسكن": "من أين نستدل أن جهنم خلقت في مساء السبت؟ لأنه ورد في (برايتا): سبعة أشياء خلقت قبل أن يخلق العالم وهي: التوراة، التوبة، جنة عدن، جهنم، كُرْسِيُّ العرش، الهيكل، اسم المسيح. التوراة، استناداً إلى ما ورد في أمثال ٨/ ٢٢ "الرب قَنَاني أَوَّلُ طريقه"[1]، التوبة، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٩٠/ ٢ "من قبل أن تولد الجبال" ثم ورد بعدها "ترجع الإنسان إلى الغبار وتقول ارجعوا يا بني آدم"[2]، جنة عدن، استناداً إلى ما ورد في تكوين ٢/ ٨ "وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً"، ونار جهنم، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٣٠/ ٣٣ "لأن تُفتة (المقصود جهنم) مرتبة منذ الأمس، مهيأة هي أيضاً للملك عميقة واسعة كومتها نار وحطب بكثرة"، وكُرْسِيُّ العرش والهيكل، استناداً إلى ما ورد في إرميا ١٧/ ١٢: " كُرْسِيُّ مَجْدٍ مرتفع من الابتداء هو موضع مقدسنا"، واسم المسيح، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٧٢/ ١٧ "يكون اسمه إلى الدهر قدام الشمس يمتد اسمه"، فيمكن القول: إن تجويف جهنم خلق قبل خلق العالم لكن نار جهنم خلقت في عشية يوم السبت".

بينما يرى المفسرون في موضع آخَرَ من التفسير السابق أن نار جهنم خلقت في اليوم الثاني من أعمال الخليقة بينما تجويفها خلق قبل ذلك بألفي عام، فورد في تفسير تنحوما (פרשת חיי שרה סימן ג) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تكوين ٢٤/ ١

(١) المقصود في نص المقرا الحكمة وليس التوراة.

(٢) أخرج علماء التلمود الفقرة من سياقها فقد ورد "من قبل أن تولد الجبال، أو بدأت الأرض، والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد: أنت الله"، وليس لها أيَّة علاقة بالتوبة.

"وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام": "بمجرد أن خلق القدوس تبارك السماء (الراقيع)، خلق الملائكة ثم خلق نار جهنم في اليوم الثاني، لأنه لم يرد عن ذلك اليوم "ورأى الله ذلك أنه حسن" مثلما قيل عن باقي أيام الخليقة السبعة، ولكن تجويف جهنم خلقها قبل ذلك بألفي عام، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٣٠/ ٣٣ "لأن تُفتة (المقصود جهنم) مرتبة منذ الأمس، مهيأة هي أيضاً للملك عميقة واسعة كومتها نار وحطب بكثرة".

ولقد اختلف علماء التلمود في تحديد مكان جهنم، فهناك من يرى أنها توجد أعلى القبة السماوية، وهناك من يرى أنها توجد خلف جبال الظلمات، فورد في باب قربان تاميد (תמיד דף לב ב) في سياق الحديث عن أعمال الخليقة: " شرعت مدرسة الربي إلياهو: إن جهنم موجودة أعلى القبة السماوية، وهناك من يقولون: إنها خلف جبال الظلمات".

كما أشار علماء التلمود والمفسرون إلى المساحة الشاسعة لجهنم، فيرى علماء التلمود والمفسرون أن العالم بأكمله بمثابة غطاء لجهنم، فورد في باب الفصح (פסחים דף צד א) في سياق الحديث عن مساحة السماء وسمكها، وورد أيضاً في تفسير سفر نشيد الأنشاد الكبير (שיר השירים רבה פרשה ו פסקה ט): "قال الربي يهودا إلعاي: إن مصر تمثل سدس الحبشة والحبشة تمثل سدس العالم والعالم يمثل سدس الجنة والجنة تمثل سدس عدن وعدن تمثل سدس جهنم، وبناء على ذلك فإن العالم بأكمله بمثابة غطاء وعاء بالنسبة إلى جهنم".

بينما ينفي بعض علماء التلمود والمفسرون وجود جهنم نفياً تاماً كوسيلة لعقاب الآثمين، في حين صوروا الشمس كوسيلة لعقاب الآثمين، وهي في نفس الوقت الوسيلة التي ينعم بها الأتقياء في العالم الآتي، فورد في باب النذور (נדרים דף ח ב) في سياق الحديث عن أنواع النذور: "قال الربي شمعون بن لقيش: لا يوجد جهنم في العالم الآتي لكن القدوس تبارك سوف يخرج الشمس من غلافها فيشفي الصديقين بها، ويعاقب الآثمين بها، استناداً إلى ما ورد في ملاخي ٣/ ٢٠: "ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها".

كما أشار المفسرون في سفر تفسير الجامعة الكبير (קוהלת רבא פרשה א פסקה ה) إلى نفس الفكرة في سياق تفسير الفقرة الواردة في الجامعة ١/ ٥ "والشمس تشرق والشمس تغرب": "شرعنا نقلاً عن الربي ناتان: إن قرص الشمس له غلاف، استناداً إلى ما ورد في مزامير ١٩/ ٥ " جعل للشمس مسكناً فيها " وبركة من المياه أمامها، وفي الوقت الذي تريد أن تخرج فيه تكون محرقة فيطفئ الرب لهيبها بالماء حتى لا تحرق العالم، وفي المستقبل الآتي سوف يكشفها الرب ويلهب الآثمين بها، حيث ورد في ملاخي ٣/ ١٩: "فهو ذا يأتي اليوم المتقد كالتنور"، فقال الربي يناي[1] والربي يشمعائيل: لا يوجد جهنم في المستقبل الآتي، لكن الشمس سوف تخرج، فينعم بها الأتقياء، وما هو السند على ذلك؟ استناداً إلى ما ورد في ملاخي ٣/ ٢٠: "ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها"، أما الآثمون فيُعاقَبُون بها، استناداً إلى ما ورد في ملاخي ٣/ ١٩: "ويحرقهم اليوم الآتي".

كما ورد في تفسير سفر التكوين الكبير (פרשת בראשית פסקה ה) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تكوين ١/ ١٧ "وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض" وتكرر ذلك في تفسير نفس السفر (פרשת בראשית פסקה ו) ولكن في سياق تفسير الفقرة الواردة في تكوين ٦/ ٣ "فقال الرب لا يدين روحي غيُّ الإنسان": "إن الشمس لها غلاف وإن القدوس تبارك سيخرجها من غلافها، ليُحرِقَ بها الآثمين، استناداً إلى ما ورد في ملاخي ٤/ ١ "فهو ذا يأتي اليوم المُتَّقِدُ كالتَّنُّورِ"، فيقول كلٌّ منَ الربي يناي والربي شمعون: إنه لا يوجد جهنم، لكن القدوس تبارك سيأتي بالشمس، ليُحْرِقَ بها الآثمين، استناداً إلى ما ورد في ملاخي ٤/ ١ "فهو ذا يأتي اليوم المُتَّقِدُ كالتَّنُّورِ"، بينما يرى علماؤنا أنه يوجد جهنمُ، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٣١/ ٩ "يقول الرب الذي له نار في صِهْيَوْنَ وله تَنُّورٌ في القدس"، بينما يقول الربي يهودا بر إلعاي لن يكون هناك شمس، ولن يكون هناك جهنم، لكن النار التي

(١) ينتمي إلى الجيل الأول من علماء الجمارا في فلسطين.

ستخرج من أجساد الآثمين سوف تُحْرِقُهُمْ، استناداً إلى ما ورد في إشعياء ٣٣/ ١١ "تحبلون بحشيش تلدون قشيشاً، نفسكم نار تأكلكم".

ورغم ذلك انشغل علماء التلمود والمفسرون بمحاولة إيجاد السُّبُل التي تُمَكِّنُهُم منَ التخلص من عذاب جهنم أو التخفيف من حِدَّةِ عذاب جهنم، فيرى علماء التلمود في باب الأدعية (ברכות דף טו ב) في سياق الحديث عن فضل قراءة "اسمع" أن من يقرأ قراءة "اسمع" فإن نار جهنم ستكون بَرْدًا عليه: "قال الربي حما بر حنينا[1]: من يقرأ قراءة "اسمع"، وينطق حروفها بوضوح فإن جهنم ستكون برداً عليه".

كما يرى علماء التلمود في باب السبت (שבת דף קיח א) في سياق الحديث عما يَحْرُمُ على المرء يوم السبت: "أن مَن يتناول ثلاث وَجَبَاتٍ يوم السبت يُعْفَى من عذاب جهنم:" روي الربي شمعون بن بزاي عن الربي يهوشع بن ليفي عن بر كبارا[2]: أن كلَّ من يتناول ثلاث وجبات يوم السبت، فسوف يُعْفَى من ثلاث مصائِبَ: ١-مخاض المسيح[3] ٢- عقاب جهنم ٣- حرب جوج ومأجوج[4]".

---

(١) ينتمي إلى الجيل الأول من علماء الجمارا في فلسطين.

(٢) ينتمي إلى الجيل الأخير من التنائيم والجيل الأول من علماء الجمارا في فلسطين.

(٣) مخاض المسيح "חבלי המשיח" مصطلح يشير إلى الآلام التي تسبق مجيء المسيح، ويرى علماء التلمود أن أصل هذا المصطلح هو ما ورد في سفر إشعياء ٢٦/ ١٧ : "كما أن الحبلى التي تقارب الولادة تتلوى وتصرخ في مخاضها، هكذا كنا قدامك يا رب" (انظر: الفصل الخامس "بعث الموتى" ص ١٨٠).

(٤) حرب جوج ومأجوج "מלחמת גוג ומגוג" هو اسم حرب عظيمة سوف تنشب في آخر الزمان قبل نزول المسيح المخلص وقد جاء ذكرها في سفر حزقيال ٣٨- ٣٩، ورد هذا المصطلح في التلمود، للدَّلالة على آخر الحروب العظيمة التي ستنشب على الأرض، كما ترى العقيدة اليهودية، وسيكون ذلك في آخر الزمان وقبل نزول المسيح المخلِّص، فيأتى جوج ويهاجم (شعب إسرائيل) وسيشتد غضب الرب وسيعاقبه بالوباء وبالدم وسيمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة التي معه مطرًا جارفاً وحجارة بَرد عظيمة ونارًا وكبريتاً. وفي النهاية سيخلص الرب بنى إسرائيل من الشعوب، ويجمعهم من أراضى أعدائهم، ولا يترك هناك أحدًا منهم.

كما يرى علماء التلمود والمفسرون أن التصدق على الفقراء سوف يُعفِي المرء من عذاب جهنم، فورد في باب "الباب الأخير" (בבא בתרא דף י א) في سياق الحديث عن فضل منح الصدقات: "قال الآثم (الإمبراطور الروماني) تينيوس روفوس إلى الربى عقيفا: إذا كان إلهكم يحب الفقراء، فلماذا لا يرزقهم؟! فقال له (الربى عقيفا): لأنه بهم تُرجَى النجاة من عذاب جهنم".

كما ورد في تفسير الخروج الكبير (פרשת משפטים פסקה לא) في سياق تفسير الفقرة الواردة في خروج ٢٢/ ٢٤ "إن أقرضت فضة لشعبي الفقير" فجاء أن: "الغني الذي يهب الصدقات يأكل من ماله في هذا العالم ويحفظ له أجره في العالم الآتي، ويخلصه القدوس تبارك من عذاب جهنم، استناداً إلى ما ورد في مزامير ٤١/ ٢ "طوبى للذي ينظر إلى المسكين".

كما يُعْفِي علماء التلمود بعض الأشخاص الذين كانوا يعانون في حياتهم الدنيا من عذاب جهنم، فورد في باب دمج الحدود (עירובין דף מא ב) في سياق الحديث عن المسافة التي يمكن للمرء أن يسيرها خارج حدود المدينة يوم السبت: "إن هناك ثلاثَ فئات من البشر لن يشاهدوا وجه جهنم: من يعاني من الفقر الشديد، من يعاني من أمراض الأمعاء، من يعاني من قهر السلطة، وهناك من يضيفون أيضاً: من تزوج من امرأة دميمة".

كما أَعْفَى معلمو الجمارا والمفسرون أنفسَهُم من عذاب جهنم، فإنهم يرون أن نار جهنم لن تكون لها سيطرة عليهم، فورد في باب الحج (חגיגא דף כז א) في سياق الحديث عن مذبح المعبد، وتكرر ذلك في تفسير تنحوما (פרשת וישב סימן ג) في سياق تفسير الفقرة الواردة في تكوين ٣٩/ ١ "أما يوسف فأُنزل إلى مصر": "قال الربي أباهو نقلاً عن الربي إليعزر: لن تكون لنار جهنم سيطرة على دارسي الشريعة".

أما عن وجود عالم للعقاب النهائي في الديانة الزرادشتية فلم يكن هناك سوى الجحيم الذي يقيم فيه أنجرامينو إله الشر وأتباعه والذي يصب فيه نهر المعادن المنصهرة الذي أشرت إليه في المبحث الأول من هذا الفصل، فيرى بعض الباحثين أن هذا النهر سوف يكوي لحم الآثمين، ومن خلاله يتطهر الآثمون من آثامهم لمدة ثلاثة أيام، وبعد عملية التطهير سوف يَصُبُّ النهر في الجحيم فوق أنجرامينو وبعدها يتلاشى الإثم إلى الأبد، في حين يرى البعض الآخر من الباحثين أن الآثمين سوف يَنْجَرِفُونَ في تيار النهر الذي يُفْنِيهِمْ، ويَمْحُو أثرهم بعد عذاب أليمٍ، ولعل نظرة هؤلاء الباحثين قريبةٌ من الصورة التي رسمها علماء التلمود للآثمين، فهم يهبطون إلى جهنم ويُعَاقَبُونَ لمدة اثْنَيْ عَشَرَ شهراً وبعدها تَفْنَى أجسادُهُم وتحترق أرواحُهُمْ.

الخاتمة

استطاعت هذه الدراسة أن ترسم صورة شبه واضحة لنظرة التلمود وكتب التفاسير إلى الموت والبعث، وإلى الثواب والعقاب، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، تتلخص فيما يلي:

- **فيما يتعلق بمفهوم الموت والنظرة إليه:** اتفق علماء التلمود والمفسرون وشعوب الشرق الأدنى في تعريف الموت على أنه انفصال العناصر الروحية عن العناصر الجسمانية المكوِّنة للطبيعة البشرية، لكنهم اختلفوا حول تلك العناصر الروحية المكونة للطبيعة البشرية.
- لم يُفرِّق علماء التلمود والمفسرون اليهود بين العناصر الروحية "الروح والنَّسَمَة والنفس" إلا في فترة متأخرة تعود إلى ما بعد القرن العاشر الميلادي، وذلك نتيجة تأثير الفكر الأفلاطوني على الفلاسفة اليهود في العصر الوسيط، الذي أثر بدوره على تفسير سفر التكوين الكبير التفسير الوحيد الذي أقر بقسمة العناصر الروحية.
- اختلفت نظرة علماء التلمود والمفسرين اليهود إلى الموت عن نظرة شعوب الشرق الأدنى إليه، ففي حين نظر علماء التلمود والمفسرون اليهود إلى الموت على أنه عقوبة إلهية فَرَضَهَا الرب على جميع البشر، نظرت إليه شعوب الشرق الأدنى على أنه المصير الحتمي لجميع البشر.
- اتضح أن علماء التلمود والمفسرون وشعوب الشرق الأدنى كانوا يَخْشَوْنَ الموت ويخافونه، ولكن تعددت أسباب خشية علماء التلمود من الموت، فقد يرجع سبب الخشية أحياناً إلى أن الموت هو المصير النهائي الذي لا تَتْبَعُهُ حياةٌ، أو إلى أن الموت يؤدي بالإنسان إلى مصير سيئ ينتظره، كما ارتبط الموت في أذهان علماء التلمود

والمفسرين اليهود بالنوم، شأنهم شأن جميع شعوب الشرق الأدنى، ولعل السبب وراء ذلك هو تخفيف وَقْعِ الموت على النفس.

- أما عن دفن الموتى فقد تعددت أهداف علماء التلمود والمفسرين اليهود من دفن موتاهم، فقد اتفق علماء التلمود وأتباع زرادشت على أن دفن الموتى يهدف في المقام الأول إلى تجنب النجاسة التي تُحدِثُها جثث الموتى، كما اتفق علماء التلمود والمصريون القدماء على أن الهدف من الدفن هو ضمان بعث موتاهم بعد الموت.
- اتفق علماء التلمود والمفسرون اليهود مع اليونانيين حول خطوات إعداد الجثة للدفن، من إغلاق عين المُتَوَفَّى وفَمِهِ، وغَسْلِ الجثة بالماء ومَسْحها بالزيت، وسبقهم إلى ذلك المصريون القدماء.
- اتفق علماء التلمود والمفسرون اليهود مع شعوب الشرق الأدنى على تكفين الميت في كفن من الكَتَّان، ووضعه في تابوت تمهيداً للدفن، ربما اعتقاداً منهم أن الكَتَّان يعمل على حِفْظ الجثة لمدة أطول، أو اعتقاداً منهم أن الكَتَّان يُعَدُّ أكثرَ راحة للميت في عالم الموتى.
- اختلف علماء التلمود والمفسرون فيما بينهم حول حفر القبور، فيرى علماء التلمود أنه يجب إبعاد المقابر وحفرها خارج حدود المدينة، في حين يرى المفسرون اليهود أنه يمكن بناء القبور داخل المدينة وتحت البيوت السكنية.
- اتفق علماء التلمود والمفسرون اليهود مع البابليين حول تحديد فترة الحداد بسبعة أيام، كما اتفقوا مع الكنعانيين في بعض مراسم الحداد، مثل تمزيق الثياب، كما اتفقوا مع شعوب الشرق الأدنى على أن من يقوم بطقوس الحداد هم أقارب الميت، وبالأخص الابن الأكبر له.
- **أما عن مصير الروح بعد الموت:** فقد اتفق علماء التلمود والمفسرون اليهود مع البابليين في الصورة التي رسموها لموتاهم داخل القبور، فكما كان يعتقد البابليون أن الموتى يتحدثون مع بعضهم البعض داخل القبور، كذلك اعتقد علماء التلمود،

وكما أن البابليين اعتقدوا أن الموتى يتحدثون مع الأحياء، كذلك اعتقد علماء التلمود، وكما أن البابليين كانوا يلجؤون إلى موتاهم طلباً للعون والمساعدة كذلك فعل علماء التلمود.

- اتفق علماء التلمود والفلاسفة اليونان وأتباع زرادشت والمصريون القدماء على أن الثواب الذي ينتظر أرواح الأتقياء بعد الموت هو السماء أو العالم العلوي حيث الإقامة بجوار الآلهة والكائنات المقدسة، وإنِ اختلفوا في المسميات التي أطلقوها على هذا العالم.
- اختلف علماء التلمود والمفسرون اليهود مع شعوب الشرق الأدنى حول مصير أرواح الآثمين بعد الموت: فيرى علماء التلمود والمفسرون أن أرواح الآثمين تهيم بين السماء والأرض، أو أن الملائكة تتقاذفها، أو أنها تهبط إلى العالم السفلي "جهنم"، أو أنها تعذَّب بنار جهنم، بينما يرى اليونانيون أنها تهبط إلى العالم السفلي "طارطاروس"، مثلهم مثل أتباع زرادشت الذين يرون أنها تهبط إلى العالم السفلي "الجحيم"، في حين يرى المصري القديم مصيرًا أكثرَ قسوة لأرواح الآثمين التي لا رجاء لها في النجاة من موقف الحساب، وهو أنها تلتهم على الفور ولا يبقى لها أثرٌ.
- أما عن عالم الموتى: فقد اتفق علماء التلمود والمفسرون اليهود مع أتباع زرادشت حول تصوير عالم الموتى العلوي، فيرى علماء التلمود والمفسرون اليهود وأتباع زرادشت أنه ينقسم إلى عدد من الطبقات، وفي الطبقة الأخيرة منه توجد أرواح الأتقياء والملائكة والكائنات المقدسة وكُرْسِيُّ العرش والربُّ.
- اتفق علماء التلمود والمفسرون اليهود وشعوب الشرق الأدنى القديم على أن العالم السفليَّ يقع في أعماق الأرض، وأهم ملامحه هو الإظلام، وأنه يتكون من عدد من البوابات، وإنِ اختلف عددها من حضارة إلى أخرى.

- اتفق المفسرون اليهود مع أتباع زرادشت حول تصوير جهنم، حيث يرى المفسرون أن الآثمين يعذَّبون فيها لمدة اثْنَىْ عَشَرَ شهراً، ستة أشهر في حرارة شديدة وستة أشهر في برودة شديدة، كذلك يرى أتباع زرادشت أن الجحيم الذي يمثِّل "جهنم" يشعر فيه الآثمون ببرودة شديدة وجفاف شديد.
- وفيما يتعلق ببعث الموتى: فقد لجأ علماء التلمود والمفسرون اليهود إلى تأويل فقرات المقرا، في محاولة منهم لإثبات أن فكرة إحياء الموتى وردت في المقرا، واعتمدوا في ذلك على بعض معايير استنباط الأحكام مثل "القياس"، و"معيار الأَوْلَى"، و"الأحكام المناظِرَة"، كما اعتمدوا على بعض مناهج التفسير، مثل "التفسير الظاهري" و "التفسير الرمزي"، وفي أحيان كثيرة لجؤوا إلى طرق التأويل غير المنهجية، واعتمدوا في ذلك على إخراج الفقراتِ من السياق الذي وردت فيه، بل وإخراج الكلمة من سياق الجملة.
- تأثر علماء التلمود والمفسرون اليهود بفكرة إحياء الموتى في الديانة الزرادشتية تَأَثُّرًا مباشراً ليس بمجرد الفكرة ولكن بجميع تفاصيلها، فكما قَسَمَ أتباع زرادشت تاريخ البشرية في النصوص الدينية الزرادشتية إلى ثلاث مراحل أو أربع مراحل في بعض المصادر، كذلك قَسَمَ المفسرون اليهود التاريخ اليهودي إلى خمس مراحل، وكما ارتبطت فكرة البعث في الديانة الزرادشتية بقدوم المخلِّص "ساوشيانط" الذي سيأتي في المرحلة الأخيرة من التاريخ، حيث يأتي من نسل زرادشت، كذلك ارتبطت فكرة البعث في التلمود وكتب التفاسير بقدوم المسيح الذي سيأتي في المرحلة الأخيرة من نسل داود، وكما أن المخلِّص الزرادشتي سوف يشترك في إحياء الموتى من القبور، كذلك المسيح اليهودي سوف يشترك في إحياء الموتى من القبور.
- اختلف الهدف من بعث الموتى في التلمود وكتب التفاسير عنه في الديانة الزرادشتية، فكان الهدف من بعث الموتى في التلمود وكتب التفاسير هو مجرَّدَ

اشتراك بني إسرائيل في أيام المسيح دون غيرهم من الأمم، ليربطوا فكرة بعث الموتى من القبور بفكرة الحساب والثواب والعقاب النهائي، في حين كان بعث الموتى في الديانة الزرادشتية بعثًا لجميع البشر لكي يحاسبوا ويحظوا إما بالثواب أو العقاب النهائي.

- **أما عن الحساب والثواب والعقاب بعد البعث:** فقد اتفق علماء التلمود والمفسرون اليهود مع أتباع زرادشت حول المصير الذي يلقاه الآثمون بعد بعثهم من القبور، فكما أن الآثمين في الديانة الزرادشتية سوف يتطهرون من آثامهم في المعادن المنصهرة التي تذوب في نهر يصب في الجحيم ثم يصعدون مرة أخرى ليَلْقَوْا نفس المصير الذي يلقاه الأتقياء، كذلك الفئة التي تتساوى حسناتها بسيئاتها في التلمود وكتب التفاسير سوف تهبط إلى جهنم لتتطهر من آثامها ثم تصعد مرة أخرى لتلقى المصير الذي يلقاه الأتقياء.
- يوجد عدد من التناقضات في تصوير التلمود وكتب التفاسير لعالم الثواب النهائي، وتتمثل في خَلْطِ علماءِ التلمود والمفسرين بين أيام المسيح والعالم الآتي، فأحياناً يشير علماء التلمود والمفسرون إلى أنهما حقبتان مختلفتان، وأحياناً أخرى يشيرون إلى أنهما حقبةٌ واحدةٌ، كما تتمثل في اختلاف علماء التلمود والمفسرين حول مشاركة الآخَر "غير اليهودي" في العالم الآتي من عدمه، وكذلك اختلافهم حول المحرومين من العالم الآتي، وكذلك حول الأعمال التي تؤدي إلى الحرمان من العالم الآتي، كما تتمثل هذه التناقضات أيضاً في الصورة التي رسمها علماء التلمود والمفسرون للأتقياء في العالم الآتي.

ومن خلال ما توصلتْ إليه الدراسةُ من نتائج يتضح أنه يوجد تبايُن وتناقُض وتضارُب بين المصادر الدينية اليهودية حول مفاهيم الموت والبعث والحساب والثواب والعقاب، وعدم وضوحها في بعض الأحيان وربما تسبب هذا التضارب والتباين وعدم الوضوح في ترسيخ مفهومين أساسيين، هما:

نظرة بعض اليهود إلى الموت على أنه المصير النهائي وخشيتهم منه والتماسهم شتى السُّبُل التي تضمن لهم طول العمر، نتج عنها حب اليهود للدنيا وتمسكهم الشديد بها، مما يعكس عدم إيمانهم بوجود حياة أخرى بعد الموت، من بعث أو حساب أو ثواب أو عقاب، وهذا ما أشارت إليه بعض الفِرق اليهودية مثل فرقة الصدوقيين، وما أشار إليه بعض علماء التلمود مثل الربي يوحنان بن زكاي، وربما انعكس ذلك على تصرفات وسلوك اليهود في عصرنا الحالي فما لم تكن هناك حياةٌ أخرى، فلا حساب ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا نعيم ولا جحيم، فما المبرر لكبح جماح النفس ومقاومة الشهوات، أو وقف العدوان وإقرار التسامح.

تفشي النظرة العنصرية بين البعض الآخر من اليهود التي تمثلت في قصر البعث والحساب والثواب على اليهود، وحرمان غير اليهودي من البعث والحساب والثواب، بينما الموت هو مصيره النهائي، فالموتى من بني إسَرائيل فقط سوف يُبعَثون ثم يعودون إلى فلسطين من أجل الاستمتاع بنِعَمِ الأرض، والمشاركة في أيام المسيح دون غيرهم من الأمم وهذا ما أشار إليه علماء التلمود والمفسرون اليهود، كما أنهم لن يقدموا حساباً على ما اقترفوه من آثام وكبائر، وهذا ما أشار إليه المفسرون اليهود، كما أن عالم الثواب الذي أطلقوا عليه "العالم الآتي" خلق لبني إسرائيل دون غيرهم، وأنه ليس لغير اليهود نصيب فيه، وهذا ما أشار إليه علماء التلمود، ربما امتدت تلك النظرة العنصرية إلى عصرنا الحالي، فهذه النظرة جعلتهم يستحِلُّون دماء غير اليهودي، فبما أنهم لن يحاسبوا، وبما أنهم لن يُعاقَبوا، فمن حقهم أن ينشروا الفساد في الأرض، وأن يبيحوا الرذيلة ويعملوا على نشرها، وبما أن كل واحد منهم يضمن له مكاناً في العالم الآتي، فمن حقهم أن يُزَيِّفُوا الحقائق، وأن يحتلُّوا أرض الغير بغير وجه حق.

قائمة المصادر والمراجع

مراجع باللغة العربية

- (أبو المجد) ليلى إبراهيم: مدخل إلى دراسة التلمود، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، المجلد الرابع والعشرون، الجزء الثاني، ١٩٩٥م-١٩٩٦م.
- (أبو المجد) ليلى إبراهيم: كيف أصبح جبريل عدواً لليهود، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد الثالث عشر، العدد ١-٤، ٢٠٠٤م.
- (أحمد) بوساحة: حقيقة الموت في نظر الديانات، الانتشار العربي، لبنان، ٢٠٠٨م.
- (أرمان) أدولف: ديانة مصر القديمة، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- (إسماعيل) نوري: الديانة الزرادشتية مزديسنا، منشورات دار علاء الدين، سوريا، ٢٠٠٣م.
- (باقر) طه: ملحمة جلجاميش، دار المدى للثقافة والنشر، لبنان، ٢٠٠٧م.
- (بدج) والس: كتاب الموتى الفرعوني، ترجمة وتعليق د. فيليب عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- (برستد) جيمس هنري: فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ٢٠٠١م.
- (بشور) وديع: الميثولوجيا السورية (أساطير آرام)، بالميرا، سوريا، ١٩٧٤م.
- (بوتيرو) جان: بلاد الرافدين، ترجمة ألبير أبونا: دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٠م.
- (دونان) فرانسواز و(زيفي) كرستيان: الآلهة والناس في مصر ترجمة فريد بوري، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
- (ديلابورت): بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ١٩٩٧م.
- (السواح) فراس: الديانة الزرادشتية وميلاد الشيطان، موقع الأوان، ٢٠٠٧م. (www.alawan.org)
- (السواح) فراس: مغامرة العقل الأولى (دراسة في الأسطورة – سوريا وبلاد الرافدين)، دار علاء الدين، سوريا، ١٩٩٦م.

- (الشامي) رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- (الشواف) قاسم: ديوان الأساطير، الكتاب الرابع، الموت والبعث والحياة الأبدية، نقله إلى العربية وعلق عليه، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي، لبنان، ٢٠٠١م.
- (شورون) جاك: الموت في الفكر الغربي: ترجمة كامل يوسف حسين: مراجعة إمام عبد الفتاح: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- (صالح) عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- (عثمان) أحمد: طبيعة الروح وحياة القبور في الفكر الإغريقي، مجلة إبداع، العدد الخامس، مايو ١٩٩٤م.
- (عويس) سيد: الخلود في التراث الثقافي: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
- (قرني) عزت: أفلاطون فيدون في خلود النفس، ترجمة عن النص اليوناني، مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٥م.
- (كارس) جيمس: الموت والوجود: ترجمة بدر الديب، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ١٩٩٨م.
- (كروان) منيرة عبد المنعم: العالم الآخر في المسرح الإغريقي: دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
- (كونتنو) ج: الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٩٧م.
- (الماجدي) خزعل: الدين المصري، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.
- (مازيل) جان: تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية) ترجمة ربا الخش، دار الحوار للنشر سوريا، ١٩٩٨م.
- (مبروك) أمل: فلسفة الموت: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- (مطاوع) محيي الدين: الطقوس الجنائزية بين التقاليد والقانون في مدينة أثينا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، عن أعمال مؤتمر الكلاسيكية والدراسات البينية، كلية الآداب قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- (مطر) أميرة حلمي: جمهورية أفلاطون، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٤م.
- (الأهواني) أحمد فؤاد: كتاب النفس لأرسطو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩م.
- (هويدي) أحمد محمود: القضايا النقدية في سفر دانيال، رسالة المشرق المجلد الثالث عشر، الأعداد من الأول إلى الرابع، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤م.

الرسائل العلمية

- (أحمد) عبد الحميد يوسف: العادات والشعائر الجنائزية في الدولة القديمة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة القاهرة.
- (البحراوي) إبراهيم عبد الحميد: سفر دانيال دراسة تاريخية ودينية ولغوية عبرية، رسالة ماجستير تحت إشراف د. محمد محمد القصاص جامعة عين شمس كلية الآداب، القاهرة.
- (السيد) ماجدة: العالم الآخر ومكانه في المفهوم المصري القديم، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: جاب الله علي جاب الله: كلية الآثار جامعة القاهرة، القاهرة.
- (متولي) حنان كامل: النفس في القبالاه ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلادي، رسالة دكتوراة، تحت إشراف د. منى ناظم الدبوسي، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- (ناظم) سلوى: سفر زكريا دراسة تاريخية لغوية، رسالة ماجستير تحت إشراف د. نازك عبد الفتاح، جامعة عين شمس كلية الآداب، القاهرة، ١٩٧٤م.

مصادر باللغة العبرية

- מאגר המשנה התלמוד והתנ"ך "מאגר ספרות הקודש" באתר סנונית עם חיפוש מתקדם.

kodesh.snunit.k12.il/

- מדרש רבה מהדורת אינטרנט מעוצבת של מדרש רבה, באתר "דעת"

www.daat.ac.il/daat/tanach/raba/shaar-2.htm

- מדרש רבה מהדורת אינטרנט של מדרש רבה, באתר "צל הרים"

www.tsel.org/torah/midrashraba/index.html

- מדרש רבה על התורה דפוס ראשון, קושטא רע"ב במאגר הספרים הסרוקים של הספרייה הלאומית

www.jnul.huji.ac.il/dl/books/html/bk1076603.htm

- מדרש רבה על חמש מגילות דפוס ראשון, פיזרו רע"ט במאגר הספרים הסרוקים של הספרייה הלאומית של ישראל

www.jnul.huji.ac.il/dl/books/html/bk1076603.htm

- מדרש תנחומא עם פרושי עץ יוסף ענף יוסף לחנוך זונדל ב ד יוסף מהדורת שלמה בובר הוצאת ספרים אשכול ירושליים 1972
- מדרש תנחומא עם פירוש עץ יוסף ופירוש ענף יוסף, וילנה: תקצ"ג–1833, באתר

Hebrew Books

- סדר אליהו דפוס ונציה, באתר HebrewBooks
- סדר אליהו מהדורת רבי שמואל הידא מאתר הספרייה הלאומית
- פרקי רבי אליעזר, מהדורת ונציה ה'ש"ד-1544, סרוקה באתר Hebrew Books
- פרקי רבי אליעזר, מהתנאי רבי אליעזר הגדול בן הורקנוס, עם ביאור הרד"ל, ורשה, תרי"ב-1852, סרוקה באתר

Hebrew Books

- ששה סדרי משנה, מפורשים בידי חנוך אלבק ומנוקדים בידי חנוך ילון, מוסד ביאליק, הדפסה אחרונה בתשס"ה 2005.
- ששה סדרי תלמוד בבלי, כולל אפשרות להורדה למחשב האישי, באתר מכון ממרא

www.mechon-mamre.org/i/0.htm

- תורה נביאים כתובים, החברה לכתבי הקדש, ירושלים, 1991
- תלמוד בבלי צלום דפוס ווילנא עם כל המפרשים והוספות הוצאת האחים ברנשטיין ירושלים תשכ"ח

مراجع باللغة العبرية

(אייזנשטיין) יהודה דוד 'אוצר מדרשים' במהדורה מקוונת: כרך א'، כרך ב'، באתר

Hebrew Books (*www.hebrewbooks.org*).

(היימאן) אהרון מרדכי: תולדות תנאים ואמוראים،חלק שני،מכון פרי העץ ירושלים، תשמ"ז.

(חבבאל) מאק: כתבי יוסף בן מתתיהו ישראל. ההוצאה לאור משרד הבטחון. תשנ ג

(שטינזלץ) עדין: מדריך לתלמוד، מושגי יסוד והגדרות بית הוצאת כתר ירושלים הדפוס התשיעי، 1988

مصادر مترجمة إلى الإنجليزية

- Avesta fragments: Hadhokht Nask, translated by James Darmesteter, from sacred books of east, American edition 1898.
- Vendidad Translated by James Darmesteter, from Sacred Books of the East, American Edition, (New York, The Christian Literature Company, 1898).
- Hadokht Nask: translated by James darmesteter from sacred books of the east, American edition 1898.
- the book of Arda Viraf:Translated by Prof. Martin Haug, of the University of Munich, revised from the MS. of a Parsi priest Hoshangji. From The Sacred Books

and Early Literature of the East, Volume VII: Ancient Persia, ed. Charles F. Horne, Ph.D., copyright 1917.

- www.avesta.org/mp/viraf.html
- Bundhishn: Translated by E. W. West, from Sacred Books of the East, volume 5, Oxford University Press, 1897.
- The pyramid texts: translated by Samuel mercer Longman green and co: 1952.

مراجع باللغة الإنجليزية

- (Alexiou) Margaret, (Manolakis) Dimitrios and (Roilos).
- Panagiotis: The Ritual Lament in Greek tradition,, roman and Littlefield, 2002.
- (Assmann) Jan and (Lorton) David: Death and Salvation in ancient Egypt, Cornell university press, 2005.
- (Adams) Ernest Austin, The Development of Biblical views on the General Resurrection of the dead, Thesis submited in Partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor in literature and philosophy in Bibical studies (new Testament), in the faculty of arts and philosophy at The Rand Afrekaans university, promotor: prof Jan du rand, oct 2001.
- (Balmer) Martin: Faith in conservation,World Bank publishing,2003.
- (Boyce) Mary، (Ed):Textual sources for study of Zoroastrianism, university Chicago press: 1984.
- (Boyce) Mary: A History of Zoroastrianism, vol 1 Leiden Koln, Brill 1975.
- (Boyce) Mary: Zoroastrianism, routledge press, 2002.
- (Bremmer) Jan. M: The rise and the fall of after life, Routledge publisher, 2002.
- (Breasted) James Henry: Development of religion and thought in ancient Egypt, university of Pennsylvania, 1959.
- (Budge) Wallis: Osiris or The Egyptian religion of resurrection, Kessinger publishing: part2, 2003.
- (Budge) Wallis: Egyptian religion, Cosimo publisher, 2005.
- (Budge) Wallis: The Egyptian Book of dead, Forgotten Books, 2008.
- (Budge) Wallis: Egyptian ideas of the Future life, Kessinger publishing, 2004.
- (Burket) Walter and (Raffan) John :Greek religion, Blackwell publishing, 2004.
- (Cassuto).U: Biblical and Canaanite literatures, volume 1, the Magnes press the Hebrew university, 1999.
- (Chester) Andrew: Judaic religion in second temple, routledge, 2000.
- (Cker) Richard Longene: Life in the face of death, WMB Eerdmans, 1998.

- (Cooagn) Michael David: stories from ancient Canaan, Westminster John Knox, 1974.
- (Copan) Paul: Passionate conviction, Band H. publishing group, 2007.
- (Danby) Herbert: tractate Sanhedrin Mishnah and Tosefta:, forgotten Books, 1933.
- (Daniels) Michael: Shadow, Self, Spirit: Imprint academic: 1999.
- (Daniel) Glyn: A Short History of Archaeology (Ancient peoples and places), Norton and co INC, 1981.
- (Davies) Douglas James: Death ritual and Belief, Continuum international, 2002.
- (Davies) Douglas James and (Mates) Lewis. H: Encyclopedia of cremation, Ashgate publishing, 2005.
- (Davies) Jon: death burial and rebirth in religions of antiquity, Rutledge: 1999.
- (Day) John: Yahweh and gods and goddesses of Canaan, Continuum international, 2002.
- (Douglas) Gordon: Ugarit in Retrospect, the Cult of dead at Ugarit, Eisenbrauns, Marvine pope, 1981.
- (Eliade) Mircea: The encyclopedia of religion, Macmillan publishing company: volume 7.
- (Ellias) Peter. F: Pauline Letters, Liturgical press, 1982.
- (WiedEmann) Alfred: Religion of ancient Egyptian,Mine ola, N.Y, Dover publication, 2003.
- (Elledge) Casey Deryl: Life after death in early Judaism, Mohr siebeck, 2006.
- (Faulkner) Raymond: The Egyptian Book of dead, Chronicle books, 1994.
- (Farnell) Lewis: Greece and Babylon, readbooks, 2007.
- (Frankfort) Henri: ancient Egyptian religion Dover publications, 1975.
- (Gardiner) Alan: Attitude of the Ancient Egyptian to death and dead, Cambridge University press, 1935.
- Gibbon (Edwared): The history of Decline and fall of Roman Empire, Fred de Fau and Company vol I 1906.
- (Grbbe) Laser L.: Messiah and Exaltation, Mohr siebeck, 2007.
- (Greiger) Wilhelm: Civilization of The eastern Iranians, read country books, 2006.
- (Hammer) Raymond J.: The book of Daniel, Cambridge university press, 1976.
- (Harding) Mark: Early Christian life and thought in social context, Continuum international publishing group, 2003.
- (Hastings) James: Encyclopedia of religion and ethics,part 8,Kessinger publishing, 2003.

- (Hinnells) Jon: Handbook of Ancient religions, Cambridge university press, 2007.
- (Hinnells) John: Zoroastrianism in Britain, oxford university,1996.
- (Hoekema) Anthony: The Bible and The future, WM.B Eerdmans, 1979.
- (Hooke) S.H: Middle eastern mythology, Dover publications, 2004.
- (Inch) Morris A and (youngblood) Ronald (Editor): The living and Active word of god, Eisenberauns, 1983, p48.
- (Jackson) A. V. Williams: Zoroastrian studies:, Kessinger publishing, 2003.
- (Jacobs) Louis: A Jewish Theology, Behrman house INC, 1973.
- (Jastrow) Morris: The religion of Babylon and Assyria, Boston Press, Ginn and combing volume 2, 1898.
- (Johnston) Sarah (Ed): Religion of ancient world, Harvard Univ Press,2004.
- (Jong) Albert De: Traditions of Magi, Brill, 1997.
- (Jowett) Benjamin: The republic by Plato, Plain label books, 1946.
- (Machintosh) H.R: Immortality and the future, Hodder & Stoughto London.
- (Mason) Rex, (Bart) John, (Reimer) David James: After the exile, Mercer university press, 1996.
- (Masumian) Farnaz: Life after death, Kalimate press,2002.
- (Moore).g.f: Judaism in the first centuries of Christian era, Hendrickson publishers, 1997.
- (Morenz) Siegfried: Egyptian religion, Cornell university press, 1973.
- (Morenz) Siegfried and (Keep) Ann: Egyptian religion,, Corrnell university, 1992.
- (Neusner) Jacob: understanding Rabbinic Judaism from Talmudic to modern times, KTAV publishing house, 1974.
- (Neuser) Jacob: Judaism in late antiquity, Brill publisher, 1995.
- (Nigosian) Solomon Alexander: Zoroastrian faith:, M.Q.U.P, 1993.
- (Nilsson) martin: A history of Greek religion: translated from
- Swedish by F.J.Fielden Clarendon press 1925.
- (Pfeiffer)R. h.: introduction to the old testament: Harper and raw 1948.
- (Pinch) Geraldine: Handbook of Egyptian mythology, ABC Clio,2002.
- (Rabinovich) yacov: the book of what's in hell, Copyright 2005 by Invisible Books, The full text of this book is available online in PDF format.
- (Rohde) Erwin: psyche,, rout ledge press,1925.
- (Schiffman)Lawrence H: Who was a Jew, KTAV publishing house,1985.
- (Smart) Ninian: World's religion:, Cambridge university press, 1998.
- (Smith) Mark: the Ugaritic Baal cycle:, Brill publisher,1994.
- (Stausberg) Michael: Zoroastrian ritual in context,, Brill publisher,2003.

- (Steindorff) Georg: the religion of ancient Egyptian, Biblio Bazaar LLC.
- (Toorn) K.Van Der: Family Religion in Babylonia, Syria and Israel,Leiden Brill, 1996.
- Tromp (Nickolas.J): Primitive Conceptions of Death and Nether world in the old testament, Ponetifical biblical Institute,1969.
- (Unal) Ali and (Gulen)Fethullah: the resurrection and after life, Tughra books, 2006.
- (Van Voss) M. Heerma (Editor), D. J. (Hoens) (Editor), G. (Mussies) (Editor), D. Van Der (Plas) (Editor), H. Te (Velde) (Editor): Studies in Egyptian religion, Brill publisher,1982.
- (Waterhouse) John: Zoroastrianism, read country books, 2008.
- (Watson) Wilfred.g.and (Wyatt) Nicolas (Editor): Handbook of Ugaritic studies, brill Leiden, 1999.
- (Worth) James H. Charles: Resurrection, continuum international publishing, 2006.
- (Zandee) Jan: Death as an enemy to ancient Egyptian conceptions translated from Dutch by W.F.Klasens, Brill leiden, 1960.

المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة

التلمود

البعث و الحساب و الثواب و العقاب

عاش اليهود على هامش الحضارات التي توالت على الشرق القديم، ولم يعيشوا في عُزلة عما يدور حولهم، بل احتكوا بجيرانهم سلباً وإيجاباً، وتأثرت معتقداتهم وآراؤهم بالمفاهيم التي كانت شائعة في بلدان الشرق القديم، وبخاصة الغَيبيات وعلى رأسها الموت وما يحدث بعد الموت. فما المصير الذي ينتظر الروح بعد الموت؟ هل ستَفْنَى أم تحيا حياة أخرى؟ وإذا كانت ستحيا حياة أخرى، فأين سيحدث ذلك؟ هل داخل القبور أم في عالم آخر خاص بها؟ وما المصير الذي ينتظر الجسد؟ هل سيتحلل ويَفْنَى أم سيبعث ويتحد بالروح مرة أخرى؟ وهل سيحاسَب الجسد بعد الموت وَحْدَهُ، أو تحاسَب الروح وحدها أو يحاسَبانِ معاً؟ وما الجزاء الذي ينتظرهما؟ وفي حين لم يظهر هذا التأثير في نصوص المقرا التي أغلق باب التدوين فيها (القرن الثاني ق.م) باستثناء بعض الإشارات التي تم تأويلها لخدمة هذا الغرض، وأخذ هذا التأثير يتضح بعد ذلك في التراث اليهودي الذي تبلور في القرون الأولى من الميلاد أي المشنا والتوسفتا والتلمود والمدراشيم (كتب التفاسير).

واعتمدت الدراسة على ما جاء في التلمود البـ[illegible]ـلور في مدارس بابل وأورشليم.



مكتبة مدبولى
...LY BOOKSHOP

٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١
...b SQ. Tel:25756421

...madboulybooks.com - info@madboulybooks.com